# طه حسين

## والفكر الاستشراقي




# طه حسين

## والفكر الاستشراقي

إعداد

محمد أحمد محمد فرج عيطة

من مطبوعات
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

أوقاف
AWQAF
الهيئة القطرية للأوقاف
Qatar Endowment Authority

## الإهداء

- إلى المجاهدين في سبيل الله من أمة الإسلام.
- إلى الغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس.
- إلى روح والدي الذي وهبني للعلم والمعرفة.
- إلى والدتي التي كان لدعائها الفضل الأكبر في توفيق الله لي.
- إلى أستاذي الجليل الأستاذ الدكتور/ محمود أبو الفتوح السيد الذي أكرمني بحنو علاقة الأبوة وتوجيه علاقة الأستاذية جزاه الله خير ما جزى أستاذًا عن تلميذه وشيخًا عن مريده.
- إلى كل من قدم إليَّ يد معونة أو مساعدة جزاكم الله خيرًا.



## مقدمة لكتاب:
## طه حسين والفكر الاستشراقي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد:

فإن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر ـ وقد وفقها الله لأن تضرب بسهم في نشر الكتب النافعة للأمة ـ لَتحمد الله سبحانه وتعالى على أن ما أصدرته قد نال الرضا والقبول من أهل العلم.

والمتابع لحركة النشر العلمي لا يخفى عليه جهود دولة قطر في خدمة العلوم الشرعية ورفد المكتبة الإسلامية بنفائس الكتب القديمة والمعاصرة وذلك منذ تسعة عقود، عندما وجه **الشيخ عبدالله بن قاسم آل ثاني** حاكم قطر آنذاك بطباعة كتابي **(الفروع)** و**(تصحيح الفروع)**، سنة ١٣٤٥هـ، وكان **المؤسس الشيخ جاسم بن محمد آل ثاني** رحمه الله تعالى قد سن تلك السنة من قبل.

وقد جاء مشروع إحياء التراث الإسلامي والنشر العلمي الذي بدأته الوزارة في السنوات الأخيرة امتدادًا لتلك الجهود وسيرًا على تلك المحجة التي عُرفت بها دولة قطر.

ومما تشرفت الوزارة بإصداره في تحقيق جديد متقن: (**صحيح ابن خزيمة**)، و(**السنن الكبرى**) للإمام النسائي، والمحقَّقان على عدة نسخ خطية، و(**جامع الأصول في أحاديث الرسول**)، و(**النهاية في غريب الحديث**) لابن الأثير.

- **وفي الفقه وما يتصل به:**

أصدرت الوزارة عدة كتب في المذاهب الأربعة، منها: كتاب: (**الأصل**) لمحمد بن الحسن الشيباني (ت١٨٩هـ) كاملًا محققًا على أصول عدة، و(**التبصرة**) للَّخمي، و(**نهاية المطلب في دراية المذهب**) للإمام الجويني بتحقيقه المتقن للأستاذ الدكتور عبدالعظيم الديب رحمه الله تعالى عضو لجنة إحياء التراث الإسلامي، و(**حاشية الخلوتي**).

كما أصدرت الوزارة: (**الأوسط من السنن والإجماع والاختلاف**) للإمام ابن المنذر بمراجعة دقيقة للشيخ الدكتور عبدالله الفقيه عضو لجنة إحياء التراث الإسلامي، و(**بغية المتتبع لحل ألفاظ روض المربع**) للعوفي الصالحي، و(**منحة السلوك في شرح تحفة الملوك**) للعيني.

- **وفي السيرة النبوية:**

أصدرت الوزارة الموسوعة الإسنادية: (**جامع الآثار في السير ومولد المختار**) لابن ناصر الدين الدمشقي، وغيرها.

- **وفي العقيدة والتوحيد:**

أصدرت الوزارة كتابًا نفيسًا لطيفًا هو: (**الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد**) لابن العطار تلميذ الإمام النووي رحمهما الله تعالى،

وآراء الدكتور طه حسين، والحكم على تلك الآراء التي أثارها الدكتور طه حسين، وبيان مدى موافقتها أو مخالفتها لشريعة الإسلام، مقارنًا بين آرائه وآراء المستشرقين.

ولا يخفىٰ أن الأمة تعيش اليوم تداعيات فكر صنعته مجموعة من الدارسين العرب، تأثروا بالفكر الغربي عمومًا والاستشراقي خصوصًا، ومنهم طه حسين؛ لذا جاءت هذه الدراسة كاشفة لجذوره الفكرية، والعوامل التي أثرت في تكوينه الفكري.

ونرجو أن نكون قد ساهمنا بذلك في العودة بالأمة إلى مواردها الصافية، وتوجيه ثقافة الأمة بعيدًا عن الأفكار التي لا تتواءم وثوابتها.

والحمد لله على توفيقه ونسأله المزيد من فضله

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

**إدارة الشؤون الإسلامية**





# مقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله شهادة عبده وابن عبده وابن أمته ومن لا غنى له أبدًا عن معونته ورعايته، وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

**وبعد:**

**بدايـة:**

عرفت الدكتور طه حسين منذ عشرين سنة أو يزيد وذلك حين كنت طالبًا في مراحل التعليم الابتدائي... عرفته من خلال السيرة الذاتية له «الأيام» والتي عرضت في مسلسلة تليفزيونية.. رأيناها ونحن في تلك السن الصغيرة، فاشرأبت أعناقنا، وتطلعت نفوسنا إلى ما وصل إليه الدكتور من مجد، وما حصَّل من علم، وما نال من درجة علمية.

ودفعتنا إلى تلك الحال أمنيات آبائنا ورغبات أمهاتنا وهم يبتهلون إلى الله أنه يوفقنا لمثل ما وفق الدكتور طه حسين إليه، وأن يحقق لنا من الشهرة والصيت مثل الذي حقق له.

**إفـادة:**

أفادني الاتصال بالدكتور طه حسين عن قُرب ـ من خلال مؤلفاته ومقالاته ـ أن أكوِّن له صورة جديدة في الخاطر، إنها صورة التوسط والتوازن بين المادحين والقادحين، إذ وزنت الرجل بحسناته وسيئاته فلم أنس ما له من خير حين أخالفه في رأي أو مقال ولم أهمل ذكر الخير إذا جاء من جانبه كما فعل الكثير ممن تعرض لحياة الدكتور وعطائه، وكان رائدي في ذلك قول الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥].

لم أهول من مخالفاته فأصوره في صورة مجسدة من الأخطاء والتجاوزات، ولم أهون منها أو أعذره عليها بل أوجدت صورة ثالثة وهي صورة القيام بالقسط والحكم بالعدل، أحمد ما له من خير وأشيد به، وأنكر ما عليه من شر وأرده عليه.

**قدر ومشيئة:**

وشاء الله أن أتابع دراستي العليا ثم أستعد للماجستير ووقفت طويلاً أمام الموضوع الذي أختاره للبحث والدراسة، وخطر بذهني الدكتور طه حسين وما يثار حول فكره من آراء وأقوال، وكان في يقيني أن واحدًا من الباحثين قد سبقني إلى هذا الموضوع، لأن الدكتور شغل الفكر العربي والإسلامي في القرن الماضي بما أثار من قضايا وما خلف من آراء.

والحق أن بعض ذلك قد كان، فقد تناول عدد من الباحثين عطاء الدكتور طه حسين بالدراسة وكان تناولهم له من زوايا متعددة، معظمها

أن الدكتور يعتبر مؤسسًا لكثير من الأفكار التي ما زالت تشغل الكثيرين في عالم الفكر والثقافة، فهو من أوائل الذين دعوا إلى الانفتاح على الغرب واقتباس كل نظمه وعوائده ما يحمد منها وما يعاب، وهو أحد الذين دعوا إلى قطع صلة الإسلام بواقع الحياة وخاصة الحياة السياسية التي قوامها في نظر الدكتور على المصالح والمنافع الدنيوية وحدها.

كما أن الدكتور يعد من أبرز الأدباء الذين نادوا بحرية الأدب بمعنى نسيان الأديب عقيدة وأخلاق وقيم الأمة حين يكتب إليها، فلا يحترم دينًا ولا يقدر خلقًا ولا يبقي على قيمة متسترًا بدعوى الإبداع.

كما كان الدكتور أحد الدعاة إلى إحياء القوميات القديمة وخاصة الاهتمام بالنزعة الفرعونية في مصر، هذه الدعوى التي وجدت من يتبناها في هذه الأيام ويروج لها ويدعو إليها.

لهذا وغيره مما سيأتي في ثنايا البحث أردت أن أضع القضايا التي أثارها الدكتور طه حسين فيما يتعلق بالإسلام موضع الدراسة مقارنًا بين آرائه وآراء المستشرقين في الأمر ذاته فهي (دراسة نقدية مقارنة) تهدف إلى بيان مدى الموافقة أو الاختلاف بين آراء المستشرقين وآراء الدكتور طه، والحكم على تلك الآراء في كل حال وبيان مدى موافقتها أو مخالفتها لشريعة الإسلام، دون أن نرتب على تلك الآراء حكمًا بالكفر أو الردة كما وقع في ذلك غيرنا ممن تناول عطاء الدكتور وآثاره بالبحث والدرس وذلك لحرص الرجل طوال حياته أن يؤكد لمخالفيه في الرأي أنه متمسك بالإسلام غير راغب عنه وأنه لا يقل عنهم غيرة على الإسلام وحرصًا عليه.

ولقد جاء البحث في أحد عشر فصلاً يسبق كل فصل تمهيد يهيئ له.

حياة الصحابة رضوان الله عليهم، وبينت خطأه حين تطاول على الكثيرين منهم إذ حاكم نواياهم وأوَّل مواقفهم تأويلاً غير مستساغ مع مثلهم أو من كان في مثل مقامهم على حين يرفع من شأن المخربين في التاريخ ويجعلهم من دعاة التحرر والعدالة كحاله حين مدح حركتي الزنج والقرامطة!

**الفصل السابع**: ورددت فيه على ترديده لدعوى تأثر الفقه الإسلامي بالقانون الروماني وذلك لاختلاف الاثنين أساسًا ومنطلقًا، وبينت خطأ الدكتور طه حين رفض حد الرجم للزاني المحصن بدعوى أنه لم يرد في القرآن وأوضحت اختصاص السنة بالتشريع مثل القرآن سواء بسواء.

**الفصل الثامن**: تحدثت عن نظرات طه حسين في قضية التعليم وبينت المحمود من آرائه كدعوته لمجانية التعليم، وإصراره على تعليم الفتيات وإلحاقهم بالتعليم الجامعي، وبينت الخاطئ من آرائه كذلك مثل موقفه من التعليم الأزهري حين دعا إلى إلغائه وإلغاء المناهج الدينية في المدارس والجامعات بدعوى أن كل إنسان يمكنه تعلم دينه بمعزل عن منارات العلم ومواطنه.

**الفصل التاسع**: وعرضت فيه لآراء طه حسين حول قضايا المرأة ورددت عليه في زعمه عدم فرضية الحجاب، بدعوى أن عفة المرأة تكمن في نفسها وقلبها لا في ثيابها، وكذلك وقفت مع رأيه في قضيتي الاختلاط بين الجنسين والمساواة بينهما.

**الفصل العاشر**: وخصصته لقضايا الحضارات ووقفت طويلاً مع الدكتور وموقفه من الحضارة الغربية حين دعا إلى اقتباسها جملة بحلوها ومرها ما يحمد منها وما يعاب، وكذلك وقفنا مع دعوته إلى

# الفصل الأول

## طه حسين والتكوين الفكري

وفيه مباحث:

**المبحث الأول:** طه حسين ومرحلة الطفولة.

**المبحث الثاني:** طه حسين والأزهر الشريف.

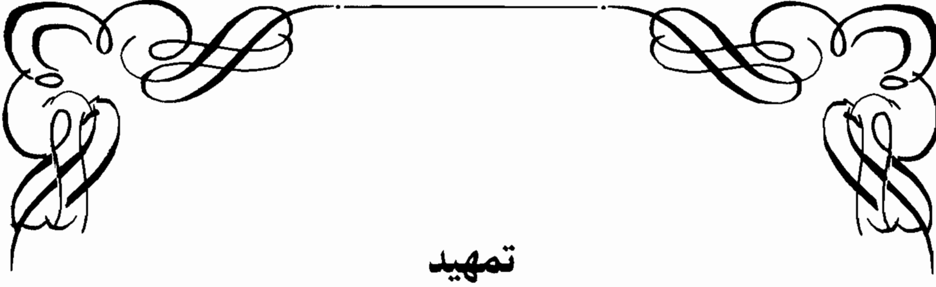
**المبحث الثالث:** طه حسين والإمام محمد عبده.

**المبحث الرابع:** طه حسين ومدرسة الجريدة.

**المبحث الخامس:** طه حسين والجامعة المصرية القديمة.

**المبحث السادس:** طه حسين ورحلته إلى أوروبا.

**المبحث السابع:** طه حسين ومرحلة العطاء.



# تمهيد

للبيئة التي يعيش فيها الإنسان وللأفراد الذين يخالطهم أثر في تكوينه النفسي والعقلي.

ولقد مر الدكتور طه حسين في تكوينه الفكري ببيئات متعددة:

**أولها**: بيئة القرية بداية من أسرته الصغيرة المكونة من أبيه وأمه وإخوته مرورًا بمجتمع القرية ما يموج فيه من فئات مختلفة الأشكال والألوان والتفكير.

**وثانيها**: البيئات التعليمية التي تدرج فيها طه حسين من مرحلة إلى أخرى بداية من الأزهر الشريف وانتهاءً بالسوربون ومرورًا بالجامعة المصرية القديمة.

**وثالثها**: الأفكار المطروحة على الساحة الفكرية من خلال الكتب المنشورة والصحف السيارة والرأي العام المتداول بين طبقات الأمة على اختلاف مشاربها.

وقد اقتضت ضرورة البحث أن نبحث عن الجذور الفكرية والعوامل التي أثرت في التكوين الفكري للدكتور طه حسين حتى يسهل الولوج إلى موضوع البحث بسهولة ويسر، وذلك ما سنتناوله في المباحث القادمة ـ بإذن الله ـ.

فقد بصره، الذي كان سببه الإهمال وسوء التصرف من أهله فلقد (أصابه الرمد فأهمل أيامًا ثم دُعي الحلاق فعالجه علاجًا ذهب بعينيه)[1].

دفع به والده إلى كتاب القرية ليحفظ القرآن الكريم تمهيدًا لإلحاقه بالأزهر الشريف، فأتم حفظ القرآن الكريم بعد مدة طويلة قضاها بالكتاب نظرًا لسوء اهتمام شيخه بالتلاميذ لكثرتهم؛ ولعدم الوعي عند الصغير نفسه بأهمية ما دفع من أجله للكتاب وهو حفظه القرآن الكريم.

## بيئته الأولى وأثرها فيه:

كان لمجتمع القرية أثره في نفس «طه» خاصة تلك الأفكار التي كانت تتداول بين الناس ويتوارثها الأبناء عن الآباء من مثل ظهور الجن للناس وتحادثه معهم وقدرة البعض على تسخيرهم بما يُعرف من القراءة في كتب السحر من أمثال: «شمس المعارف الكبرى»[2] وكتاب «الديربي»[3] وغيرها[4].

يضاف إلى ذلك القصص الشعبي الذي طالما خلط الكثير من العوام بينه وبين أخبار الصحابة والتابعين من العباد والنساك ولقد صور طه ذلك وهو يتحدث عن طفولته بقوله:

---

(١) طه حسين: الأيام ١٢/١.

(٢) شمس المعارف الكبرى لمؤلفه البوني الكبير المتوفى ٦٢٢هـ، وهو كتاب مطبوع في أربعة أجزاء كبيرة أعدها للطبع ميرزا حسين الشيرازي. راجع دائرة المعارف الإسلامية ٣٢١/١١ وما بعدها.

(٣) كتاب الديربي هو فتح المجيد لأحمد الديربي المتوفى سنة ١١٥١هـ. راجع: أحمد الشنتناوي وآخرون. دائرة المعارف الإسلامية، ب.ن، ب.ت ٣٢٤/١١.

(٤) طه حسين: الأيام ٧/١، ٨، ٩، ٩٨، ١٠٠، ١٠٥، ١١١.

تعدد، وكان غناء أخواته يغيظه ولا يترك في نفسه أثرًا؛ لأنه كان يجده سخيفًا لا يدل على شيء، في حين كان تعديد أمه يهزه هزًا عنيفًا، وكثيرًا ما كان يبكيه وعلى هذا النحو حفظ كثيرًا من الأغاني وكثيرًا من جد القصص وهزله)[1].

- وكانت للأوراد وأناشيد الصوفية دورهما في تشكيل عقله وتكوين ثقافته، لا سيما وقد نشأ الفتى في بيئة أصحاب السلطان فيها هم رجال الطرق الصوفية، الذين كان لهم تأثير كبير في بيئة طه الخاصة (جده وأبيه) اللذين كان لهما بأصحاب الطرق صحبة ومتابعة.

(ولقد عنُي طه بشيئين عناية خاصة. عني بالسحر وعني بالتصوف ولم يكن في الجمع بين هذين اللونين من العلم شيء من الغرابة ولا من العسر فالصوفي يزعم لنفسه وللناس أنه يخترق حجب الغيب وينبئ بما كان وسيكون، كما أنه يتحدى حدود القوانين الطبيعية ويأتي بضروب الخوارق والكرمات[2] والساحر يزعم لنفسه القدرة على الإخبار بالغيب وتجاوز القوانين الطبيعية أيضًا، والاتصال بعالم الأرواح)[3].

---

(١) الأيام ١/٢٥، ٢٦.

(٢) أخطأ الدكتور إذ وصف كل الصوفية بهذا الوصف والصواب: «أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، فيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل صنف من قد اجتهد فيخطئ، وفيهم من يذنب فيتوب، ولكن هناك طائفة انتسبت إليهم من أهل البدع والزندقة وعند المحققين من أهل التصوف أنها ليست منهم مثل الحلاج فإن أكثر مشايخ الطرق أنكروه وأخرجوه من الطريق».

راجع: د. توفيق الواعي: الإخوان المسلمون، شبهات وردود مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط١ سنة ١٤٢١هـ، ص٢٤.

(٣) طه حسين: الأيام ١/٩٨.

بقوله: (كان من أذكى الفقهاء وأشدهم علمًا، وأقدرهم على التأويل سأله الصبي ـ يعني نفسه ـ ذات يوم ما معنى قول الله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤﴾[1] فأجاب هادئًا مطمئنًا: خلقكم كالثيران لا تعقلون شيئًا)[2]!!

ثم يورد طه عدة نماذج من علم علماء إقليمه ثم يعلق قائلاً: (كان صبينا يختلف بين هؤلاء العلماء جميعًا، ويأخذ عنهم حتى اجتمع له من ذلك مقدار من العلم ضخم مختلف مضطرب متناقض، ما أحسب إلا أنه عمل عملاً غير قليل في تكوين عقله الذي لم يخل من اضطراب وتناقض)[3].

(ويكون مقدم المفتش إلى القرية مؤشرًا لمعرفة الصبي بوجود لون آخر من العلم والثقافة فهو مطربش يجيد الفرنسية، تخرج في مدرسة الصنايع ويحفظ القرآن على نحو فتن الصبي)[4].

مما جعله يتفاخر على أترابه بأنه أصبح يعرف ما لا يعرفه سيده فلقد قرأ تحفة الأطفال، وعلم المد والغن والإخفاء والإدغام وكانت أصداء ذلك تصل شيخه فتحزنه وتؤلمه[5]، ويعمل أخوه الشيخ أحمد حسين الطالب بالأزهر على تهيئة طه للأزهر فيوجهه إلى حفظ ألفية ابن مالك[6]، وبعض المتون الأخرى كالجوهرة

---

(١) سورة نوح، الآية: ١٤.

(٢)(٣) طه حسين: الأيام ٨٧/١.

(٤) د. عبد العزيز شرف، طه حسين وزوال المجتمع التقليدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة سنة ١٩٧٧، ص٢٢.

(٥) طه حسين: الأيام ١١٤/١، ١١٥.

(٦) ابن مالك: هو جمال الدين محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن مالك المشهور بابن مالك ولد بالأندلس سنة ٦٠٠هـ، نحوي مشهور من أشهر آثاره ألفيته في النحو، توفي سنة ٦٧٢هـ، راجع شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك طبعة دار الفكر بيروت ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م ٥/١.

قال محمد هو ابن مالك أحمد ربي الله خير مالك[1]

ابتهاجًا لم يشعر بشيء مثله أمام أيّ سورة من سور القرآن)[2].

(وقد انتهت المرحلة الريفية بمتناقضاتها من حياة طه حسين سنة ١٩٠٢م حين انتقل إلى القاهرة مع أخيه الأكبر «أحمد» ليتلقى العلم في الأزهر، على أن هذه المرحلة كان لها تأثير بالغ في شخصيته حيث أكسبته القدرة على التحمل، وعلمته العناد، ونمَّت لديه حب الاستطلاع)[3].

نعم لقد أمضى طه حسين في هذه البيئة ثلاثة عشر عامًا كان لها أثرها البعيد في حياته كلها ومواقفه كلها: (حدة الطبع والتحدي وتأكيد الذات.. ولقد ظلت عوامل الريف والصعيد والبيئة الأولى قائمة في كيان طه حسين بعد أن سافر إلى أوروبا وصقلته الأساليب العصرية في الحديث والحياة والحركة)[4].



(١) هذا البيت هو أول الأبيات في ألفية ابن مالك.
(٢) طه حسين: الأيام ٧١/١، ٧٢ بتصرف.
(٣) د. مصطفى رجب: فكر طه حسين التربوي بين النظرية والتطبيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط١ سنة ١٩٩٥م، ص٩.
(٤) أنور الجندي: طه حسين حياته وفكره في ضوء الإسلام، ص٢٥ بتصرف.

التهامًا)[1].

بهذه الروح أقبل طه على الدرس والتعلم ينتقل من حلقة إلى أخرى يرغب في هذه ويعزف عن تلك، ولقد كانت دروس الأدب أحب لديه من الدروس الشرعية نظرًا لما تلقاه في بيئته الأولى «القرية» من قراءة في بعض القصص المأخوذة من «ألف ليلة وليلة»، وكان ضيقه بالمواد الشرعية باعثه حسن ظنه بنفسه وبما سمعه من علماء إقليمه في النشأة الأولى كذلك.

كتب طه في مذكراته يصف حاله في درس مادة الحديث النبوي قائلاً: (كان الصبي يجلس إلى جانب ذلك العمود يعبث بتلك السلسلة ويسمع للشيخ وهو يلقي دروسه في الحديث فيفهم عنه في وضوح وجلاء ولا ينكر منه إلا تلك الأسماء التي كانت تسَّاقط على الطلبة يتبع بعضها بعضًا تسبقها كلمة «حدثنا» وتفصل بينها كلمة «عن» وكان الصبي لا يفهم معنى لهذه الأسماء ولا لتتابعها ولا لهذه «العنعنة» المملة، وكان يتمنى أن تنقطع هذه العنعنة وأن يصل الشيخ إلى الحديث، فإذا وصل إليه سمعه الصبي ملقيًّا إليه نفسه كلها فحفظه وفهمه وأعرض عن تفسير الشيخ (!!) لأنه كان يذكره ما كان يسمع في الريف من إمام المسجد ومن ذلك الشيخ الذي كان يعلمه أوليات الفقه)[2].

(وقد تتلمذ خلال الفترة من ١٩٠٧ إلى نهاية المدة التي قضاها

---

(١) د. عبد العزيز شرف: طه حسين وزوال المجتمع التقليدي، ص٢٣، والأيام ١٤٩/١.

(٢) طه حسين: الأيام ٢١/٢.

لنفسه شيئًا من إثبات الذات فعمد إلى لفت الأنظار إليه بكثرة مجادلته لأساتذته واللجاجة في هذه المجادلة.

(والزاوية الثانية التي يمكن التعرف من خلالها على المرحلة الأزهرية في حياته هي سكناه في القاهرة مع أخيه الأكبر الذي كان له زمرة من الرفاق يزورونه في غرفته ليأكلوا ويشربوا ويراجعوا دروسهم، فكان طه يجلس منهم غير بعيد منصتًا في شغف واهتمام، وكانت المناقشات تحتدم بينهم أحيانًا حتى تخرجهم عن أطوارهم فيخوضوا في أشياء قد تدق على فهمه، وطبيعي أنه لم يكن ليستطيع أن يتابع هذا الحوار الذي يجري بين هؤلاء الرفاق في مسائل الأصول والفقه والبلاغة وما إليها، ولكنه استطاع ـ بلا ريب ـ أن يدرك الطابع العام له، على النحو الذي أراه ـ في الأيام ـ وأدرك منه أن ليست هناك مسألة تمتنع عن المناقشة، ولا رأي يكبر على النقد مهما يكن صاحبه وجلالة قدره وعظم منزلته)[1].

ويبدو أن طه قد أفاد من مجالسة هؤلاء الرفاق التعرف إلى طرق الجدال والمناظرة إضافة إلى ما كان لديه من رغبة في البروز وحرص على لفت الأنظار إليه.

(لقد سطر طه حسين الفصل السادس عشر من «الأيام» ليقول ما ملخصه: أنه رجع إلى قريته للمرة الأولى بعد انتسابه للأزهر فلم يجد من حفاوة الاستقبال وبشاشة الترحيب ما كان يجده أخوه الكبير، بعد رجوعه المتكرر من اغترابه في القاهرة طالبًا للعلم، مبرزًا بين قرنائه وقد غاظه هذا الإهمال فجعل يهاجم الناس في أفكارهم، فإذا تحدث

---

(١) د. مصطفى رجب: فكر طه حسين التربوي، ص١٣.

ولكن هذا الرأي الأخير رغم افتتان الكثيرين به بجانب الحق والصواب إذ بتمعن وتبصر قليلين في «الأيام» ـ السيرة الذاتية لطه حسين ـ وفي حديثه عن علماء الأزهر بالذات يدرك من له حظ من ذلك مدى المغالاة والتوسع في تجهيل العلماء ولو جرى الكلام عن أستاذ بعينه لربما كان الكلام لا يثير غضاضة، أما أن يكون جل العلماء على هذا النحو فذلك مما لا يصدق به عاقل ولا يوافقه عليه إلا صاحب هوى.

ومما يعجب له أيضًا أن طه كان يستمع إلى وشاية الطلاب بالعلماء وغيبتهم لهم سماع المطمئن المصدق. أنظر إليه يقول: (فأما تحدث الطلاب كبارًا وصغارًا بجهل شيوخهم وتورطهم في ألوان الخطأ المضحك الذي كان بعضه يتصل بالفهم وبعضه يتصل بالقراءة فقد كان أكثر من أن يحصى وأعظم من أن يقدر ومن أجل هذا كان صاحبنا سيئ الرأي في العلماء والطلاب جميعًا (!!) وكان يرى أن الخير كل الخير في أن يجد ويجتهد ويحصل ما استطاع من العلم معرضًا عن مصادره التي كان يستقيه منها)[١].

وكان يسعد نفسه، ويملؤها رضًا سماعه لنقد الشيخ المرصفي[٢]. . الذي كان يدرس الأدب للأزهريين ودروسهم.

كتب طه يصف الشيخ المرصفي بقوله: (ولم يكن للشيخ

---

(١) طه حسين: الأيام ١٣٣/٢.

(٢) سيد علي المرصفي: عالم باللغة والأدب تولى تدريس الأدب بالأزهر، من آثاره: رغبة الأمل من كتاب الكامل ثمانية أجزاء، وأسرار الحماسة في شرح ديوان الحماسة لأبي تمام. انظر: د. محمد الدسوقي: طه حسين يتحدث عن أعلام عصره ـ دار المعارف ـ سلسلة اقرأ، العدد ٥٧٨، ص٥١.

المرصفي)[1].

ولقد صرح طه بهذا في أكثر من موقف، ففي إجابته على سؤال وجه إليه من أحد الصحفيين نصه:

(ماذا أفدت من الدراسة في الأزهر؟

قال: أفدت من الدراسة بالأزهر شيئًا كثيرًا جدًا وهو الحرص الشديد على التعمق في فهم النصوص وتجنب السطحية والعلم المحفوظ، ودراسة الأزهر في تلك الأيام تمتاز بتنشئة الملكات التي تتيح الفهم والتعمق والصبر على البحث وليس هذا بالشيء القليل)[2].

فهذا الاعتراف بفضل الأزهر بهذه الكلمات الواضحات مما لا يمارى فيه أحد، ولقد أشار إليه المقربون من طه حسين نفسه. فهذه الدكتورة سهير القلماوي تلميذة الدكتور طه الأثيرة عنده تقول عنه: (إنه أكثر الأدباء العرب تأثرًا بأسلوب القرآن الكريم، منه يأخذ كثيرًا من ألفاظه البديعة وإليه يرجع المثل الذي يحتذيه في كثير من التعابير والأساليب)[3].

وما ازدادت هذه الصلة بالقرآن ولا تعمقت إلا في رحاب الأزهر وأروقته وفي دروس مشايخه وعلمائه.

---

(١) د. عبد العزيز شرف: طه حسين وزوال المجتمع التقليدي، ص٣٥.

(٢) فؤادة دوّارة: عشرة أدباء يتحدثون، ص١٧، ١٨.

(٣) سهير القلماوي: ذكرى طه حسين. دار المعارف سلسلة اقرأ عدد ٣٨٨ الصادر في ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٧٤، ص٤٩، عبد العزيز شرف: طه حسين وزوال المجتمع التقليدي نقلاً عن مجلة الهلال فبراير سنة ١٩٦٦م.

كفر الفقهاء به الحجاج[1] قوله: «والناس يطوفون بقبر النبي ومنبره إنما يطوفون برمة وأعواد» فقلت: إنه لم يكفر وإن كان قد أساء الأدب، وبلغ قولي شيخ الأزهر وسمعت أنه سيطردني فذهبت إلى «الجريدة» أريد كتابة مقال عن هذا الموضوع، وهناك تقابلت مع الأستاذ لطفي السيد[2] فرفض المقال، ولكنه عرض أن يتوسط لإرجاعي، في ذلك الوقت شعرت بأن الأزهر لم يعد يشبع ما في نفسي من الأغراض الأدبية فتركته والتحقت بالجامعة المصرية)[3]، ويتحدث في مكان آخر عن سبب الحيلولة بينه وبين شهادة العالمية من الأزهر فيقول لمحاوره:

(وأظنك تعلم أني حاولت آخر الأمر أن أتقدم لامتحان العالمية في الأزهر فلم أنجح، ويشهد الله أن لجنة الامتحان حالت بيني وبين النجاح ظلمًا، لأن شيخ الأزهر إذ ذاك ـ الشيخ سليم البشري[4] ـ طلب إلى

---

= بن حسان الأزدي المعروف بالمبرد (أبو العباس) أديب، نحوي، لغوي إخباري، نسابة، إمام اللغة ورأس النحاة البصريين في زمانه وأحد أئمة الأدب والأخبار راجع: معجم المؤلفين ٣/٧٧٣.

(١) الحجاج بن يوسف: من ساسة بني أمية ولد بالطائف حوالى سنة ٤١هـ (٦٦١م) وهو حفيد الصحابي الجليل عروة بن مسعود الثقفي. توفي في رمضان سنة ٩٥هـ (٧١٤هـ). دائرة المعارف الإسلامية ٧/٣١٣.

(٢) أحمد لطفي السيد من مواليد برقين من أعمال مركز السنبلاوين دقهلية سنة ١٢٨٨هـ ـ ١٨٧٢م اشتغل بالسياسة، وعمل بالصحافة وكان من قياديي ثورة ١٩١٩ توفي سنة ١٩٦٣م. طه يتحدث عن أعلام عصره، ص٢٤).

(٣) أنور الجندي: طه حسين حياته وفكره في ضوء الإسلام، ص٢٣، طه حسين: الأيام ٢/١٦٨.

(٤) الشيخ سليم البشري ولد بمحلة بشر من قرى شبراخيت بمحافظة البحيرة سنة ١٢٤٨هـ، تولى مشيخة الأزهر مرتين وظل بها حتى وفاته سنة ١٣٣٥هـ. راجع: جريدة الشروق صوت الأزهر جامعًا وجامعة، عدد تذكاري بمناسبة افتتاح مشيخة الأزهر الجديدة. سبتمبر سنة ١٩٩٩م.

يضاف إلى انصرافه عن علوم الأزهر وعدم العناية بها عامل آخر هو هجوم الدكتور طه على الأزهر والأزهريين ولقد اعترف بأن (طول اللسان هو الذي قطع الصلة قطعًا حاسمًا بين صاحبنا وبين الأزهر ودفعه دفعًا إلى حياته التي أتيحت له، وعرضه لسخط أي سخط وحزن أي حزن وعناء أي عناء)[1].

(جاء الطالب إلى لجنة الامتحان يسبقه تاريخه الأليم في سب الأزهر والأزهريين واحتقاره الصريح لكل ما يدرسون ويتناولون من أساليب الشرح والتقرير، وهو بعد لا يعلم في غير دروس العربية شيئًا غير ذي بال!

لقد كان عليه أن يستوعب علوم الأزهر، أما أن يتعالى على هذه العلوم ثم يشنع على أصحابها في الصحف والمجتمعات ويرى من حقه أن يظفر بالنجاح فيها دون تعمق فهذا ما لا يرتضيه منصف...

ولقد كان الدكتور زكي مبارك[2] أقرب إلى الحق وآثر للإنصاف من الدكتور طه حسين، إذ تقدم الدكتور زكي مبارك لنيل إجازة العالمية مباهيًا بمكانته المشتهرة في الأدب والصحافة واللغة، وانعقدت هيئة الامتحان برئاسة الأستاذ إبراهيم الجبالي[3] ـ رحمه الله ـ وكان الجبالي

---

(١) طه حسين: الأيام ٣/١١.

(٢) زكي مبارك: أديب من كبار الأدباء المعاصرين ولد سنة (١٣٠٨هـ/١٨٩١م) تعلم في الأزهر وحصل على الدكتوراه من الجامعة المصرية، له مؤلفات كثيرة في اللغة والأدب، منها: (النثر الفني) توفي سنة ١٣٧١هـ/١٩٥٢م. راجع: طه حسين يتحدث عن أعلام عصره، ص٤٨.

(٣) إبراهيم الجبالي: من علماء الأزهر في بدايات القرن الماضي، مثَّل الأزهر في بعثة دعوية إلى الهند في عهد الشيخ محمد مصطفى المراغي، له مقالات عديدة=



## المبحث الثالث

## طه حسين والإمام محمد عبده[1]

(كنت أريد أن أكون شيخًا من شيوخ الأزهر مجددًا في التفكير والحياة على نحو ما كان يريد المتأثرون بالشيخ محمد عبده أستعين في ذلك بما أسمع في الجامعة وما أقرأ في الكتب المترجمة وما أجد في الصحف وما ألتقط من أحاديث المثقفين...)[2] بهذه الكلمات يعرب طه عن أمنية تمناها في وقت مبكر في مطلع حياته العلمية يوم كان يختلف إلى الجامع والجامعة.

ومما عمل على بلورة هذه الأمنية وتكونها في نفسه وصفُ أهل قريته والمقربين له آراءه بأنها تماثل آراء الأستاذ الإمام وذلك يوم أراد

---

(١) الأستاذ الإمام محمد عبده (١٢٦٥ ـ ١٣٢٣هـ) أو (١٨٥٠ ـ ١٩٠٥م) شغل العديد من المناصب، عين سنة ١٨٩٩م مفتيًا للديار المصرية مع مواظبته على إلقاء الدروس بالأزهر من آثاره: رسالة في التوحيد، والإسلام والرد على منتقديه، الإسلام والنصرانية وغيرها. راجع: المستشار محمد عزت الطهطاوي: الأستاذ الإمام محمد عبده، مجلة الأزهر عدد رجب سنة ١٤١٢هـ يناير ١٩٩٢، ص٧٩٦ وما بعدها.

(٢) طه حسين: أديب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة سنة ١٩٩٨، ص٤٦.

يترجم كتبًا قيمة و«الجريدة»[1] تنادي بمعايير جديدة في السياسة والاجتماع فكنا في اضطراب ذهني لا نستقر وشعرنا نحن تلاميذ الشيخ المرصفي أن طرق الأزهر عتيقة فكنا نتكلم ونتناقش عن الإصلاح الذي يقول به الشيخ محمد عبده)[2].

وعلى الرغم من دراسة طه بالأزهر في الفترة التي كان الأستاذ الإمام يُدرس بالأزهر إلا أنه لم يستطع الجلوس إليه والأخذ عنه إلا مرات قلائل، فقد صور كيف عاش عامًا كاملاً في الأزهر يسمع عنه ويروي آراءه، دون أن يراه، حتى إذا كان العام الثاني فقد جرؤ على أن يقتحم باب الرواق العباسي الذي يلقي فيه الأستاذ الإمام محاضراته ومن دون الباب حارسه الذي يسمى الغراب يقول طه:

(وإذا أنا ذات مساء أخاطر أشد المخاطرة وأتحدى الغراب وأقتحم الباب وأجلس في طرف من أطراف الحلقة ويقبل الشيخ ويأخذ مكانه ثم يبدأ في الدرس، وأشهد لقد كنت في هذا الوقت شديد الاضطراب والذهول تجري في جسمي الصغير كله رعدة ما أحسستها من قبل، حتى إذا سمعت هذا الصوت الحلو يتلو هذا الكلام العذب، كلام الله، ويتلوه في هدوء وخشوع وفي حنان ورحمة لم أملك نفسي، وإذا دمعتان تنحدران فأكفكفهما، ثم أثوب إلى الشيخ فأمنحه عقلي كله وقلبي كله، وأسمع له حتى ينهض ويتفرق الناس ثم لا أفكر إلا فيه

---

(١) الجريدة صحيفة كان يصدرها أحمد لطفي السيد وكانت تدعو لنبذ الوحدة الإسلامية وترفع شعار قومي باسم مصر للمصريين، وكانت تدعو إلى الالتقاء بالغرب في منتصف الطريق والتعاون مع الاستعمار وقبول أسلوب المراحل. راجع: أنور الجندي. طه حسين حياته وفكره في ضوء الإسلام، ص٢٥.

(٢) د. عبدالعزيز شرف: طه حسين وزوال المجتمع التقليدي، ص٢٣، ٢٤ بتصرف.

وعندما عاد من أوروبا وعمل بالتدريس الجامعي وبالتحديد في يوليو سنة ١٩٢٢م كان المثقفون يعدون للاحتفال بذكرى الأستاذ الإمام فيقرر طه (ألا يلقي كلمة في هذه المناسبة ويعلل ذلك بقوله:

فأفكاري لا ترضي أحدًا، إنني أرى فيه مجددًا عظيم الأهمية لكنه حمَّل نصوص الإسلام أكثر مما تحتمل لكي يجعلها تتفق والعلم الحديث)[١].

فتأثر طه بالأستاذ الإمام قائم لكنه بنسبة قليلة، ولقد أشار كثير من الباحثين إلى هذا التأثر، لكن بعض الغالين في طه يعدونه أول عقلاني في مصر، ورائد الصحوة العقلية بها يقول الأستاذ صلاح عيسى[٢]: (لعله كان أول مفكر في تاريخ مصر يملك هذه القدرة الفائقة على التحدي وعلى تجاوز مواقف الدفاع، فالطهطاوي[٣] عاش حياته الفكرية ينشر العقل حتى حماية اللاعقل ولطفي السيد كان أميل إلى القصد والأفغاني[٤]، ومحمد عبده اللذان كانت عقلانيتهما موقفًا

---

(١) سوزان طه حسين: معك. دار المعارف ـ سلسلة كتب أكتوبر ـ ب. ت، ص٤٤.

(٢) صلاح عيسى كاتب معاصر: يرأس حاليًا تحرير صحيفة القاهرة لسان حال وزارة الثقافة المصرية من مؤلفاته: مثقفون وعسكر، الكارثة التي تهددنا.

(٣) رفاعة رافع الطهطاوي (١٢١٦ ـ ١٢٩٠هـ، ١٨٠١ ـ ١٨٧٣م) من مواليد طهطا بصعيد مصر، درس بالأزهر وقرأ في كثير من العلوم والمعارف، سافر إلى فرنسا وانبهر بما لديهم من علوم وفنون. من آثاره: تلخيص الإبريز في تلخيص باريز، المرشد الأمين للبنات والبنين. راجع: د. علي محمد عبد الوهاب: بين الإسلام والغرب ضراوة أحقاد ومرارة حصاد. دار ركابي للنشر. ط١، سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص١٢٥ وما بعدها.

(٤) الأفغاني من مواليد ١٢٥٤هـ، ترك بلاد الأفغان إلى الهند ثم إلى مصر ثم إلى الأستانة، أصدر مجلة العروة الوثقى في باريس، توفي ١٨٩٧م. راجع: =



## المبحث الرابع

## طه حسين ومدرسة الجريدة

اتصل طه حسين بأحمد لطفي السيد أكبر رأس مفكر في حزب الأمة آنذاك على إثر الخلاف مع شيخ الأزهر - الشيخ سليم البشري - حين ذهب إلى مقر «الجريدة» - التي كان يرأس تحريرها أحمد لطفي السيد - ليدفع إليها بمقال يهاجم فيه شيخ الأزهر، ولكن لطفي السيد أثناه عن عزمه وتوسط لإصلاح ما فسد بينه وبين مشيخة الأزهر.

(ومنذ ذلك الوقت اتصل الفتى بمدير «الجريدة» وجعل يتردد عليه حتى جاء وقت كان يلقاه فيه كل يوم.

وفي مكتب مدير الجريدة ظفر الفتى بشيء طالما تمناه وهو أن يتصل ببيئة الطرابيش بعد أن سئم بيئة العمائم (!!) ولكنه اتصل من بيئة الطرابيش بأرقاها منزلة وأثراها ثراء، وكان وهو فقير متوسط الحال في أسرته، سيئ الحال جدًّا إذا أقام في القاهرة. فأتاح له ذلك أن يفكر فيما يكون من هذه الفروق الحائلة بين الأغنياء المترفين والفقراء البائسين)[١].

ولم يكن اتصال طه حسين بحزب الأمة عن قناعة ببرنامجه

(١) طه حسين: الأيام ١٧٣/٢.

وقد عبر طه في أكثر من موضع عن انبهاره بلطفي السيد حتى أنه عبر عن تأثيره في نفسه بقوله: «استأثر بقلب الفتى وعقله»[١].

وبمراجعة عدد من أفكار لطفي السيد ومقالاته يمكن أن نعثر بها على أصداء واضحة في أفكار طه حسين ومقالاته المتتابعة (في منهج تفكيره وتحولاته الرئيسية) وقد كان هذا دون شك وراء انضمامه لحزب الأمة[٢].

ويقول طه معترفًا بفضل لطفي السيد: (كانت أحاديث الأستاذ وزائريه تفتح للفتى أبوابًا من العلم والمعرفة لم تكن تخطر له ببال من قبل ولم يكن يقدر وجودها فضلًا عن اتصاله بها من قريب أو بعيد)[٣].

لقد تبنى لطفي السيد طه حسين وأظهره للناس حين نشر له في «الجريدة» وهو الذي أغراه بالثقافة الغربية فكان يوجهه إلى آراء فولتير[٤]، وغيره من مفكري الغرب ويوجهه إلى تعلم الفرنسية والالتحاق بالجامعة المصرية[٥].

ولم يقف دعم لطفي السيد لطه عند هذا الحد بل صاحبه بعد

---

(١) طه حسين: الأيام ١٠/٣.

(٢) د. مصطفى عبد الغني: طه حسين والسلطة في مصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧، ص٢٥.

(٣) طه حسين: الأيام ١٠/٣.

(٤) فولتير ملك وكاتب فرنسي ولد سنة ١٦٩٤ ومات سنة ١٧٧٨م. راجع: سلامة موسى: حرية الفكر وأبطالها في التاريخ. الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة التنوير ١٩٩٧م، ١٥٨/٢.

(٥) د. عبدالعزيز شرف: طه حسين وزوال المجتمع التقليدي، ص٣٩.

وبهذه المؤازرة استطاعا أن يحققا خطوات جديدة في العمل الجامعي فلقد كان لهما الفضل في فتح الباب أمام الفتيات للدراسة الجامعية[1].



(١) سوزان طه حسين: معك، ص١١١، ١١٢.

الأزهر وفي حوش عطا أو درب الجماميز إلى بيئة أخرى واسعة لا حد لسعتها (!!) فهي كانت تتيح له أن يملأ رئتيه من الهواء الطلق حين يسعى إلى الجامعة وحين يعود منها، وأن يملأ عقله من العلم الطلق الذي لا يقيده تحرج الأساتذة الأزهريين فيما كانوا يلقون من الدروس(!!)، وكانت هذه البيئة تتيح له كذلك علمًا يخلق نفسه خلقًا جديدًا لا يتصل بالنحو ولا بالفقه ولا بالمنطق ولا بالتوحيد (!!) وإنما يذهب به مذاهب مختلفة في الأدب وفي ألوان من التاريخ لم يكن يقدر أنه سيعرفها في يوم من الأيام)[١].

بهذا الإغراق في الغلو عبر طه عن ضيقه بالأزهر وافتتانه بالجامعة المصرية حتى أنه كما مر يعد الهواء المنبعث في أحياء الجامعة هواء نقيًا لا يجده في أحياء الأزهر العتيقة!!

ومما زاد افتتان طه بالجامعة المصرية دراسته على يد مجموعة من المستشرقين «ملكوا عليه أمره واستأثروا بهواه»[٢] منهم: كارلو نالينو[٣] المستشرق الإيطالي الذي كان يُدرِّس تاريخ الأدب والشعر الأموي وسنتلانا[٤] الذي كان يُدرِّس تاريخ الفلسفة الإسلامية وتاريخ

---

(١) طه حسين: الأيام ٣/٣٢، ٣٣ بتصرف.

(٢) المرجع السابق ٣/٣٤.

(٣) كارلو نالينو مستشرق إيطالي كبير، كان غزير العلم بالجغرافيا والفلك عند العرب ودرَّس في الجامعة المصرية القديمة ثلاث سنوات (١٩٠٩ ـ ١٩١٢م) عين عضوًا بمجمع اللغة العربية واشترك في معظم لجانه وله مؤلفات وأبحاث عديدة. راجع: طه حسين يتحدث عن أعلام عصره، ص٤٦.

(٤) سنتلانا مستشرق إيطالي، اهتم بدراسة الفقه الإسلامي وبخاصة المذهب المالكي وترجم بعض كتبه إلى الإيطالية، ودرَّس الفلسفة الإسلامية في الجامعة الأهلية وله فيها محاضرات نفيسة. راجع: طه حسين يتحدث عن أعلام عصره، ص٤٦.

أثر كبير في نفسه (لأنهم جددوا علمه بالحياة وشعوره بها وفهمه لقديمها وجديدها معًا، وغيروا نظرته إلى مستقبل أيامه وأتاحوا لشخصيته المصرية العربية أن تقوى وتثبت أمام هذا العلم الكثير الذي كان يأتي به المستشرقون (!!) والذي كان جديرًا بأن يُحوِّل هذا الفتى تحويلاً خطيرًا يفنيه في العلم الأوروبي إفناء، ولكن أساتذته المصريين هؤلاء أتاحوا له أن يأوي إلى ركن شديد من الثقافة الشرقية الخالصة، وأتاحوا لمزاجه أن يأتلف ائتلافًا معتدلاً من علم الشرق والغرب جميعًا)[1]، والمطالع لما كتبه طه عن تلك الفترة يجد أنه يقيم أساتذته من المصريين مثنيًا على البعض منهم رافعًا لشأنه كما في حديثه عن الأستاذ أحمد زكي[2] أستاذ الحضارة الإسلامية وإسماعيل رأفت[3] أستاذ علم الجغرافيا وكذا الأستاذ حفني ناصف[4] الذي كان يدرس الأدب العربي.

وهو إذ يمدح هؤلاء ويثني عليهم لا يرتفع بهم فوق منازل

---

(١) طه حسين: الأيام ٣٧/٣.

(٢) أحمد زكي (١٢٨٤ ـ ١٣٥٣هـ ـ ١٨٦٧ ـ ١٩٣٤م) لقب بشيخ العروبة، عالم، أديب، من أصل مغربي، أقام بمصر، حضر ثلاثة مؤتمرات للمستشرقين، وقف مكتبته على الأمة بعد وفاته فجعلت في دار الكتب المصرية. معجم المؤلفين ١٤٠/١.

(٣) إسماعيل رأفت (كان حيًا قبل ١٣٢٩هـ ـ ١٩١١م) وهو أستاذ علم الشعوب بالجامعة المصرية القديمة. من آثاره: التبيان في تخطيط البلدان طبع بالقاهرة سنة ١٣٢٩هـ. معجم المؤلفين ٣٦٤/١.

(٤) حفني ناصف: قاص وأديب وشاعر ولد سنة (١٢٧٢هـ ـ ١٨٥٦م) تعلم بالأزهر وتقلب في مناصب التعليم ثم القضاء وعين أخيرًا مفتشًا أول للغة العربية بوزارة المعارف توفي سنة (١٣٣٨هـ ـ سنة ١٩١٩م). طه حسين يتحدث عن أعلام عصره، ص٤٦.

وسقيم أو قوي وضعيف إنما كلهم صحاح أقوياء!!

وفي الجامعة المصرية يعد طه حسين رسالته للدكتوراه في تاريخ أبي العلاء المعري[(١)] ذلك الرجل الذي هام به طه حسين وكان له الأثر الكبير في نفسه «نظرًا لتشابه ظروفهما»[(٢)].

لقد عاش طه مع أبي العلاء منذ طفولته وفهم حياته كل الفهم لقد كان يرى في حياته أبا العلاء نفسه[(٣)]، وكان يكثر من ذكره دائمًا عندما يحتاج إلى مساعدة غيره من المبصرين ويذكر كلمته «أنه رجل مستطيع بغيره»[(٤)] بل كان طه يشابه أبا العلاء ويوافقه في كثير من الخلال والصفات إذ «كان يرى نفسه في كلمة أبي العلاء حين قال: إنه إنسي الولادة وحشي الغريزة»[(٥)].

ولقد خرجت رسالة طه عن أبي العلاء في كتاب بعنوان: «ذكرى أبي العلاء» وطبعت بمطابع الواعظ بمصر سنة ١٣٣٤هـ ـ ١٩١٥م في ٤١٠ صفحات[(٦)].

وقد أثار هذا الكتاب ضجة حول صاحبه حيث قدَّم أحد أعضاء الجمعية التشريعية سؤالاً في الجمعية مطالبًا فيه بحرمان طه حسين من

---

(١) أبو العلاء: هو أحمد بن عبدالله بن سليمان المعري، شاعر عربي معروف ولد سنة ٣٦٣هـ في معرة النعمان، وتوفي سنة ٤٤٩هـ. من آثاره: سقط الزند، واللزوميات. راجع: دائرة المعارف الإسلامية ٣٧٩/١ وما بعدها.

(٢) د. جابر قميحة: جريدة آفاق عربية العدد ٣٧٩ الصادرة في ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٤١٩هـ، أكتوبر سنة ١٩٩٨م، ص١١.

(٣) طه حسين: الأيام ٢١/١.

(٤) طه حسين: الأيام ١٠٤/٣.

(٥) المرجع السابق ١٠٤/٣.

(٦) د. السيد تقي الدين: طه حسين آثاره وأفكاره. ب. ت، ص٧٦.



## المبحث السادس

## طه حسين ورحلته إلى أوروبا

كان السفر إلى أوروبا خاطرًا يداعب خيال طه وهو في مرحلة الطلب بالأزهر والجامعة، وكان يثيره في نفسه اتصاله بالثقافة الغربية حين كان يقصد الجامعة المصرية فيسمع لأساتذته من المستشرقين يضاف إلى ذلك قراءاته الصيفية التي كانت تركز على الكتب المترجمة فقد كان يجتمع مع أقرانه ممن سماهم المطربشين (فيقرؤون ما ترجم فتحي زغلول[1] عن الفرنسية وما كان السباعي[2] يترجم عن الإنجليزية وما كان جورجي زيدان[3] يكتب في الهلال من مقالات، وما كان ينشر

(١) فتحي زغلول: سبق التعريف به في ص٤٦.

(٢) محمد السباعي (.... ـ ١٣٥٠هـ/.... ـ ١٩٣١م) محمد بن محمد بن عبد الوهاب السباعي، من المترجمين عن الإنجليزية، ولد بمصر وتوفي بها، من آثاره: السمر، والصور وكلاهما مقالات ومذكرات. معجم المؤلفين ٣/٦٥٧.

(٣) جورجي زيدان (١٢٧٨ ـ ١٣٣٢هـ ـ ١٨٦١ ـ ١٩١٤م) مؤرخ صحافي قصصي لغوي مشارك في بعض العلوم، من آثاره: تاريخ آداب اللغة العربية في أربعة أجزاء، تاريخ التمدن الإسلامي في خمسة أجزاء. معجم المؤلفين: ١/٤٨١.

إلى أوروبا في نفس طه حقيقة يجب أن تكون لا حلمًا داعب خيال نائم أو يقظان.

وسرعان ما تحولت الأمنية إلى واقع وإذ بطه حسين أحد أفراد البعثة التعليمية إلى فرنسا إذ وقع عليه الاختيار ليدرس على نفقة الجامعة هناك وركب البحر في طريقه إلى فرنسا وكان أول عمل قام به على ظهر السفينة ما حكاه بقوله: (خلعت الجبة والقفطان وأنا أعلم إلى أين صارا.. منحهما أخي هدية لسيدة كان يألفها في فرنسا..

ولست أدري ماذا اتخذت منهما... خلعت الجبة وخلعت القفطان ودخلت في هذه الثياب الأوروبية. فكم ضقت بها وكم كرهتها وكم ندمت على جبتي وقفطاني طوال الأسبوع الذي قضيته على ظهر أصبهان)[١].

في نوفمبر سنة ١٩١٤ سافر طه إلى فرنسا سعيدًا مغتبطًا بما تحقق له من أماني، ولكن لم يكتب لسعادته أن تستمر طويلاً فقد قررت الجامعة إعادة مبعوثيها لأزمة مالية ألمت بها فيعود في سبتمبر سنة ١٩١٥، فيقضي في مصر أربعة أشهر عانى فيها من الألم النفسي الشيء الكثير، ولقد عبر عن معاناته في مقالات يومية نشرتها له مجلة «السفور» نكتفي بإيراد مقالة واحدة منها لبيان حجم المعاناة التي عاناها في تلك الفترة.

كتب في ٥ نوفمبر سنة ١٩١٥ يقول:

(تريدونني على أن أكتب أيها الأصدقاء ولقد علمتم ما لي بالكتابة

---

(١) سامي الكيالي: مع طه حسين، دار المعارف، سلسلة إقرأ العدد ١١٢ مايو سنة ١٩٥٢م، ص٧٩.

والتاريخ الروماني على «بلوك»[1] والتاريخ الحديث على «سنوبوس»[2] كما حضر دروسًا في علم الاجتماع على إميل دوركايم[3] الذي حضَّر تحت إشرافه رسالته عن «الفلسفة الاجتماعية عند ابن خلدون»)[4]، ويقول طه عن منزلة «دوركايم» في نفسه:

(وكان لأستاذه مُحبًّا وبه معجبًا إعجابًا يوشك أن يبلغ درجة الفتون ولقد رُوِّع طه لوفاة أستاذه أثناء إعداده للرسالة وأدركه للخطب فيه حزن عميق)[5].

وبعد وفاة دوركايم تولى «سلتان بوجليه»[6] الإشراف على رسالته، كما كان يقرأ ما يكتب من فصول رسالته على كازانوفا[7] الذي حضر دروسه في تفسير القرآن الكريم والتي كان يلقيها في الكوليج دي

---

(١) مارك ليوبولد بلوك (١٨٨٦ ـ ١٩٤٤م) مؤرخ فرنسي أسس مدرسة أنال في التاريخ المؤثرة للغاية في التاريخ الاجتماعي الفرنسي، من أصول يهودية ومن عائلة أكاديمية في باريس. موسوعة ويكيبيديا.

(٢) سنوبوس : لم أستدل عليه.

(٣) إميل دوركايم (١٨٥٨ ـ ١٩١٧م) فرنسي اهتم بالمسائل الاجتماعية ويعتبر من رواد علم الاجتماع الفرنسيين بعد أوجست كونت له آثار كثيرة منها: الانتحار، التربية والاجتماع. راجع: عبدالله علي الأنس، صالح سالم باقارش: مشاهير الفكر التربوي، مكتبة إحياء التراث الإسلامي. مكة المكرمة سنة ١٩٩٩، ص٢١١.

(٤) د. عبد العزيز شرف: طه حسين وزوال المجتمع التقليدي، ص٣٠.

(٥) طه حسين: الأيام ١٢٨/٣ بتصرف.

(٦) سلتان بوجليه: لم أستدل عليه.

(٧) كازانوفا: مستشرق فرنسي تعلم العربية وعلمها في معهد فرنسا (١٩٢٠) ثم قدم مصر فانتدبته الجامعة المصرية ١٩٢٥ أستاذًا لفقه اللغة العربية وقد وجه عنايته إلى مصر الإسلامية، من أشهر مؤلفاته (محمد وانتهاء العالم في عقيدة الإسلام الأصلية) توفي سنة ١٩٢٦م راجع: نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، مصر، ط٤. ب. ت ٢١٩/١.

تتزوج طه حسين المسلم ولكن أحد أعمامها استطاع أن يقنعها ـ وكان ذلك ـ العم قسيسًا ـ وقال لها: مع هذا يمكن أن تثقي بأنه سيظل معك دائمًا[1].



(١) جابر رزق: طه حسين الجريمة والإدانة، دار الاعتصام د. ت، ص١٨٤، محمد شلبي: مع رواد الفكر والفن، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٢، ص١٢٢، ١٢٣، إلا أن محمد شلبي يذكر قرابة القسيس لسوزان بأنه خالها لا عمها حسبما أوردت الكتب.

حتى عام ١٩٢٥[١] ولقد كرَّس طه حسين هذه السنوات لتدريس التاريخ اليوناني والروماني على الرغم من النقد والجدل والمواجهة حول هذه النقطة، إذ أثار هذا التوجه دهشة وتساؤلاً، لماذا لم يخص طه حسين التاريخ الإسلامي بالدرس والتوجيه؟!

ولكن طه حسين أصرَّ على موقفه وبرر توجهه ذلك بأن الفكر اليوناني هو أساس الحضارات بأسرها، وأن الحضارة الإسلامية على الخصوص عالة على الحضارة اليونانية[٢].

(وفي أثناء هذه الفترة صنف طه حسين كتبًا تصور النشاط الفكري والأدبي عند اليونان، ويترجم إلى العربية من الكتب التي تصور الحياة السياسية عند قدماء اليونان وكذلك أساطيرهم ومن هذه الكتب:

١ ـ صحف مختارة من الشعر التمثيلي عند اليونان.

٢ ـ قادة الفكر.

٣ ـ من الأدب التمثيلي اليوناني ـ سوفوكليس[٣].. وغيرها.

ولأن طه حسين معجب أشد الإعجاب بالفكر اليوناني والثقافة اليونانية ذهب إلى القول بأن مصر اطمأنت للفتح اليوناني وأصبحت ملجأ للثقافة اليونانية، وأصبحت الإسكندرية عاصمة من عواصم اليونان

---

(١) د. رشيدة مهران: طه حسين بين السيرة والترجمة الذاتية، الهيئة المصرية العامة للكتاب إسكندرية ـ ط١ سنة ١٩٧٩، ص٦٥.

(٢) د. عبد المجيد المحتسب: طه حسين مفكرًا، مكتبة النهضة الإسلامية، الأردن ط٣، سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص١٦٩.

(٣) سوفوكليس (٤٩٦ ـ ٤٠٦ق.م) مؤلف مسرحي يوناني يعتبر أحد أعظم المسرحيين التراجيديين في الأدب اليوناني القديم، منير البعلبكي، قاموس المورد، معجم الأعلام (S)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٥م.

بل تجاوز ذلك إلى إرسال برقيات إلى الملك تطالبه بإقصاء طه عن منصبه ومكانه الجامعي، وخرجت المظاهرات تطالب برأس طه حسين وتوجهت إحدى هذه المظاهرات إلى منزل سعد زغلول[1] الذي وقف يقول:

(إن مسألة كهذه لا يمكن أن تؤثر في الأمة المتمسكة بدينها، هبوا أن رجلًا مجنونًا يهذي في الطريق فهل يضير العقلاء شيء من ذلك إن هذا الدين متين وليس الذي شك فيه كان زعيمًا ولا إمامًا حتى نخشى من شكه على العامة، فليشك ما شاء، وماذا علينا إذا لم تفهم البقر»)[2].

سكت طه حسين خلال تلك الفترة فلم يرد على خصومه ردًا علميًا على صفحات الصحف والمجلات وإنما اكتفى بإعلان تمسكه بالإسلام وعدم خروجه عنه، وأن شكه بالشعر لا يعني شكه بقداسة الدين[3].

وكتب في «السياسة» لسان حال حزب الأحرار الدستوريين آنذاك يشرح موقفه بكلمات أراد من ورائها تهدئة الرأي العام فكان من كلامه:

(إن كل امرئ منا يستطيع إذا فكَّر قليلًا أن يجد لنفسه شخصيتين متمايزتين، إحداهما: عاقلة تبحث وتنقد وتحلل وتغير اليوم ما ذهبت

---

(١) سعد زغلول (١٢٧٧ ـ ١٣٤٦هـ/١٨٦٠ ـ ١٩٢٧م) سعد بن إبراهيم زغلول، سياسي، حقوقي، خطيب عمل بالمحاماة، والحقوق، وطالب باستقلال مصر القومي وكان من أبرز زعماء ثورة ١٩١٩م. معجم المؤلفين ٧٥٥/١.

(٢) د. كمال حامد مغيث: طه حسين ومصادره الفكرية، مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان ط١، ١٩٩٧، ص١٠٤ بتصرف.

(٣) سامي الكيالي: مع طه حسين، ص٥٨.

وقف طه من صاحبه موقف المدافع عن الكتاب وصاحبه وكتب مواسيًا لصديقه ـ حين صدر القرار بإخراجه من زمرة العلماء يقول: (إيه أيها الطريد من الأزهر، تعال نتحدث ضاحكين عن هذه القصة المضحكة، يجب أن نحمد الله على السلامة... فلو أننا في تلك العصور التي يحكم فيها الأحبار والكهَّان لحرقت مع كتابك)[1].

ولقد صرَّح طه حسين أنه قرأ أصول كتاب «الإسلام وأصول الحكم» قبل طبعه ثلاث مرات وعدَّل فيه كثيرًا وربما هذا الذي حدا بالبعض إلى الاعتقاد بأن مؤلف الكتاب هو طه حسين[2] هذا الأمر الذي أكده الدكتور مصطفى الشكعة[3] في شهادته على العصر بقوله:

«الإسلام وأصول الحكم» كتاب منسوب إلى الشيخ علي عبد الرازق الذي صار علي عبد الرازق باشا، والحقيقة أنني أريد أن أسجل شهادة في حق هذا الرجل وهي أنه منذ أربع سنوات سمعت من شاهد عيان هو الشيخ أحمد مسلم عضو مجمع البحوث الإسلامية الذي أكد أن لديه شهادة للتاريخ وقال: كنت مديرًا للوعظ والإرشاد في محافظة المنيا وبينما كنت أسير على شاطئ النيل شاهدت سراي آل عبد الرازق فاستقللت قاربًا وعبرت إلى الشاطئ الآخر ودخلت إلى السراي فقابلت

---

(١) إبراهيم عبد العزيز: رسائل طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٠م، ص١٢٢، ١٢٣.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) د. مصطفى الشكعة ـ أستاذ جامعي معاصر ـ درَّس بالعديد من الجامعات العربية ـ يرأس حاليًا لجنة التعريف بالإسلام بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، من آثاره: كتاب إسلام بلا مذاهب، وغيره. راجع: صور حضارية من عطاء الإسلام، من إصدارات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ص٤.

في تلك الفترة كما يتحدث عن نفسه موزعًا بين منهجين من مناهج الكتابة (أحدهما: مذهب الاعتدال والقصد ذلك الذي كان الأستاذ لطفي السيد يدعوه إليه ويزينه في قلبه، والآخر: مذهب الغلو والإسراف ذلك الذي كان الشيخ عبد العزيز جاويش يغريه به ويحرضه عليه تحريضًا)[1].

وبعد عودته من فرنسا وبداية مرحلة العطاء ظل يكتب في الصحف والمجلات ويلتقي بالصحفيين والكتاب حتى قبيل وفاته بأيام قلائل، وكانت كتاباته الصحفية تتناول موضوعات متعددة أخصها الحياة الأدبية وجوانب التجديد فيها، وعمل على نقل الأدب الغربي لأبناء العربية وخاصة الأدب الفرنسي الذي كان متأثرًا به إلى حد شديد.

ولقد جمعت مقالاته الصحفية في الغالب إلى كتب، خاصة المقالات الأدبية إذ أن (الكثير من مؤلفاته ـ طه حسين ـ كتبه أولاً في مقالات ثم بسطها في كتب، وقد يبث الفكرة في كتاب ثم لا يني يتحدث عنها في مقالاته شأنه في ذلك شأن معاصريه من قادة الرأي الذين توسلوا بالمقال لأداء دورهم)[2].

ومن كتبه التي كانت في أصلها مقالات نذكر منها على سبيل المثال: الأيام، في الصيف، على هامش السيرة، من بعيد، حافظ وشوقي وغيرها[3].

وقد تقلَّد الدكتور طه حسين رئاسة التحرير بالعديد من الصحف

(١) طه حسين: الأيام ٣/١٠.
(٢) د. عبد العزيز شرف: طه حسين وزوال المجتمع التقليدي، ص٤٥.
(٣) المرجع السابق، ص٤٥ ـ ٥٥.

مستشارًا فنيًّا للوزارة ثم مديرًا لجامعة الإسكندرية وقت الإنشاء، ثم وزيرًا للمعارف يضاف إلى ذلك أنه تولى رئاسة مجمع اللغة العربية بالقاهرة بالإضافة إلى عضويته بالعديد من المجامع العلمية وغيرها من الهيئات الثقافية بالخارج ولقد كرمته الدولة فمنحته جائزتها التقديرية في الآداب مرتين ومنحته بعض الجامعات الأوروبية الدكتوراه الفخرية[1].

**وفاة طه حسين:**

وفي الثامن والعشرين من أكتوبر سنة ١٩٧٣م توفي طه حسين في فيلا رامتان بالهرم وخرجت الجنازة الرسمية والشعبية من جامعة القاهرة في ٣١ أكتوبر، وفي ديسمبر من نفس العام تسلمت أسرته جائزة الأمم المتحدة لإنجازه في ميدان الحقوق الإنسانية[2].



(١) د. عبد العزيز شرف: طه حسين وزوال المجتمع التقليدي، ص٥٨ وما بعدها.

(٢) مجلة القاهرة: بيبلوغرافيا طه حسين، عدد ١٣٢، ص١٢١.

# الفصل الثاني

## طه حسين وعلاقته بالفكر الاستشراقي

**ويشتمل على تمهيد وأربعة مباحث:**

**التمهيد.**

**المبحث الأول:** تعريف الفكر الاستشراقي في اللغة والاصطلاح.

**المبحث الثاني:** تاريخ الاستشراق وغاياته وأهدافه.

**المبحث الثالث:** قنوات اتصال الدكتور طه حسين بالفكر الاستشراقي.

**١ ـ الاتصال الدراسي:**

**أ ـ** في مصر.

**ب ـ** في فرنسا.

**٢ ـ الاتصال في مرحلة العطاء:**

**أ ـ** العمل الجامعي.

**ب ـ** الزيارات المنزلية (الصداقة الشخصية).

**جـ ـ** حضور المؤتمرات الاستشراقية.

**د ـ** الأعمال المؤسسية (اليونسكو).

**هـ ـ** المراسلة.

**المبحث الرابع:** اهتمام المستشرقين بأدب طه حسين.



# طه حسين وعلاقته بالفكر الاستشراقي

## تمهيد

اهتم الغرب بالشرق منذ أمد بعيد؛ وكان الاهتمام الثقافي أو العلمي أحد جوانب الاهتمام، فتعلم الكثير من أبناء الغرب لغات الشرق واستظهروها حتى وصل الأمر ببعضهم إلى وضع المعاجم في تلك اللغات، ودرسوا الآداب والعلوم والفنون وكذلك التاريخ المتعلق بهذا الجزء من الأرض، وقد كان للإسلام حظ كبير من العناية والدرس، فدرس المستشرقون العقيدة الإسلامية وما يتعلق بها ولعل أكثر القضايا اهتمامًا كان موضوع القدر وما يتعلق بفعل العبد من ناحية الجبر والاختيار، ودرسوا القرآن الكريم وما يتعلق به من قضايا، ودرسوا سيرة النبي وما يتعلق بها والحديث الشريف وكتبه واهتم بعضهم بفهرسة الكتب وترتيبها ووضع المعاجم والمفاتيح التي تسهل التعامل مع تلك الكتب، وكذلك كانت لهم دراسات كثيرة في قضايا الشرع وما يتعلق به من تاريخ التشريع، والفقه الإسلامي، وتاريخ المذاهب الإسلامية، وكذلك قضايا الفلسفة والتصوف وبحثوا في تاريخ الإسلام والفتوحات وعنوا بدراسة الأنساب والسلالات، وعلى الرغم مما شاب هذه الدراسات من تحكيم الهوى في بعض الأحيان أو التأثر

والإسلامي بالمستشرقين، (فاستعانت دار الكتب المصرية ببعضهم في مكتباتها وعمل الفرنسيون في المتحف المصري منذ إنشائه حتى عام ١٩٥٣، وعمل فييت[١]، في دار الآثار العربية وفي معاهدها، وكذلك عمل الإيطاليون والفرنسيون والبلجيكيون والإسبان والألمان والإنجليز وسواهم في الجامعة المصرية ثم في غيرها وفي مجامعها حتى كان هناك خمسة أعضاء في المجمع اللغوي بمصر عند تأسيسه، وكثير في المجمع العربي بدمشق)[٢].

وإذا كنا نبحث عن علاقة طه حسين ـ كمفكر عربي مسلم له حضور كبير في الثقافة العربية ـ بالمستشرقين فذلك لأن طه اختلط بالمستشرقين في مراحل حياته المختلفة، تتلمذ عليهم في الجامعة المصرية واستفاد من مراجعهم في بحثه عن أبي العلاء المعري وكانت له بهم صلات شخصية على نحو ما ذكر في «الأيام»، وتتلمذ عليهم في رحلته إلى فرنسا وخالطهم واختلط بهم في مرحلة العطاء حين عمل بالتدريس في الجامعة المصرية وحين أوفدته الحكومة المصرية ممثلاً لمصر في مؤتمراتهم، ولارتباطه ببعضهم أو بالكثير منهم بصداقة شخصية.

وبالإضافة إلى ما ذكر فالدكتور طه حسين يعد من النفر القلائل الذين (يعترفون بأثر المستشرقين في تكوينهم المعرفي أسلوبًا ومادة إذ يعمد الكثير من المفكرين إلى ستر الصلة أو الأثر أو السبب الذي

---

(١) فييت جاستون (١٨٨٧ ـ١٩٧١م) مستشرق فرنسي، جاء إلى مصر، فانضم إلى المعهد الفرنسي للآثار الشرقية (١٩٠٩ ـ ١٩١١) وألقى محاضرات في الجامعة المصرية في الأدب العربي سنة ١٩١٢م، المستشرقون ٢٧٦/١.

(٢) نجيب العقيقي: المستشرقون ٦٢٥/٣.



# المبحث الأول

## الفكر الاستشراقي

**التمهيد:**

من البديهيات في البحث أن يقف الباحث من المصطلحات بالتعريف والإيضاح حتى يكون السير على بصيرة ورشد.

ونظرًا لأن مصطلح «الفكر الاستشراقي» مركب إضافي فيحسن بنا أن نقف مع لفظيه كلًّا على حدة نوضح معناه وما يرمي إليه ثم نوضح المقصود به جملة واحدة على وجه التركيب.

### معنى الفكر في اللغة:

تدور معاني مادة (ف ك ر) على النحو التالي:

(فكَّر) في الأمر: أعمل العقل فيه، ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى مجهول و ـ فلان بالأمر أخطره بباله (افتكر) تذكر و ـ في الأمر: أعمل عقله فيه، (وتفكَّر) في الأمر: افتكر، (التفكير): إعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها.

(الفِكْرُ): جملة النشاط الذهني و ـ (بوجه خاص) أسمى صور العمل الذهني بما فيه من تحليل وتركيب، وتنسيق، وجمعه أفكار.

الفكر ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى المجهول.

وقيل: الفِكْرُ مقلوب عن الفرك لكن يستعمل الفكر في المعاني وهي فرك الأمور وبحثها طلبًا للوصول إلى حقيقتها)[1].

(فالفكر يتضمن محاولة تحليلية للتوصل إلى المبادئ أو العناصر الأساسية لموضوعه، ومحاولة تركيبية إبداعية وهي البحث عن المطالب المجهولة أو حلول المشكلات التي يتصدى لها الفكر... ولتأكيد الجانب التحليلي في الفكر يحكي الراغب عن بعض الأدباء: الفكر مقلوب عن الفرك لكن يستعمل الفكر في المعاني، وهو فرك الأمور وبحثها طلبًا للوصول إلى حقيقتها.

وقريب من هذا قول «ابن رشد»[2]:

من لم يعرف العُقَدْ لم يعرف الحل، وقد ورد في الآثار: «حسن السؤال نصف العلم».

وخلاصة القول: إن الفكر حركة عقلية تثيرها مشكلة أو مشكلات معينة، تنطلق مستهدية بمبادئ أو حدود مقبولة لدى المفكر والبيئة التي توجه إليها بالخطاب، بغية الوصول إلى حل أو حلول لتلك المشكلات.

فلا بد في الفكر من مشكلة أو سؤال يطرح على العقل ولا بد

---

(١) محمد عبد الرؤوف المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف: ت: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر بيروت، دمشق ط١، سنة ١٤١٠، ٥٦٣/١.

(٢) ابن رشد: هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد. ولد بقرطبة سنة ٥٢٠هـ درس الفقه والطب والفلسفة وولي القضاء بقرطبة وأشبيلية وله مؤلفات كثيرة أشهرها: تهافت التهافت وهو رد على كتاب الغزالي المشهور تهافت الفلاسفة توفي سنة ٥٩٥هـ. راجع: دائرة المعارف الإسلامية ١١٦/١، ١١٧.

## الاستشراق في الاصطلاح:

فلفظ الاستشراق من الألفاظ الحديثة التي ترجع في معناها إلى المعنى اللغوي.

فالاستشراق: هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي، وكلمة مستشرق بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله: أقصاه ووسطه وأدناه، في لغاته وآدابه وحضارته وأديانه[1].

فإذا جمعنا شقي المصطلح جنبًا إلى جنب «الفكر الاستشراقي» فالمراد به الأفكار والمبادئ التي يتناولها أناس من أهل الغرب في دراستهم للشرق بكافة جوانبه واتجاهاته ومناهج وطرق ذلك التناول.

---

= ١٩٨٧، ص٣١٧ ـ ٣١٩، أحمد رضا، معجم متن اللغة، بيروت دار مكتبة الحياة سنة ١٣٧٧هـ، ٣/٣١١.

(١) د. محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري سلسلة كتاب الأمة عدد صفر الخير سنة ١٤٠٤، ص١٨.
وانظر:
ـ المستشار محمد عزت الطهطاوي: التبشير والاستشراق أحقاد وحملات، طبعة مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧ م، ص٣٥.
ـ د. علي محمد عبد الوهاب: بين الإسلام والغرب ضراوة أحقاد ومرارة حصاد، ص١٩٧.
ـ أنور الجندي: موسوعة مقدمات العلوم والمناهج ـ التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة ـ دار الأنصار، القاهرة ب. ت، ٥/٧٤.
ـ محمود محمد شاكر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، كتاب الهلال عدد أكتوبر سنة ١٩٨٧، ص٧٣ وما بعدها.
ـ نايف بن ثنيان آل سعود: المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية في العالم العربي، دار أمية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ط١، سنة ١٤١٤هـ، ص١٦.



# المبحث الثاني

## تاريخ الاستشراق وغاياته وأهدافه

### تاريخ الاستشراق:

ليس من السهل القطع بتاريخ محدد لبداية الاستشراق نظرًا لاختلاف الآراء والأقوال حول تلك البداية لدى علماء الشرق والغرب بعامة.

(فمن العلماء من أرجع نشأته إلى القرن العاشر، أو القرن الثالث عشر، أو القرن الحادي عشر، بل إن من الآراء من رجعوا ببدايته إلى القرن الثامن الميلادي)[1].

ويرجعه البعض إلى (بدايات الدعوة الإسلامية في المدينة واحتكاك الإسلام بأتباع الديانتين السابقتين اليهودية والنصرانية)[2].

مع أن الاستشراق لم يأخذ الواقع المنظم الذي تقوم به مدارس

---

(١) د. علي محمد عبد الوهاب: بين الإسلام والغرب، ص١٩٨.

(٢) د. أحمد شلبي: الاستشراق تاريخه وأهدافه ـ مكتبة النهضة المصرية ١٩٩٦م، ص١٥.

بصورة مقنعة للقارئ الأوروبي، وبأسلوب يدله على أن كاتبها قد خبر ودرس وعرف وبذل كل جهد في الاستقصاء وعلى منهج علمي مألوف لكل مثقف أوروبي... كان جوهر هذه الصورة أن هؤلاء العرب المسلمين هم في الأصل قوم بداة، جهال لا علم لهم كان، جياع في صحراء مجدبة، جاءهم رجل من أنفسهم فادعى أنه نبي مرسل ولفق لهم دينًا من اليهودية والنصرانية، فصدقوه بجهلهم واتبعوه ولم يلبث هؤلاء الجياع أن عاشوا بدينهم هذا في الأرض يفتحونها بسيوفهم، حتى كان ما كان، ودان لهم من غوغاء الأمم من دان، وقامت لهم في الأرض بعد قليل ثقافة وحضارة جلها مسلوب من ثقافات الأمم السالفة... ثم كان من تصاريف الأقدار أن يكون علماء هذه الأمة العربية من غير أبناء العرب (الموالي) وأن هؤلاء هم الذين جعلوا لهذه الحضارة الإسلامية معنى][1].

**ثانيًا: الغاية المعرفية**: وأعني بها [معرفة الشرق ودراسته، أرضه ومياهه، وطقسه وجباله وأنهاره وزروعه وثماره، وأهله ورجاله وعلمه وعلماءه، ودينه وعقائده وتقاليده ولغاته... و... ذلك لكي يعرف كيف يصل إليه][2].

فالمعرفة هادفة إلى التمهيد للاستعمار العسكري لبسط النفوذ وأخذ الثروات، وليس يغيب عن الأذهان تأثير الدافع الديني في ذلك كله إذ هو المحرك والباعث كما أسلفنا في الغاية الأولى[3].

---

(١) محمود محمد شاكر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص٨٩ ـ ٩٠ بتصرف.

(٢) د. عبد العظيم الديب: المنهج عند المستشرقين، ص٨٤.

(٣) د. عبدالله سمك: الاستشراق بين الجحود والإنصاف ـ طبعة ١٤١٢هـ، ص٥٩: ١٩٩، ود. علي عبد الوهاب: بين الإسلام والغرب، ص٢١٤ ـ ٢٢٢، د. محمود زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية، ص٧٠، ٧٤.



# المبحث الثالث

## قنوات اتصال الدكتور طه حسين بالفكر الاستشراقي

اتصل الدكتور طه حسين بالاستشراق عندما التحق بالجامعة المصرية القديمة في أول نشأتها سنة ١٩٠٨م، وظل هذا الاتصال قائمًا حتى لقي الدكتور ربه في ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٧٣م، ولقد أخذ هذا الاتصال أشكالاً وأساليب مختلفة نعرض لها فيما يلي بإذن الله:

### الاتصال الدراسي:

أ: في مصر:

بدأ هذا الاتصال في الجامعة المصرية القديمة، إذ كانت الجامعة قد استقدمت عددًا من المستشرقين للتدريس بها، فما إن اختلف طه حسين إلى دروس الجامعة واستمع لهؤلاء الأساتذة من المستشرقين (حتى ملكوا عليه أمره واستأثروا بهواه... واتصل طه بأساتذته أولئك اتصالاً متينًا فكلهم قد عرفه، وكلهم قد آثره بالحب والرفق والعطف، وكلهم قد أدناه من نفسه ودعاه إلى أن يزوره في فندقه، وأحب أن

الأساتذة كل ما يقولون، ولا يجد في فهمه التواء أو عسرًا وهو لا يكره شيئًا كما يكره انتهاء الدروس، ولا يتشوق إلى شيء كما يتشوق إلى ما سيستقبل منها. . . وهذا أستاذ ألماني هو الأستاذ ليتمان[1] قد أقبل يتحدث إلى الطلاب عن اللغات السامية والمقارنة بينها وبين اللغة العربية ثم يأخذ في تعليمهم بعض هذه اللغات][2].

ولقد امتدت صلته ببعض هؤلاء الأساتذة في مرحلة العطاء وكانت صلته بهم أكبر من صلة الأستاذ بتلميذه. . فعلى سبيل المثال يلتقي بالمستشرق إينو ليتمان مرات كثيرة في مواطن مختلفة، وكانت سعادة ليتمان بلقاء طه تفوق سعادة طه بذلك ويذكر طه لقاءين التقى فيهما ليتمان وكانت حرارة اللقاء شديدة [أحدهما: في ليدن بهولندا عندما سمع (ليتمان) تلميذه الفتى (طه) يلقي بحثه في مؤتمر المستشرقين فلم يملك دموعه التي أخذت تفيض على وجهه بين الزملاء، والآخر: في كلية الآداب بجامعة القاهرة عندما شارك تلميذه في امتحان السيدة سهير القلماوي لدرجة الماجستير، وأعلن مفاخرًا بعد فوزها بالدرجة أنه مغتبط سعيد، لأنه يشارك في تخرج هذه الفتاة التي يعدها حفيدته، لأنها ابنة تلميذه ذاك الفتى، وما أكثر ما تحدث بعد ذلك بأنه جد في علم له ابن وله حفدة][3].

---

(١) إينو ليتمان: (١٨٧٥ ـ ١٩٥٨م) درس في ألمانيا خاصة على نولدكه، له اهتمام كبير بالآثار، درّس بالجامعة المصرية عند إنشائها، وانتخب عضوًا بالمجمع اللغوي بمصر، وشارك في تحرير دائرة المعارف الإسلامية، راجع د. أحمد محمود هويدي: الاستشراق الألماني، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص١٠.

(٢) طه حسين: الأيام ٣/٣٤.

(٣) طه حسين: الأيام ٣/٥٥.

الأستاذ سنتلانا التي ألقاها بالجامعة المصرية[١].

ومما وثق صلة طه حسين بالمستشرقين في هذه الفترة تعلمه اللغة الفرنسية إذا كان من الضروري لمتابعة الدراسة بالجامعة من إتقان لغة من اللغتين الإنجليزية أو الفرنسية فاختار طه حسين اللغة الفرنسية، (وبهذه اللغة بدأت صلته بالثقافة الفرنسية وربما كان الذي وجهه لدراسة الفرنسية دون الإنجليزية أن البلاد كانت محتلة احتلالاً إنجليزيًا مما جعل الإنجليزية بغيضة ثقيلة لدى جمهرة المثقفين الوطنيين في ذلك الوقت يضاف إلى ذلك أن زعماء الحركة الوطنية آنذاك كانوا ممن تعلموا بفرنسا وأتقنوا الفرنسية)[٢].

**ب: الاتصال الدراسي في فرنسا:**

في شهر مايو سنة ١٩١٤ ركب طه حسين البحر في طريقه إلى فرنسا، وما كاد يصل إلى مرسيليا حتى أخذ طريقه إلى مونبلييه لدراسة العلوم التاريخية[٣] (. . . ويذهب إلى الجامعة فيسمع فيها ما شاء الله أن يسمع من دروس الأدب والتاريخ واللغة الفرنسية، لا يسمع درسًا إلا أحس أنه قد علم ما لم يكن يعلم، وأضاف إلى علمه القديم علمًا جديدًا، وهو على قلة حظه من إحسان اللغة الفرنسية لم يكن يجد كثيرًا من المشقة، ولا يبذل كثيرًا من الجهد، ليفهم ما كان الأساتذة يلقون من الدروس فهمًا يغنيه ويرضيه)[٤].

---

(١) طه حسين: تجديد ذكرى أبي العلاء ٣٥/١٠.
(٢) د. كمال حامد مغيث: طه حسين مصادره الفكرية. . ./ مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان ـ مصر ـ ط١ سنة ١٩٩٧م.
(٣) سامي الكيالي: مع طه حسين، ص٢٤.
(٤) طه حسين: الأيام ٨٠/٣.

والبيزنطي على شارل ديل[1]، والتاريخ الحديث على سينبوس[2]، والجغرافيا على ديمانجون وجالوا[3]. . .

«**والمعهد الثاني**: هو الكوليج دي فرانس وكنت أحضر فيها درس القرآن بالعربية على كازانوفا[4]، وعلم النفس على بيير جانيه[5]. . ».

**والمعهد الثالث**: مكتبة القديسة جنيفياف. [كانت تصحبني إليها الآنسة، والبيت: أعده المعهد الرابع، فقد كنا نجتمع في المساء، الآنسة وأختها وأمها وأنا، فتقرأ إحداهن رواية، أو رواية تمثيلية أو قصة أدبية فقرأنا تمثيل القرن الماضي وكثير من كتب أناتول فرانس[6] وبورجيه[7]

---

= الثورة الفرنسية وأنشأ مع أحد زملائه. جمعية تاريخ الثورة. راجع الموسوعة العربية الميسرة ٢٦٩/١.

(١) شارل ديل (١٨٦١ ـ ١٩٢٠م) مستشرق إنجليزي، بدأ أعماله الأدبية سنة ١٨٨٥، نشر المفضليات للضبي وله فصول في دائرة المعارف البريطانية. راجع: الزركلي، الأعلام. دار العلم للملايين بيروت، ط١٩٨٦/٧، ٨٥/٢.

(٢) سينبوس، شارل (١٨٥٤ ـ ١٩٤٢م) مؤرخ فرنسي، درس بجامعة باريس، من أشهر مؤلفاته: تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، الموسوعة العربية الميسرة ١٠٥٩/١.

(٣) البرت ديمانجون (١٨٧٢ ـ ١٩٤٠م) درس الجغرافيا والتاريخ من آثاره اضمحلال أوروبا صدر ١٩٢٠م.
أما جالوا فلعله إيفارست جالوا (١٨١١ ـ ١٨٣٢م) عالم الرياضيات الفرنسي عاش عشرين عامًا وله إسهامات رائعة في علم الجبر. موسوعة ويكيبيديا.

(٤) كازانوفا: سبق ترجمته، ص٦٧.

(٥) بيير جانيه: (١٨٥٩ ـ ١٩٤٧م) سيكولوجي فرنسي، أنشأ مجلة علم النفس السوي والمرضي، من آثاره «العلاجات النفسية». الموسوعة العربية الميسرة ٤٥٨/١.

(٦) أناتول فرانس (١٨٤٤ ـ ١٩٢٤م) كاتب وروائي فرنسي، غلب على أدبه التهكم اللاذع، من أشهر مؤلفاته تاييس، حديقة أبيقور، منح جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٢١م. منير البعلبكي: موسوعة المورد. دار العلم للملايين بيروت، ط١ سنة ١٩٨١، ١٦٢/٤.

(٧) بول بورجيه كاتب فرنسي (١٨٥٢ ـ ١٩٣٥م) من أعماله جريمة الحب، وشيطان الظهيرة. موسوعة ويكيبيديا.

وكتب شاتوبريان[1] كتابه: عبقرية النصرانية فنسج طه على منواله «على هامش السيرة» «والوعد الحق» لا ليدافع عن الإسلام ومعتنقيه كما دافع شاتوبريان عن النصرانية بل ليجعل سيرة الرسول محمد ﷺ جزءًا من الأساطير.

وتأثر طه حسين بالمفكر الفرنسي الأديب فولتير في محاربة الأخير الكنيسة ورجالها... فهاجم طه حسين الأزهر الشريف هجومًا عنيفًا وربما نال من الإسلام نفسه في بعض الجوانب.

وتأثر طه حسين بالمفكر الفرنسي أرنست[2] رينان المولود عام ١٨٢٣ الذي كان يرفض الانضواء تحت سلك رجال الدين وفضل الحياة العامة.

وكذلك كان طه معجبًا بأفكار الفيلسوف الفرنسي «أوجست كونت»[3] [مؤسس الفلسفة الوضعية (١٧٩٨ ـ ١٨٥٧) التي تنادي بأن العلم وحده قادر على إيجاد حل لكل القضايا الاجتماعية والفلسفية][4].

---

(١) شاتو بريان، فرانسو رينيه (١٧٦٨ ـ ١٨٤٨م) كاتب فرنسي زار أمريكا وأقام بإنجلترا عينه نابليون سفيرًا لفرنسا في إيطاليا. من مؤلفاته: «الشهداء» و«مذكرات وراء القبر» الموسوعة العربية الميسرة ١٠٦٢/٢.

(٢) أرنست رينان (١٨٢٣ ـ ١٨٩٢م) مؤرخ وناقد ومستشرق فرنسي، درس بباريس، اهتم بالدين من الناحية التاريخية لا من الناحية العقائدية كتب تاريخ نشأة المسيحية. الموسوعة العربية الميسرة ٩١٣/١.

(٣) أوجست كونت (١٧٩٨ ـ ١٨٥٧م) رياضي وفيلسوف فرنسي، مؤسس الفلسفة الوضعية، هدفه الأسمى هو إصلاح المجتمع ليعيش الناس في توافق وانسجام. الموسوعة العربية الميسرة ١٥١٧/٢، المورد: ٢٠.

(٤) الأب كمال قلته: طه حسين وأثر الفرنسية في أدبه نقلاً عن د. عبد المجيد المحتسب: طه حسين مفكرًا، ص٢٠٦، ٢٠٧ بتصرف.

**ب ـ الزيارات المنزلية:**

ولم تقتصر علاقة طه بالمستشرقين على التلمذة والدراسة أو مجرد الزمالة بعد ذلك في العمل الجامعي وإنما ارتبط الدكتور بالعديد من المستشرقين بعلاقات شخصية امتدت مع سنوات حياته.

ولقد كان منزل طه المحطة الأولى بالقاهرة لكثير من المستشرقين تقول زوجة طه عن ذلك: «عند تأسيس جامعة الدول عام ١٩٢٥ اتخذ الطريق إلى بيتنا ـ الذي لم يهجره بالطبع أصدقاء القاهرة الأوفياء (تعنى المستشرقين) قادمون جدد، وهناك بدأت جلسات الأحد التي سرعان ما اتسعت كثيرًا في الزمالك، كان طه خلالها قطبًا حقيقيًّا من الجاذبية. . . إذ ما كان الأساتذة الأجانب الذين كانوا يؤلفون أول فريق يصلون مصر حتى يأتوا بالطبع إلى بيتنا لقضاء ساعة أو ساعتين برفقة زوجاتهم، وكان منهم العميد جريجوار[(١)]، والفيلسوف إميل برهييه[(٢)]، وعالم الآثار الإنجليزي جريدور[(٣)]، والشخصية الساحرة سكايف[(٤)] الذي كان شاعرًا بقدر ما كان أستاذًا للأدب الإنكليزي ثم بعد ذلك للاند[(٥)] وسانياك[(٦)]»[(٧)].

---

(١) جريجوار: مستشرق بلجيكي ولد عام ١٨٨٨م تخرج من جامعة بروكسل وعين أستاذًا بها، ثم عميدًا لكلية الآداب بالجامعة المصرية (١٩٢٦ ـ ٣٠) وله مصنفات عديدة، منها: الإسلام والملحمة البيزنطية. المستشرقون ٢٣١/٣.

(٢) إميل برهييه: إميل برهييه (١٨٧٦ ـ ١٩٥٢م) فيلسوف مؤرخ، له تاريخ الفلسفة في ٧ أجزاء.

(٣) جريدور: لم أستدل على ترجمته.

(٤) سكايف: لم أستدل على ترجمته.

(٥) أندريه لالاند: فيلسوف فرنسي (١٨٧٦ ـ ١٩٦٣م) عمل أستاذاً للفلسفة في السوربون. موسوعة ويكيبيديا.

(٦) سانياك: لم أستدل على ترجمته.

(٧) سورة طه حسين: معك، ص٧٤.

اليوم كم كانت صداقته حية وعميقة، وعندما قبَّل طه على جبهته عند مغادرته له كان ثمة حمية عفوية فاجأتني وأثرَّت فيَّ»[1].

أما عن آثار تلك اللقاءات والزيارات فتتحدث زوجته قائلة: «كانت أيامنا تلتهم بسرعة فائقة، إلا أن ذلك كان أخاذًا وخاصة تلك اللقاءات التي كانت تتم بوجه خاص مع أناس قادمين من خارج مصر، والتي كانت تزداد بنسبة مثيرة، وكان ينتج عنها محاورات خصبة بالنتائج وتبادل الأفكار، وإسهامات مختلفة، بقدر ما كان ينتج عنها أيضًا حجارة جديدة من أجل البناء الذي كان طه يتابع إنشاءه بكتبه ونشاطه... حجارة جديدة للآخرين أيضًا ولا شك»[2].

وتقول واصفة اللقاءات الأخيرة من حياة طه مع المستشرقين: «بات الزوار يفدون في مجموعات أقل عددًا وأصبحت المحادثات، وخاصة منها ما كان مع الزوار الأجانب الذين يمرون في القاهرة تتم على انفراد تقريبًا»[3].

وكذلك تتحدث زوجته عن لقاءات كانت تتم بينه وبين المستشرقين سمتها اجتماعات التعاون الفكري[4].

**جـ ـ حضور المؤتمرات الاستشراقية[5]:**

كانت الصلة القوية بين طه ونفر من المستشرقين والتي بدأت في

---

(١) سوزان طه حسين: معك، ص٢٥٦.

(٢) المرجع السابق، ص١٢٦.

(٣) المرجع السابق، ص٢٥٥.

(٤) المرجع السابق، ص١٦٢.

(٥) بلغت مؤتمرات المستشرقين الدولية (١٨٧٣ ـ ١٩٦٨) ٣٠ مؤتمرًا، ضم الواحد=

من قوله: «كثير جدًا الفوائد المختلفة التي تنتجها مثل هذه المؤتمرات، فلست أذكر الفائدة الأساسية التي يستفيدها علم التاريخ، وإنما أذكر فوائد أخرى غير هذه ليس بينها وبين التاريخ صلة، فيكفي أن تكون فطنًا دقيق الملاحظة لتجد لذّات متنوعة في ملاحظة هؤلاء الناس المختلفين في الوطن والجنس والطبيعة والمزاج، وما لكل واحد منهم من عادة أو خلق أو مزية أو نقيصة، والحق أني استفدت كثيرًا من الوجهة العلمية التاريخية»(١).

كما شارك الدكتور في مؤتمر أوكسفورد والذي عقد عام ١٩٢٨ وألقى به محاضرة عنوانها: «ضمير الغائب واستعماله اسم إشارة في القرآن»(٢).

«ولقد اشترك في هذا المؤتمر ٩٠٠ عالم، عن ٢٥ دولة، و٨٥ جامعة و٦٩ جمعية علمية. وانقسم المشتركون أربعة عشر جماعة تنفرد كل منها بقسم من جدول الأعمال، وهي: الدراسات المصرية القديمة، الدراسات الآسيوية البابلية، وآثار الشرق الأدنى والعهد القديم، وآثار الكتاب المقدس. والشرق المسيحي. وبيزنطية، والدراسات السامية، والدراسات الإسلامية (اللغة والأدب) والدراسات الإسلامية (التاريخ والفن)، والدراسات التركية، والداسات الخاصة بإيران والقوفاز وما جاورهما، والدراسات الهندية، ودراسات آسيا الوسطى، ودراسات آسيا

---

(١) طه حسين: من بعيد. المجموعة الكاملة ٥٥/١٢.

(٢) محمود مهدي الإستانبولي: طه حسين في ميزان العلماء والأدباء، المكتب الإسلامي بيروت، ط١ سنة ١٤٠٣هـ، ص٤٥٥، وقد نقل المؤلف في الكتاب المذكور رد فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين على الدكتور طه والذي بعنوان: «حقيقة ضمير الغائب في القرآن رد على طه حسين» والذي نشر في مجلة الهداية الإسلامية الجزء الثاني من المجلد الأول عام ١٣٤٧ هجرية.

ويضاف إلى هذه المؤتمرات تلك الأسفار المتعددة التي كان يقوم بها في الإجازات الصيفية.. فكانت هذه الأسفار محلاً. للالتقاء بالكثير من المستشرقين والتحدث إليهم.

**د ـ تعاونه مع اليونسكو[1]:**

ينكر الدكتور طه حسين ذات يوم على الحكومة المصرية عدم إيفاده إلى مؤتمر اليونسكو ببيروت ممثلاً لها ويعيب عليها هذا التنكر له ولصلته بتلك المنظمة فيقول:

«لم ترد الحكومة المصرية، أو لم يخطر لها أني أستطيع أن أمثلها بين من مثلها في مؤتمر الأونسكو، وهي تعلم حق العلم أن بين الأونسكو وبيني صلات متصلة وأواصر متينة، وأني كنت من خبرائها مرتين في أقل من نصف عام، وأني مثلت مصر في مجلس التعاون الفكري الذي كان يقوم مقام الأونسكو قبل الحرب العالمية الثانية، أنشأته عصبة الأمم القديمة كما أنشأت الأونسكو عصبة الأمم الحديثة»[2].

وعن طبيعة هذا التعاون مع اليونسكو تقول زوجته سوزان: (كان طه يتعاون مع اليونسكو منذ سنوات، وقد اهتم كثيرًا بالمشروع الكبير» الشرق ـ الغرب» فكان أحد أعضاء اللجنة الاستشارية التي اشترك فيما أظن في جلساته الأربع، أما بالنسبة للاجتماع الخامس في عام

---

(١) يونسكو: اسم (اختصار) يطلق على منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة وهي إحدى الوكالات المتخصصة التابعة لهيئة الأمم المتحدة. جاء إنشاؤها ثمرة المؤتمر الذي عقد في لندن سنة ١٩٤٥. بتصرف من القاموس السياسي أحمد عطية عبدالله، ص١٤٣٩.

(٢) طه حسين: بين بين. المجموعة الكاملة. الشركة العالمية بيروت، ط٢ سنة ١٩٨٣، ٤٩١/١٤.

وسيلة من وسائل التواصل وتبادل الآراء في الثقافة والحياة العامة، كما كانت وسيلة من وسائل الدعم المعنوي ولا أدل على ذلك من رسالة لويس ماسينيون[1] إلى طه والذي سطرها في أكتوبر عام ١٩٥٢م، والتي جاء بها «. . . أكتب إليك لأعبر لك عن إعجابي وفرحتي بمشاريعكم ففي عالم المبتزين والجبناء تتألق شجاعتكم لتواسي بعض من لا يتوصلون إلى قتل أنفسهم في الشهادة من أجل العدالة، شأنهم في ذلك شأني، إنني أدعو الله أن يبارك طه حسين لقاء الزكاة الروحية التي يؤديها للشعب المصري. . . أقبلك يا صديقي وليبارك الله زوجتك العزيزة بسببك وكذلك أولادك وأصدقاءك، بل حتى أعداءك الذين لولاهم ما كنت لتتنبه إلى المهمة الملقاة على عاتقك»[2].

وكذلك كان يفعل إيتيامبل[3] فهو لم يكف عن الكتابة إلى طه طوال حياته ومساعدته في حياته الثقافية. . . فقد كان ضمن الذين لهم مجهود كبير في توفير مقالات غير منشورة لكتاب معاصرين يبعثها لطه لتترجم وتنشر في الكاتب المصري ـ المجلة التي أصدرها طه حسين لمدة ثلاث سنوات.

---

(١) لويس ماسينيون (١٨٨٣ ـ ١٩٦٢) اتصل بجولدزهير وتتلمذ على يديه، شارك في مؤتمرات المستشرقين، ودرَّس بالجامعة المصرية تاريخ الفلسفة عام (١٩١٢ ـ ١٩١٣م) واستمع إلى دروس الأزهر بالزي الأزهري، نال عضوية الكثير من المجامع اللغوية وكان له اهتمام عظيم بالتصوف الإسلامي آثاره تربو على ٦٥٠ مصنفًا. المستشرقون ٢٦٣/١ وما بعدها.

(٢) سوزان طه حسين: معك، ص٢٥٥.

(٣) إيتيامبل: فرنسي، عمل أستاذًا للأدب الفرنسي بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول. نشر عدة مقالات في مجلة الكاتب المصري ابتدأها بمقال بالعدد ١٦ الصادر في يناير سنة ١٩٤٧. راجع مجلة الكاتب المصري ـ العدد المذكور، ص٦٥٦ من المجلد الرابع [المجموعة الكاملة].

الذي كان له دوي هائل، وكذلك حول تأملات أبيه في التصوف الإسلامي التي عرضها في مقدمته للنص العربي من كتاب أندريه جيد «الباب الضيق»[(١)]، وتخبر عن لويس ماسينيون ـ الذي كان يدرِّس ولدها مؤنس في معهد المعلمين العالي بباريس ـ «أنه كان يمشي مع مؤنس عقب المحاضرات التي كان مؤنس مفتونًا بها، وأنه كان يستعلم باهتمام ودي عن كل ما يقوم به طه حسين من عمل أو يخطط للقيام به»[(٢)].

**و ـ إنشاء المعاهد العلمية وتفعيلها:**

ومن المحاور التي كانت تمثل قناة من قنوات الاتصال بالفكر الاستشراقي قيام الدكتور طه حسين بالمشاركة والمساهمة في معاهد ومؤسسات علمية تعمل على مد الجسور بين الشرق والغرب، فكان من ذلك تعاونه مع د. حسين مؤنس[(٣)] في تأسيس المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد سنة ١٩٥٠ وكان الدكتور إبان ذلك وزيرًا للمعارف، واعترافًا من الدكتور مؤنس بفضل طه حسين على المعهد أطلق على قاعة المحاضرات اسمه تقديرًا لجهده واعترافًا بجميله[(٤)].

كما شارك الدكتور وساهم في تفعيل معهد دار السلام بكنيسة دار السلام بمصر القديمة (وهو من المعاهد التي لها أهداف ظاهرة وأخرى

---

(١) سوزان طه حسين: معك، ص١٥٩.
(٢) المرجع السابق، ص٢٥٣.
(٣) د. حسين مؤنس: مواليد ٢٨ أغسطس سنة ١٩١١ بمحافظة السويس، مؤرخ مشهور وله اهتمام خاص بالتاريخ الأندلسي من أهم آثاره: أطلس تاريخ الإسلام. إبراهيم عبد العزيز: رسائل طه حسين، ص١٦٢.
(٤) إبراهيم عبد العزيز: رسائل طه حسين، ص١٦٤.



## المبحث الرابع

## اهتمام المستشرقين بأدب طه حسين

اهتم المستشرقون بأدب طه حسين فصنفوا الكتب حوله، وتحدثوا عن دوره في مسيرة الأدب العربي الحديث، وترجموا الكثير من كتاباته إلى لغاتهم.

ولم تكن عناية المستشرقين مقصورة على طه حسين بل تناولت غيره ممن اشتغلوا بالأدب في القرن الماضي.

(ولقد بنى المستشرقون دراساتهم لأدبنا العربي على أساس تحقيق دراسة الأدب العربي، حسب التقلبات الاجتماعية والسياسية والتاريخية، مع الحرص على إبراز المواقف الفكرية التي تكشف عن شخصية الأديب وتوضح اتجاهاته)[1].

ولئن أردنا أن نذكر نماذج من دراسات المستشرقين حول كتابات طه حسين تصنيفًا وترجمة لذكرنا أول ما نذكر مقالات المستشرق

---

(١) د. السيد مرسي أبو ذكري: آثار المستشرقين في الأدب، مجلة الأزهر عدد جمادى الآخرة سنة ١٤٢٠هـ، أكتوبر سنة ١٩٩٩ الجزء السادس السنة الثانية والسبعون، ص٨٩١.

رتزتانو[1] دراسة بعنوان «طه حسين سيرة وآثار ١٩٦٤»، وكتبت ماريا نالينو[2] ابنة المستشرق الإيطالي نالينو دراستين عن طه حسين الأولى: بعنوان نبذة عن مصنفات طه حسين بك ١٩٥٠م، والثانية: بعنوان طه حسين وإيطاليا سنة ١٩٦٤م[3].

ومن المستشرقين الفرنسيين كتب بلاشير[4] دراسته عن المتنبي وتعرض فيها لناقدي هذا الشاعر العظيم ومنهم طه حسين، وكتب كذلك شارل فيال[5] دراسة بعنوان طه حسين، وترجم الفرنسيان جان لوسر وجاستون فييت الجزأين الأول والثاني من الأيام، وكتب جاك بيرك[6] دراسة بعنوان مختارات من أعمال طه حسين.

(كما ترجم جاستون فييت[7] «شجرة البؤس» إلى الفرنسية، وترجم ريمون فرنسيس[8] «دعاء الكروان» إلى الفرنسية أيضًا وتُرجم كتاب الأيام لطه حسين إلى عدة لغات:

---

(١) رتزتانو، أومبرتو المتوفى سنة ١٩٨٠ تعلم العربية في مصر وإيطاليا، انتدب أستاذًا في جامعة عين شمس ثم في جامعة بالرمو. المستشرقون ١/٤٦٢.

(٢) نالينو، ماريا (١٩٠٨ ـ ١٩٧٤) كريمة كارلو نالينو، تخرجت عليه ورافقته في أسفاره واستأنفت نشاطه من بعده، اختيرت عضوًا مراسلاً للمجمع اللغوي في مصر ١٩٥٦ واحتلت منزلة مرموقة بين المستشرقين. المستشرقون ١/٤٥٤.

(٣) راجع نجيب العقيقي: المستشرقون ٣/٤٧٢.

(٤) سبق ترجمته، ص١٠٨.

(٥) فيال، شارل المولود عام ١٩٢٨ مستشرق فرنسي ولد بالجزائر، عمل في المعهد الفرنسي بالقاهرة، من آثاره: المجتمع المصري من خلال السيرة الذاتية لطه حسين. المستشرقون ١/٣٧٢.

(٦) بيرك، جاك مستشرق فرنسي تخرج في باريس، عين مديرًا لقسم البحوث الفنية والتجريبية في سرس الليان بمصر (١٩٥٣ ـ ١٩٥٤). المستشرقون ١/٣٣٦.

(٧) سبق ترجمته، ص٨٥.

(٨) لم أستدل على ترجمته.

# الفصل الثالث

## طه حسين والعقيدة الإسلامية

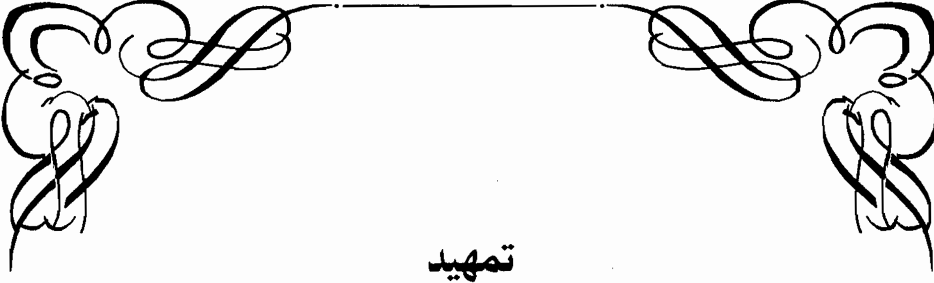
**ويشتمل على تمهيد وأربعة مباحث:**

**المبحث الأول:** طه حسين ونشأة الدين.

**المبحث الثاني:** طه حسين ونزعة الشك.

**المبحث الثالث:** طه حسين وقضية الجبر والاختيار.

**المبحث الرابع:** طه حسين ونجاة اليهود والنصارى في الآخرة.



# تمهيد

اتجه طه حسين للكتابة عن الإسلام منذ عرف طريقه إلى الكتابة الصحفية في أوائل القرن الماضي، وكتاباته في صحف «العلم»، و«الهداية»، و«السفور» خير شاهد على ذلك، وربما مزج الموضوعات الدينية بالموضوعات اللغوية نظرًا لقرب التماس بينهما.

وجاءت كتابات طه في هذه الفترة متسمة بالمحافظة وتعبر عن تعاليم الدين الصافية التي تعلمها في الأزهر، وربما شابها في بعض الأحيان اضطراب واختلاط نظرًا للتأثر بكتابات بعض المتأثرين بالغرب الداعين إلى نظمه ومناهجه مثل: (قاسم أمين[١] الذي نادى بتحرير المرأة وفتحي زغلول[٢] الذي كان يترجم الكتب الغربية وأيضًا بما قدمته (الجريدة) في أول عهده بها من روح جديدة في السياسة والاجتماع)[٣].

أما عطاء طه الإسلامي فجاء كمرحلة ثانية في مرحلة العطاء بعد إتمام الدراسة بمصر وفرنسا، فالمرحلة الأولى غلب عليها الكتابة عن

---

(١) قاسم أمين: سبق ترجمته، ص٤٦.
(٢) فتحي زغلول: سبق ترجمته، ص٤٦.
(٣) طه حسين: الأيام ١٧٥/٢ بتصرف.

سبحانه. والعبرة بصواب ما كتب أو خطئه، ونظرًا لما أثير على كتابات طه حسين الإسلامية أو اللغوية والأدبية التي مست الدين من تساؤلات ومناقشات رأيت من المحتم دراستها والوقوف عليها محاولاً التركيز على جوانب التأثر بالفكر الاستشراقي وبيان مجالات الالتقاء أو الاختلاف ثم بيان مدى موافقتها أو اختلافها مع تعاليم الإسلام.

## طه حسين والعقيدة الإسلامية:

ليس الغرض من الكتابة تحت هذا العنوان الحكم على طه حسين بكفر أو إيمان، وإنما الغرض الوقوف على آرائه التي تتعلق بالعقيدة الإسلامية، وبيان مدى موافقتها لمذهب أهل السُّنَّة والجماعة ثم الكشف عن صلة هذه الآراء بآراء المستشرقين وبيان أوجه الاتفاق بينهما أو الاختلاف.

وإنما أخذت نفسي بهذا المسلك لأنني في المقام الأول أحد الدعاة إلى الله الذين يوضحون للناس الخير ويحثونهم عليه ويبينوا لهم الشر وينهونهم عنه، دون أن يتورطوا في الحكم على أحد من أهل القبلة من أصحاب المعاصي أو من أهل الشطط في الرأي بكفر أو خروج عن الملة، يمنعهم من ذلك أنهم ليسوا قضاة هذه واحدة.

**والثانية**: خطورة التكفير وذلك لما يترتب عليه من مواقف وآثار مثل التفريق بين المحكوم بكفره وبين زوجه وخلع سلطانه عن أولاده حتى لا يؤثر على اعتقادهم، وفقدانه حق الولاية والكره من المجتمع الإسلامي... إلخ[1].

(١) سعيد بن علي بن وهف القحطاني: قضية التكفير بين أهل السُّنَّة وفرق الضلال. السعودية مؤسسة الجريسي، ط١، سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص٥٠ ـ ٦٢ بتصرف.



# المبحث الأول

## طه حسين ونشأة الدين

من القضايا الخطيرة التي نسبت إلى الدكتور طه حسين أنه كتب في جريدة السياسة اليومية لسان حال حزب الأحرار الدستوريين كلامًا يقول فيه ببشرية الدين، فكان مما قاله بهذا الشأن: (إن العالم ينظر إلى الدين كما ينظر إلى اللغة وكما ينظر إلى الفقه، وكما ينظر إلى اللباس، من حيث إن هذه الأشياء كلها ظواهر اجتماعية يحدثها وجود الجماعة وتقع للجماعة في تطورها، وإذن فالدين في نظر العلم الحديث ظاهرة كغيره من الظواهر الاجتماعية لم ينزل من السماء ولم يهبط به الوحي، وإنما خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها وإن رأى «دوركايم»[1] أن الجماعة تعبد نفسها، أو بعبارة أدق «أنها تؤله نفسها» - يريد أنها تخترع الإله بفكرها ثم تعبده فهي تعبد فكرها وتؤله نفسها - وأن النصيحة أن يقال: الحق للناس، وهو أن الدين في ناحية والعلم في ناحية أخرى وليس إلى لقائهما من سبيل...)[2].

---

(١) سبق ترجمته، ص٦٧.

(٢) نقلاً عن: مصطفى صادق الرافعي: تحت راية القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت ط٨، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٣٥٢، ٣٥٣، محمود مهدي الإستانبولي: =

اجتماع الوصفين في رجل واحد شخصيتين لهذا الرجل الواحد... ومتى قطع العلم على أن الجماعة الإنسانية خرجت من الأرض؟... ومتى كان العلم يبحث في الأديان على أنه علم؟ وكيف له أن يبحث فيها وهو مقصور بطبيعته وتحديد هذه الطبيعة على ما يدخل في باب الأدلة الحسية، ولا وسائل له إلا وسائل الحس المعروفة من البحث(١)، والاستقراء(٢)، والمقابلة(٣)، والاستنباط(٤))(٥).

والحق أن الدكتور في رأيه هذا لم يكن سوى مجرد بوق يردد ما سمعه من أستاذه دور كايم الذي كان من نظريته قوله: (يقول بعض العلماء بوجود عاطفة دينية فطرية لدى الإنسان، وبأن هذا الأخير مزود بحد أدنى من الغيرة الجنسية والبر بالوالدين، ومحبة الأبناء وغير ذلك من العواطف. وقد أراد بعضهم تفسير نشأة كل من الدين والزواج

(١) البحث: وسيلة للاستعلام والاستقصاء المنظم والدقيق الذي يقوم به الباحث بغرض اكتشاف معلومات أو علاقات جديدة، بالإضافة إلى تطوير أو تصحيح المعلومات الموجودة فعلاً على أن يتبع في هذا الفحص والاستعلام الدقيق خطوات المنهج العلمي واختيار الطريقة والأدوات اللازمة للبحث وجمع البيانات.
راجع: د. عبدالله سمك: البحث العلمي بين الأصالة والمعاصرة ب. ن، ط١ سنة ١٤١٥هـ/سنة ١٩٩٤م، ص٦.

(٢) الاستقراء: تتبع الجزئيات للوصول إلى نتيجة كلية. [المعجم الوجيز، ص٥٠٠].

(٣) المقابلة: وتعني المحادثة الجادة الموجهة نحو هدف محدد غير مجرد الرغبة في المحادثة لذاتها فهي أشبه باستفتاء شفهي. راجع: د. عبدالله سمك: البحث العلمي بين الأصالة والمعاصرة، ص١٧٢.

(٤) الاستنباط: هو المنهج الذي ينتقل من المبادئ الكلية إلى الجزئية أو من القوانين العامة إلى الأحكام الفرعية دون التجاء إلى التجربة. راجع: د. عبد الله سمك: البحث العلمي، ص١٠٢.

(٥) مصطفى صادق الرافعي: تحت راية القرآن، ص٣٥٥، ٣٥٦ بتصرف.

الجانب الآخر وصف بالجمال والكمال، كما أنه بهذا التعريف قد جرد ماهية الدين من فكرتي الروحية والإلهية، وهو إذ فعل ذلك فقد جرد الدين من أخص صفاته)[1].

فدوركايم حين يزعم أن الدين نتاج أرضي لا يلام في ذلك؛ لأنه كافر وليس بعد الكفر ذنب، فهو متمرد على الأديان وإن كان يهودي الأصل لكنه مبتوت الصلة بدينه ولو كان ديِّنًا حقا ما سقط هذا السقوط المريع.

إن التدين فطرة أصيلة في حياة الجماعة الإنسانية وحقيقة أجمع عليها مؤرخو الأديان [فقد وجدوا الإنسان منذ أقدم العصور يتدين ويتعبد ويؤمن بإله حتى قال أحد كبار المؤرخين: «لقد وجدت في التاريخ مدنًا بلا قصور ولا مصانع ولا حصون ولكن لم توجد أبدًا مدن بلا معابد».

قد يتراكم على هذه الفطرة صدأ الشبهات أو غبار الشهوات وقد تنحرف وتتدنس باتباع الظن واتباع الهوى، أو التقليد الجاهل للأجداد والآباء أو الطاعة العمياء للسادة والكبراء، وقد يصاب الإنسان بداء الغرور والعجب فيظن نفسه شيئًا يقوم وحده ويستغني عن الله!! بيد أن هذه الفطرة تذبل ولا تموت، وتكمن ولا تزول، فإذا أصاب الإنسان من شدائد الحياة وكوارثها ما لا قبل له به، ولا يد له ولا للناس في دفعه ولا رفعه، فسرعان ما تزول القشرة السطحية المضللة، وتبرز الفطرة العميقة الكامنة، وينطلق الصوت المخنوق المحبوس داعيًا ربه

---

(١) د. محمد عبدالله دراز: الدين. دار القلم. الكويت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٣٦، ٥٣ بتصرف.

سرعان ما ظهر للناس في صورة بحث طويل جاء ضمن كتابه «من بعيد» تحت عنوان: «بين العلم والدين» استعرض فيهما ما أسماه قصة الصدام بين الدين والعلم في القديم والحديث حتى وصل إلى عصره الذي يعيش فيه أو بالأحرى حتى تاريخ كتابة البحث (الذي جاء في أعقاب الضجتين اللتين نشبتا بعيد نشر كتاب «الإسلام وأصول الحكم» لعلي عبد الرازق عام ١٩٢٥م وكتاب «في الشعر الجاهلي» عام ١٩٢٦م، واللتين انتهتا إلى إعدام الكتابين، وإلى طرد مؤلفيهما، الأول: من القضاء الشرعي وتجريده من لقب عالم أزهري، والثاني: من الجامعة المصرية)[1].

وانتهى الدكتور في هذا البحث بأن قال: [ستظن بعد أن تقرأ هذا كله أنا لا نرى الخصومة قوية بين العلم والدين في نفسهما، وإنما نرى أن السياسة تستغلها لمنفعتها ولو تركتهما لتصافيا وائتلفا.. كلا! نحن لا نرى هذا الرأي وإنما نرى ما قلناه في أول هذا البحث من أن الخصومة بين العلم والدين أساسية جوهرية لا سبيل إلى اتقائها ولا إلى التخلص منها. هي أساسية جوهرية؛ لأن العلم والدين لا يتصلان بملكة واحدة من ملكات الإنسان، وإنما يتصل أحدهما بالشعور ويتصل الآخر بالعقل، يتأثر أحدهما بالخيال ويستأثر بالعواطف ولا يتأثر الآخر بالخيال إلا بمقدار، لا يعني بالعاطفة إلا من حيث هي موضوع لدرسه وتحليله. والخصومة بين العلم والدين أساسية جوهرية؛ لأن الدين أسن من العلم، ولأنه كان في العصور القديمة كل شيء: كان دينًا وكان علمًا، ولأن العلم جاء بعد ذلك فغير هذا القسم العلمي من الدين،

---

(١) الأستاذ/غازي التوبة: الفكر الإسلامي المعاصر، ص١٥٠ نقلاً عن محمود مهدي الإستانبولي في كتابه: طه حسين في ميزان العلماء والأدباء، ص٣١٦.

التي تنبذ الدين ولا تلتفت إليه، وإذا أراد الأفراد أن يتدينوا فتكون الصورة على هذا النحو (تكون أن يمضي رجال الدين في حياتهم الدينية، ورجال العلم في حياتهم العلمية وأن ينصرف السواد إلى حياته العملية المنتجة منتفعًا بالدين فيما بينه وبين الله، منتفعًا بالعلم في تدبير شؤونه اليومية وأن تزول هذه الخصومات المنكرة التي تقسم الناس شيعًا وأحزابًا)[1].

فالدين في رأي الدكتور مجرد صلة روحية بين العبد وربه ليس له صله بالواقع من حوله، وللأفراد الحرية الواسعة في الأخذ به في تهذيب أرواحهم، أو ينصرفون إلى الحياة المادية فيعنون بها ويقصرون هممهم عليها.

ثم يخلص الدكتور في المقابل إلى موقفه من العلم فيقول: (نحن مضطرون إلى أن نعيش، ولن نستطيع أن نعيش إلا إذا اتخذنا أسباب الحياة الحديثة، فنحن محتاجون أن ننتفع بالبخار والكهرباء ونستغل الطبيعة كلها لحياتنا ومنافعنا، والعلم وحده سبيلنا إلى ذلك وهو سبيلنا إلى ذلك على أن ندرسه كما يدرسه الأوروبيون لا كما كان يدرسه آباؤنا منذ قرون، وويل لنا يوم نعدل عن طب باستور[2] إلى طب ابن سينا[3] وداود الأنطاكي[4]، وهذا العلم الحديث الذي لا نستطيع أن

(١) طه حسين: من بعيد. المجموعة الكاملة ١٢/١٧٠.

(٢) باستور، لويس (١٨٢٢ ـ ١٨٩٥) كيميائي وبيولوجي فرنسي، كشف دور الجراثيم في الإصابة بمختلف الأمراض. منير البعلبكي. قاموس المورد، معجم الأعلام (أ).

(٣) ابن سينا: أبو علي ابن الحسين بن عبدالله (٣٧٠ ـ ٤٢٨هـ) إمام العلوم كلها والملقب بالشيخ الرئيس، حاز كثيرًا من العلوم وله إسهامات كثيرة في الفلسفة والمنطق والطب. دائرة المعارف الإسلامية ١/٢٠٣.

(٤) داود الأنطاكي: طبيب عربي ولد في أنطاكية مدينة سورية، كان ضرير البصر، أشهر كتبه هو كتاب: «تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب» توفي سنة ١٠٠٨هـ. دائرة المعارف الإسلامية ٣/٦١.

سماع الجواب عما اعترض به عليها والدفاع عنها)[1].

## الدين والعلم تكامل لا صراع:

(إن حياة الإنسان لا تستقيم إلا باستكمال شعاب العلم شرعية وطبيعية، تهديه الشريعة وتضبط حياته، ويزيده علمه العقلي هدى وعبادة، وإلا فهو يوشك أن يجعل من اكتساب العلم الطبيعي والتقوي به غاية، فيتعاظمه ويهوله ما ينكشف له من حقائق الوجود حتى يحتقر شأن نفسه أو يزدري كرامته ومكانته ومسؤوليته في الحياة، أو تستخفه قوة العلم وتطغيه فيستغله في إتلاف نفسه وهذا تخوف بدأ خطره جليًا مذ أتقن العلم وسائل الحروب الذرية والكيماوية وبلغ بها مدى رهيبًا من القدرة على التدمير... فلا مناص من أن يكون للإنسان هدف أعلى من العلم العقلي ليستمد منه ضابطًا يحكمه في تلك القوة العلمية العظيمة فيكون استغلالها للخير لا للضرر والإهلاك.

ففي إطار الدين الصحيح يلقى الإنسان رشدًا من الوحي لا غناء له من دونه، كما يتهيأ له مناخ صالح للتفكر الحر وطلب العلم حتى يتخذ من وسائل المعرفة العقلية والتجريبية ما يوسع به مداركه، وتتسق بالإيمان مناهج المعرفة وتتحد وجهة العلم)[2].

إن دعوى التناكر بين العلم والدين دعوى كاذبة فالعلم الصحيح والدين الصحيح لا يحدث بينهما تناكر ولا اختلاف. كيف يختلفان

---

(١) المشير/أحمد عزت باشا: الدين والعلم ترجمه من التركية حمزة طاهر، وراجعه د. عبد الوهاب عزام ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٦٩هـ/سنة ١٩٥٠م، ص١٢٩.

(٢) د. حسن الترابي: الإيمان وأثره في حياة الإنسان. دار القلم ـ الكويت ـ ط٤، سنة ١٤٠٣هـ ـ سنة ١٩٨٣م، ص٢٦٤ بتصرف يسير.

يعرفون القراءة. والمسلم الذي قطع صلته عن العلم ليس بمسلم حقيقي ولا يجوز له أن يدعي أنه ممثل صحيح للإسلام)[١] لقد كان علماء الإسلام موسوعيين، كان العالم عالمًا في بضعة عشر علمًا ويعد متخصصًا في أي علم يذكر بين هذه العلوم (لقد أسهم علماؤنا في العالم الدنيوي من طب وحكمة وفيزياء وكيمياء وفلك ورياضيات كما أسهموا في علوم الدين من فقه وأصول وحديث وتفسير وغيرها. جميع هذه العلوم كان للمسلمين فيها إضافات وإسهامات لم يسبقوا إليها حتى إن رجلاً عالمًا مثل البيروني[٢] قيل عنه :إنه أحد أذكى خمسة رجال خلقهم الله والإمام ابن رشد[٣] يقول: نحن «نقرأ ما يكتبه الآخرون فما اتفق معنا ولم يصطدم بعقائدنا أخذناه وشكرناهم، وما لا يتفق رفضناه وشكرناه، ما هذا الرقي وهذا الفكر الرفيع إلا فكر ابن الإسلام وثمرة الإسلام»[٤].

ولقد تميز المنهج المعرفي في الإسلام عن مناهج المعرفة لدى الغرب بأمور ثلاثة رئيسية:

---

(١) أبو الحسن الندوي: الدعوة والدعاة مسؤولية وتاريخ، سلسلة دعوة الحق ـ العدد ٨٠ سنة ١٤٠٨هـ/سنة ١٩٨٨م، ص٦٥، ٦٦، الأمير شكيب أرسلان: لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم. تقديم رشيد رضا. دار البشير القاهرة ـ ب. ت، ص١١٧.

(٢) البيروني: أبو الريحان محمد بن أحمد مؤلف عربي من أصل فارسي ولد سنة ٣٦٢هـ ـ له علم بالطب والفلك وغيرها. من آثاره: كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية. دائرة المعارف الإسلامية ٣٩٧/٤.

(٣) سبق ترجمته، ص٨٩.

(٤) د. مصطفى الشكعة: الخطاب الديني والربط بين علوم الدين والدنيا، بحث ضمن مؤتمر تجديد الخطاب الديني لماذا وكيف. سلسلة قضايا إسلامية. وزارة الأوقات المصرية العدد ٨٤ سنة ١٤٢٢هـ، ص١١٨.

ذلك لا يسلم له، لأن واقعنا ليس كواقعهم ولا ديننا كدينهم.

لقد طالت يد التحريف تعاليم دينهم ثم فسرها الأحبار والرهبان على وفق رغباتهم وأهوائهم، فجاء الدين عندهم مشوهًا يخالف العقل والحكمة في كثير من الأمور.

(أما الإسلام فحسبه دعوة إلى العلم أن يكون القرآن هو المعجزة العقلية الكبرى التي تحدت بلغاء العرب قديمًا بسحر بيانها. وما زالت تتحدى العلم حديثًا بدقة شمولها ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾[1].

فالإعجاز البياني في القرآن واضح في فصاحة كلماته وبراعة نظمه وجزالة أسلوبه وبلاغته في الدلالة على معانيه وتحديه للعلم الحديث واضح في اشتماله على أسمى التشريعات الروحية والأدبية والاجتماعية والسياسية والمالية التي كان ولا زال بها أكبر الأثر في إصلاح المجتمع الإنساني واستقراره لبلوغها مرتبة الكمال التشريعي، ويتضح أيضًا في اشتماله على كثير من كوامن العلوم والمعارف التي كانت تجهلها الأمم ثم كشف عنها العلم فيما بعد ولا زال يكشف عنها إلى اليوم، وسوف يظل يكشف عنها على مدى الدهر وإلى الأبد ما زال الاجتهاد فيما لا يمس النص سبيلاً مقبولاً)[2].

إن الدكتور في تلك الدعوى (دعوى التناقض بين الدين والعلم) ردد مقولة ذاعت في الغرب وتلقفها بعض مثقفي العرب ممن تعلموا

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٢) د. إبراهيم جميل بدران، د. علي علي حبيش: نحو حضارة إسلامية أساسها العلم والإيمان، سلسلة قضايا إسلامية، وزارة الأوقاف العدد ٨٦ سنة ١٤٢٢هـ/سنة ٢٠٠٢م، ص١٥، ١٦.

فليس ذلك التوجه تسبيحًا شفيهًا، بل هو تسبيح عملي وليس باحترام مدعًى وإنما هو احترام أثمرته تضحية الوقت والتفكير والعمل)[1]..

(ويقول جاستون كارمن الفرنسي المشهور في مقال له ضمن سلسلة مقالات نشرها في جريدة فيجارو عام ١٩١٣م: إن القرآن وهو منبع الدين العقلي ودستوره، قد احتوى على أسس تستند إليها حضارة العالم، ففي إمكاننا أن نقول: إن هذه الحضارات نشأت من امتزاج الأسس التي نشرها الإسلام)[2].

## اضطراب وتحير:

إن الدكتور وإن انتهى إلى أن الدين والعلم أمران لا يمكن الجمع بينهما ولا بد أن ينزل أحدهما للآخر عن سلطانه، فإنه قد دعا في الكتاب ذاته إلى أن يجمع المرء بينهما؛ لأنه لا غناء له عنهما ولكنه ساق الكلام في سياق غريب عجيب أذكره بنصه فهو أصدق في الدلالة عن التعبير عنه: (اضطرب البحر ذات ليلة اضطرابًا شديدًا، واصطخبت أمواجه وعصفت الريح فكنت لا تسمع إلا هدير البحر وعصف الريح... ومع ذلك فقد شعرت حقًا في هذه الليلة بأن الإنسان ليس شيئًا مذكورًا، كما أنه لن يكون شيئًا مذكورًا ما دامت الطبيعة على ما هي عليه من القوة والجلال[3]. في مثل هذا الوقت يذكر المؤمن ربه ويلجأ إليه، ويتقرب إليه بضروب العبادة وفنون التقوى، وفي هذا

(١) نقلاً عن: د. يوسف القرضاوي: الإيمان والحياة، ص٣٢٧.

(٢) نقلاً عن: المشير/ أحمد عزب باشا: الدين والعلم، ص١٢٣.

(٣) القول بالطبيعة المجردة يتنافى مع الإيمان بأن كل حركة في الكون تجري بأمر الله كما يعتقد المسلم.

الماء والهواء والبخار واتخذ الطبيعة لنفسه. . . عبدًا يأمر فتطيع وينهى فتنتهي، مغرور متكبر؛ لأن عقله وعلمه وقوته وذكاءه مهما تبلغ من العظمة والسلطان، فلن تستطيع أن تعصمه من الأحداث، ولا أن تجعله بمأمن من أقل من هذه الأحداث خطرًا وأحطها مكانه. بهذا شعرت وبهذا فكرت، وأعترف بأني لم ألم المؤمن على إيمانه، ولا الملحد على إلحاده[1] (!!) وإنما أحسست شيئًا من الإشفاق على هذا وذاك وتمنيت لو أتيح للإنسان أن يكون مؤمنًا وعالمًا دون أن يغلو في التعصب للدين أو للعلم. تمنيت للإنسان لو استطاع أن يجمع بين هاتين القوتين اللتين ليس له عنهما غنى ولا منصرف فإن قوة الدين تعصمه من اليأس والهلع وتفتح أمامه أبوابًا من الأمل الذي ليس له حد، وتمكنه من أن يلقى الخطوب ويتجشم الأخطار راضيًا مطمئنًا راجيًا مستبشرًا، وقوة العلم تمكنه من الحياة.

ولكن أيستطيع الإنسان حقًا أن يجمع في نفسه بين هاتين القوتين وأن يطمئن إلى كلتيهما اطمئنانًا بريئًا من التناقض والاضطراب يطمئن إلى الدين دون أن ينكر العقل ويطمئن إلى العقل دون أن يجحد الدين؟

يتحدثون أن كثيرًا من العلماء قد وفقوا إلى هذا وأن «باستور» على جلال خطره وبعد أثره في العلم كان أشد الناس تدينًا وأكثرهم إيمانًا، فمتى يكثر في الناس أمثال «باستور»؟اهـ)[2].

(١) لماذا يلتمس الدكتور العذر للملحد؟! وهل كان ذلك لأنه يرى رأيه في قضية العلم والدين.

(٢) طه حسين: من بعيد. المجموعة الكاملة ـ الشركة العالمية للكتاب بيروت ١٦/١٢ ـ ١٨ بتصرف.

وتمنى أن يتنزه القرآن عن شكوك العلماء وآرائهم التي تتحول بتغير الأيام وتبدلها.

يقول طه: (كنت أقرأ في أعداد السياسة الأخيرة محاضرة صاحب الفضلية أستاذنا الجليل الشيخ محمد بخيت في الرد على «نورمان»[1] فرأيته يبذل كل ما يستطيع من قوة وجهد وينفق علمه الواسع العميق ليثبت أن الإسلام دين العلم، بل ليثبت شيئًا آخر غير هذا وهو أن القرآن الكريم لا يتناقض بلفظه ولا بمعناه مع أصول العلم الحديث، بل هو فوق هذا يشتمل على أصول العلم الحديث، ورأيت الأستاذ يستنبط من القرآن الكريم كروية الأرض وحركتها حول الشمس وحول نفسها واختلاف الفصول واختلاف الليل والنهار فأعجبت بهذا الجهد العنيف الذي لا مصدر له إلا البر والتقوى) ثم يقول: (أليس من الخير ألا نغلو في الشك ولا نغلو في اليقين ـ يقصد النفي والإثبات ـ أليس من الخير أن نكتفي بالترجيح؟ ثم أليس من الخير ألا نحمل نصوص القرآن وغير القرآن من الكتب الدينية أوزار الشك وأوزار اليقين وهذه النتائج الكثيرة المختلفة المضطربة المتناقضة التي تنشأ عن أمزجتنا المختلفة المضطربة المتناقضة)[2] ثم يدعو دعوته الصريحة حين يقول: (إنا لنحسن الإحسان كله إذا رفعنا الدين ونصوصه عن اضطراب العلم

---

= النوع من التفسير من القدامى: الإمام الشاطبي، ومن المحدثين: الشيخ محمود شلتوت والشيخ أمين الخولي والشيخ رشيد رضا والشيخ محمد مصطفى المراغي. راجع د. محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ طبعة رابعة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ٢/٤٧٥، ٤٩٦.

(١) نورمان: كاتب فرنسي ألف كتابًا سماه (مملكة السماوات) زعم فيه أن الأرض غير كروية. من بعيد ٣٩/١٢.

(٢) طه حسين: من بعيد. المجموعة الكاملة ٣٩/١٢ ـ ٤١ بتصرف.

حد له، والعلم الحديث كالعلم القديم محدود بطاقة العقل الإنساني وبهذا العالم الذي يعيش فيه الإنسان)[١]، فالدكتور في هذا الموضوع معه بعض الحق (فمن الخطأ البين في اعتقادنا أن نجعل تفسير القرآن تابعًا للنظريات العلمية التي تنقض اليوم ما تثبته بالأمس، والتي يجري عليها الجدل بين المدارس العلمية أو الفلسفية على أسس شتى لم يتفق عليها العلماء)[٢].

وعلى الدكتور بعض الحق فمما لا يمارى فيه أن هناك كثيرًا من القضايا أثبت العلم الحديث صحتها قد نطق بها القرآن باللفظ الصريح منذ زمن بعيد لكنا نعود فنقول: (إن القرآن أتى بأصول عامة لكل ما يهم الإنسان معرفته به، ليبلغ درجة الكمال جسدًا وروحًا، وترك الباب مفتوحًا لأهل الذكر من المشتغلين بالعلوم المختلفة، ليبينوا للناس جزئياتها بقدر ما أوتوا منها في الزمان الذي هم عائشون فيه... ويجب أن لا نجر الآية إلى العلوم كي نفسرها ولا العلوم إلى الآية ولكن إن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فسرناها بها)[٣] فقطع الصلة بين القرآن والعلم تمامًا تفريط والمغالاة في تأويل الآيات وربطها بأقوال العلماء إفراط غير مقبول، والحق في الوسط بين تلك الرذيلتين.



(١) طه حسين: مرآة الإسلام ـ دار المعارف ـ مصر ـ ب. ت، ص٢٨٣، ٢٨٤.
(٢) عباس محمود العقاد: الإسلام دعوة عالمية، ص١٨٧.
(٣) د. محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون ٢/٤٩٥، ٤٩٦.

أدبًا جاهليًا ليس من الجاهلية في شيء وإنما هو منحول بعد ظهور الإسلام فهو إسلامي يمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم أكثر مما يمثل حياة الجاهليين»[1].

أما منهج البحث الذي اتخذه للوصول إلى هذه النتيجة فهو الذي صوره بقوله: «أريد أن أصطنع في الأدب هذا المنهج الفلسفي الذي استحدثه ديكارت[2] للبحث عن حقائق الأشياء في أول هذا العصر الحديث، والناس جميعًا يعلمون أن القاعدة الأساسية لهذا المنهج هي أن يتجرد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل وأن يستقبل موضوع بحثه خالي الذهن مما قيل فيه خلوًا تامًا، والناس جميعًا يعلمون أن هذا المنهج الذي سخط عليه أنصار القديم في الدين والفلسفة يوم ظهر، قد كان من أخصب المناهج وأقواها وأحسنها أثرًا، وأنه قد جدد العلم والفلسفة تجديدًا وأنه قد غير مذاهب الأدباء في أدبهم والفنانين في فنونهم وأنه هو الطابع الذي يمتاز به هذا العصر الحديث... نعم! يجب حين نستقبل البحث عن الأدب العربي وتاريخه أن ننسى عواطفنا القومية وكل مشخصاتها، وأن ننسى عواطفنا الدينية وكل ما يتصل بها، وأن ننسى ما يضاد هذه العواطف القومية والدينية؛ يجب ألا نتقيد بشيء ولا نذعن لشيء إلا مناهج البحث العلمي الصحيح. ذلك أنا إذا لم ننس هذه العواطف وما يتصل بها فسنضطر إلى المحاباة وإرضاء العواطف وسنغل عقولنا بما يلائمها، وهل فعل القدماء غير هذا؟ وهل أفسد علم القدماء شيء غير هذا...»[3].

---

(١) طه حسين: في الأدب الجاهلي. المجموعة الكاملة، الشركة العالمية للكتاب ـ بيروت ٥/٦٧.

(٢) سبق التعريف به، ص١٠٢.

(٣) طه حسين: في الأدب الجاهلي، المجموعة الكاملة ٥/٧٠ بتصرف.

مطمئنًا متبعًا أقوم الطرق في البحث والتفكير، لا لأن هذا هو الطريق الوحيد للوصول إلى نتائج صحيحة فحسب، ولكن لأن هذا في اعتقاده هو أيضًا الطريق الوحيد الذي لا يؤدي إلى تخالف بين العلم الذي يبحث فيه والدين الذي يؤمن به، فالتدين الصحيح والتفكير العلمي الصحيح لا يتعارضان بل يتضافران على خدمة العلم ويبعثان على الإخلاص في البحث)[1]، وكانت عنايتنا بمذهب الشك لأن الدكتور اتخذه سبيلاً لإنكار الحقائق الثابتة وتكذيب القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ ولأن الدكتور فسر نظرية الشك بغير معناها فالعلماء المتخصصون في الفلسفة يذهبون إلى (أن منهج ديكارت لم يكن منهج شك للشك ذاته، وإنما يتخذ الشك وسيلة لليقين، وأن خلاصة هذا المنهج ألا يقبل المرء أمرًا على أنه حقيقة إلا إذا قامت الدلائل البينة على صحته، وأن ديكارت مع ذلك كان يسلم بوجود أشياء لا يجادل فيها، فهو بذلك يكون منهجًا إيجابيًا لا سلبيًا ويستشهد على ذلك بقول أحد دارسي تاريخ المذاهب الفلسفية من الفرنسيين إذ قال: «وقد آلى ديكارت على نفسه أن لا يقبل المعلومات مهما كانت صفتها وقوة الثقة الملازمة لا، ما عدا الحقائق الخاصة بالعقيدة، فإنه لم يطبق عليها هذه الطريقة»[2].

إن ديكارت وإن كان قد قال: (إن عقلنا مشحون بأحكام ألفناها في عهد الطفولة، أو قبلناها من المعلمين قبل تمام النضج والرشد وإذا

---

(١) محمد مهدي الإستانبولي: طه حسين في ميزان العلماء والأدباء، ص٣٥٢ نقلاً عن د. محمد أحمد الغمراوي: النقد التحليلي لكتاب في الشعر الجاهلي، ص١١٠ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص٧٢ نقلاً عن كتاب مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية للدكتور ناصر الدين الأسد.

لا ينتج عنها إلا التأخر والخطأ والفوضى كما ذكرت من قبل.

(من المعروف أن طه حسين تأثر بديكارت، وكلمة تأثر لا تعني بأية حال من الأحوال معنى الاستيعاب. فبإمكاننا أن نفترض أنه تأثر بديكارت وفلسفته، ولكن ليس بالضرورة أن يكون قد استوعب أفكاره وأسلوبه في التفكير والاستنباط. . .

ومن الواضح أن الفرق كبير بين الشك المؤدي إلى الإنكار وبين الشك المؤدي إلى الإيمان والمعرفة، وكثيرون من معاصري طه حسين لاحظوا أنه ساوى بين الشك والإنكار وجعلهما في معيار واحد خصوصًا عندما يصدر عنه مثل هذا القول: «والشك الذي يبعث على القلق والاضطراب ينتهي في كثير من الأحيان إلى الجحود والإنكار» وتعبير طه حسين (في كثير من الأحيان) يعني بالنسبة لأسلوبه، في كل الأحيان، وحتى إذا كنا مخطئين في هذا الاستنتاج فإننا لم نخطئ في اعتبار الشك عنده ضربًا من ضروب النكران والجحود وبنى منهجه عليه في البحث والدراسة بصورة عامة. مما جعل الشك كمذهب أو فلسفة يفقد أصالته الفكرية بينما نجد الغزالي[1] مثلاً الذي سبق طه حسين بتسعة قرون تقريبًا لم يكن الشك عنده عامل نقد وتهديم، بل تعداهما إلى تشييد صرح أخلاقي وديني على أسس قوية.

والشك عند الغزالي كان ضربًا من ضروب الرياضة الفكرية والانتقال مما هو أدنى إلى ما هو أسمى مجتازًا في سبيل معرفة الحق مختلف الأهواء والسفسطات، وحتى المعارف المعترف بها تراثًا أو

(١) أبو حامد الغزالي: من فلاسفة المسلمين (٤٥٠هـ ـ ٥٠٥هـ) أشهر مؤلفاته إحياء علوم الدين، المنقذ من الضلال، وتهافت الفلاسفة وغيرها. (مقالات في طه حسين، ص٣١).

إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربين فيها ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعًا من الحيلة)[١].

ولقد اتخذ الدكتور من الشك منهجًا زاعمًا أنه يرمي إلى تحرير الأدب العربي من القيود التي تربطه بالعلوم العربية والعواطف الدينية وحتى يدرس الأدب لنفسه دون أن يكون وسيلة لفهم القرآن والحديث.

## دعوى حرية الأدب:

دعوى أطلقها الدكتور لينفي عن نفسه الحرج إذا كذب صريح القرآن أو دعا إلى ما يخالف أخلاق الإسلام يقول: (أنا أريد أن أدرس تاريخ الآداب في حرية وشرف كما يدرس صاحب العلم الطبيعي علم الحيوان والنبات لا أخشى في هذا الدرس أي سلطان!!. . . وما لي أدرس لأقصر حياتي على مدح أهل السنة وذم المعتزلة والشيعة والخوارج وليس لي في هذا كله شأن ولا منفعة ولا غاية علمية؟ ومن الذي يستطيع أن يكلفني أن أدرس الأدب لأكون مبشرًا بالإسلام أو هادمًا للإلحاد وأنا لا أريد أن أبشر ولا أريد أن أناقش الملحدين، وأنا أكتفي من هذا كله بما بيني وبين الله من حظ ديني)[٢].

بهذا الوضوح يعلن طه حسين أن الدين مجرد صلة بين العبد وربه، أما في مجال البحث العلمي والكتابة الأدبية فينبغي نسيان الدين وإغفاله من الذاكرة، وإذا كان الغربيون الذين يحتفي الدكتور بذكرهم

---

(١) سامح كريم: معارك طه حسين الأدبية والفكرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ١٩٩، ص٧٣ نقلاً عن د. طه حسين: في الشعر الجاهلي، ص٢٦.

(٢) طه حسين: في الأدب الجاهلي، المجموعة الكاملة ٥/٦٠.

الصورة الواقعية بما فيها من إباحيات وسموم وزيف تحت دعوى الواقعية أو حرية الأدب ولقد كان الدكتور طه حسين أحد الذين تولوا الترويج لهذه الفكرة، وذلك من خلال خطين سار فيهما.

(**الأول**: الحديث عن الأدب القديم خاصة الأدب الذي يُعنى بشعراء الإباحة في العصر العباسي ونشر الجوانب الشاذة من أحاديثهم وأسمارهم على نحو ما كتب في حديث الأربعاء.

**الثاني**: ترجمة القصص الغربي الإباحي، والكشف عن جوانب الصراع الحسي في العلاقات الشاذة بين الرجل والمرأة)[١]..

لقد هام الدكتور بشعر بعض الإباحيين وأثنى عليه مشيدًا بما فيه من روعة الأدب وجمال الصورة وإشراق العبارة قائلاً قولته المشهورة: (خسرت الأخلاق من هذا التطور وربح الأدب)[٢].

ولم يفُتّ في عضد الدكتور أن نعته بعض الأدباء بأنه من دعاة الفوضى في الأدب وصدَّق الدكتور عَلَى كلامه بقوله: (جعلني صديقي من أصحاب الفوضى في الأدب وأنا حريص كل الحرص على أن أكون من أصحاب الفوضى في الأدب؛ لأني لا أستطيع أن أتصور الأدب على غير هذا النحو، ولا أستطيع أن أنتظر منه خيرًا ولا أن أرجو له خصبًا، إلا إذا اعتمد على الحرية المطلقة التي لا تعرف حدًا ولا قيدًا ولا تخضع لنظام ولا قانون... صدقوني أيها الزملاء إن من الإسراف أن تفرضوا النظام على كل شيء، فدعوا الأدب حرًا طليقًا، كما أراد

---

(١) أسامة يوسف شهاب: نحو أدب إسلامي معاصر: دار البشير ـ عمان، ط١ سنة ١٤٠٥هـ، ص١٤.

(٢) نقلاً عن أنور الجندي: محاكمة فكر طه حسين، ص٦٩.

بجهد الدكتور بقوله: (إن المحاولة الجريئة التي قام بها طه حسين ومن يشايعه في الرأي لتخليص دراسة العربية من شباك العلوم الدينية هي حركة لا يمكن تحديد آثارها على مستقبل الإسلام مهما أسرفنا في التقدير في فكره لا تجد كلمة عنها)[١].

## من آثار القطيعة بين الإسلام والأدب في فكر طه حسين:

ولقد كان من آثار القطيعة التي اصطنعها الدكتور بين الإسلام والأدب أنه لم يلتزم الحس الإسلامي في الكتابة والتعبير في مقالاته وكتبه، اللَّهم إلا في كتب معينة كان يحن إلى فطرته الأصيلة فكانت تعبيراته تجري موافقة لبعض المعاني التي جاءت بها آيات القرآن مثل ما جاء في كتاب «جنة الشوك».

لكن الدكتور في غالب كتاباته كان ينحو نحو كتاب الغرب في وصفهم وتعبيرهم مما كان يدخله مداخل لا تليق به كرجل مسلم درس أول ما درس بالأزهر الشريف فعرف الحلال والحرام وما يجوز وما لا يجوز، من ذلك إغراقه في وصف صديق له وصفًا يدخل في باب الذم، فأفرط في الذم وأسرف حتى عاب الله سبحانه في صنعه وخلقه يقول وهو يصف صاحبه: (كان قبيح الشكل، نابي الصورة تقتحمه العين ولا تكاد تثبت فيه، وكان إلى القصر أقرب منه إلى الطول، وكان على قصره عريضًا ضخم الأطراف مرتبكها كأنما سوِّي على عجل،

---

= الحديثة في الأدب العربي المعاصر، ومن آثاره زعماء الأدب العربي العصري وفيه تعريف بطه حسين والعقاد وعلي عبد الرازق وغيرهم. المستشرقون ٢/٤١٣.

(١) أنور الجندي: محاكمة فكر طه حسين، ص٤٧.

حالت بيني وبين كثير من نعم الحياة. فما ينبغي أن تكون الجامعة عونًا للطبيعة على حرماني لذة الانتفاع بالعلم والنفع به، مع أنها تعلم أني على ذلك أقدر ما أكون)[1].

تلك الطبيعة التي أراد الدكتور أن يفسرها في موضع آخر ـ حين تلاحى مع غيره في حرية الأديب «أمطلقة أم مقيدة؟» ـ فأوقع نفسه في حيرة كبيرة إذ لم يستطع أن يضع لها تفسيرًا مقنعًا يأنس به أصحاب العقول الذين طالما أشاد الدكتور بهم قال الدكتور يرد الفصل في المنازعة بينه وبين خصومه إلى الطبيعة لتقضي فيه ما نصه: (لندع للطبيعة نفسها الذهاب بما لا خير فيه واستبقاء ما ينفع الناس؛ فقد تكون الطبيعة أقدر من الفن وأقدر من النقاد وأقدر من الجمهور على هذه التصفية، وأنا أعلم أنك ستسألني عن الطبيعة ما هي؟ فأجيبك بأنها مجموعة من المؤثرات الظاهرة والخفية التي نعرفها والتي لا نعرفها والتي تعمل سواء أردنا أم لم نرد على تحقيق قول الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾[2])[3].

إن هذه الأمثلة السابقة وغيرها كثير تدل دلالة قاطعة على أن الدكتور في كتاباته الأدبية ـ أو في أغلبها إن شئنا التدقيق ـ كان مجافيًا للحس الإسلامي الذي يؤثر في وجدان الكاتب فيؤثر في سلوكه ومنطقه بما لا يخدش الإيمان بتصوير أو مقال.



(١) طه حسين: الأيام. طبعة المعارف ٥٢/٣.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٧.

(٣) طه حسين: حديث الأربعاء ـ المجموعة الكاملة ٧٩٢/٢.

فأحسن التفسير وخاض في حديث الجبر والاختيار وجعل يرد على الجبريين ويدفع مقالتهم، ويأخذ الفتى في حوار الشيخ على عادة الأزهريين، فيسمع الشيخ له ويرد عليه ردًا لا يقنعه، ويأبى الفتى إلا اللجاج فينهره الشيخ بهذه الكلمات: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن! الله أكبر على العلم والإيمان حضرتك مسلم؟)[1].

وواضح من سياق القصة كما رواها طه أنه كان يرى الجبر؛ ولذلك عمد إلى مناقشة الشيخ ومجادلته لما رآه يرد على الجبريين ويفند مقالهم.

وبعد هذا الموقف بسنوات قلائل يعد طه أول رسالة جامعية بالجامعة المصرية عن أبي العلاء المعري والتي نشرها تحت عنوان: «تجديد ذكرى أبي العلاء»[2] وفيها يصرح طه برأيه في قضية الجبر قائلًا:

(يدل ما قدمناه على أنا نرى الجبر في التاريخ؛ أي: أن الحياة الاجتماعية إنما تأخذ أشكالها المختلفة وتنزل منازلها المتباينة، بتأثير العلل والأسباب، التي لا يملكها الإنسان، ولا يستطيع لها دفعًا ولا اكتسابًا ذلك رأي نراه[3].. وإنما نقول هنا: إن هذا الرأي سيلزمنا أن نسلك في البحث عن حياة أبي العلاء طريقًا خاصة، ربما لم يألفها

---

(١) طه حسين: الأيام ٣/٣٥.

(٢) طبعت الطبعة الأولى: ١٩١٥م، والثانية: سنة ١٩٢٢ وكلاهما تحت عنوان: «ذكرى أبي العلاء» أما الطبعات التي جاءت بعد ذلك فحملت عنوان «تجديد ذكرى أبي العلاء».

(٣) علق طه بالهامش على هذه الكلمة بقوله: لسنا نبتدع هذا الرأي، وإنما نوافق فيه كثيرًا من فلاسفة أوروبا وفلاسفة المسلمين.

وإنما يستعرض الأدلة على صحة القول بالجبر عند عرضه لآراء أبي العلاء، فيذكر أن «الدين والفلسفة يتظاهران على إثبات الجبر وإقامة الأدلة عليه»[1]، وفي تفصيل هذا الحكم يقول: [الجبر قديم عند الفلاسفة وكثير من أهل الديانات، ومصدر الإيمان به شيئان، أحدهما: أن الاختيار لا يتفق مع القول بأن هذا العالم مبني في حركاته الاجتماعية والفردية للإنسان وغير الإنسان على العلل والأسباب، وأن كل شيء في هذه الحياة إنما هو نتيجة لشيء كان قبله ومقدمة لشيء يجيء بعده، فإذا صحت هذه القضية (وقد فرغت الفلسفة من إثباتها منذ أمد بعيد) لم يكن للاختيار موضع في هذا العالم. ذلك أن هذا الاختيار إما أن يكون متصلاً بما قبله وما بعده اتصال العلة بمعلولها والنتيجة بمقدمتها أولاً، فإن تكن الأولى فهو الجبر؛ إذ لا يمكن أن يتخلف المعلول عن علته، ولا أن تحول النتيجة عن مقدمتها، وإذًا فادعاء الاختيار ليس إلا غرورًا، وإن تكن الثانية فقد بطلت القضية التي قدمناها، وأصبح العالم ملعبًا تختلف فيه المصادفات، وهو ما لا شك في بطلانه. إذًا فليس من الجبر محيد ولا عن الاضطرار مَزْحَل[2].

المصدر الثاني من مصادر الجبر الإيمان بشمول القدرة والعلم الإلهيين فإن شمول القدرة يقتضي ألا يكون في هذا العالم شيء إلا إذا تعلقت به قدرة الله، فإذا فعل الإنسان شيئًا فإما أن يكون مختارًا فيه، أو غير مختار، فإن يكن مختارًا فهذا الفعل واجب، وإن لم تتعلق به قدرة الله وهو باطل؛ لأنه يهدم أصل القدرة، وإن يكن غير مختار فهو

---

(١) طه حسين: تجديد ذكرى أبي العلاء: المجموعة الكاملة ٢٨٨/١٠.

(٢) أصل الكلمة زَحَلَ، ومعناها: تنحى وتباعد، فمعنى الكلمة في السياق ليس عنه مبتعد ولا مفر. راجع: المعجم الوجيز، ص٢٨٦.

أن اعتقاد الجبر إذا تأثرت به النفس أدى إلى ألوان مخالفة المألوف في العادة والدين، فقد اضطر أبو العلاء إلى أن يجهر بإنكار التكليف أحيانًا فيقول:

إن كان مَنْ فَعَل الكبائر مُجبرًا    فعقابهُ ظلمٌ على ما يَفعلُ

فانظر: كيف جعل عقاب صاحب الكبيرة ظلمًا حيث أثبت الجبر، وقد ذهب في بيت آخر إلى أن الإنسان لا يستحق ذمًا ولا حمدًا لأنه مجبر فقال:

لا تمدحَنَّ ولا تذمنَّ امرأ    فينا فغير مقَصِّر كَمُقصِّر

فهذا كلام يدل على أن أبا العلاء حين رأى الجبر لم يفرق بين الإنسان وبين غيره مما اشتمل عليه هذا العالم، ولكنه لو بسط سلطان الجبر قليلاً لعرف أن ما ينال الإنسان من مدح أو ذم، ومن إحسان أو إساءة، ليس في الحقيقة أمرًا اختياريًا وإنما هو أمر جبري فكما أجبر الإنسان على أن يحسن ويسيء أجبر على أن يَحَمَد الحسن ويذم القبيح، بل على أن يتصور هذا حسنًا وهذا قبيحًا، وإذا كنا قد قررنا أن المرء مجبر على أن ينتحل لنفسه صفة الاختيار، كان من الواضح أنه مجبر على أن يضيف إلى نفسه آثار هذا الاختيار المنتحل، فإذا بسطنا سلطان الجبر إلى هذا الحد - وهو كذلك في نفس الأمر - لم يتهم جبري بمخالفة دين ولا بالخروج على شريعة][1].

ولئن أردنا أن نحصي ما قاله طه عن الجبر لضاق المقام، ولكن ينبغي التأكيد على أن فكرة الجبر ظلت ملازمة لطه حتى نهاية حياته

---

(١) طه حسين: تجديد ذكرى أبي العلاء، المجموعة الكاملة ١٠/٢٩٠.

وكأني بالدكتور يحاول تقوية رأيه ويدلل على مشروعيته فقد سبقه إليه فلاسفة أوروبا الذين يَكِنُّ لهم الدكتور أعمق الود ويثق بعلمهم أعظم الثقة.

والرجل لم يخالف الحقيقة في ذلك فقد قال بالجبر عدد من مفكري الغرب (منهم: «تين»[1] الذي يرى أن العالم متأثر بطائفة من القوانين تدبره وتسيره دون أن تتعرض هذه القوانين للخطأ أو الاضطراب، وهو من الذين يعتقدون أن الإرادة الفردية لا تؤثر في حياة العالم بشكل من الأشكال)[2] ونظرًا لاشتهار الدكتور بالقول بالجبر وتأثير البيئة غير المحدود في الفرد، الأمر الذي حدا بالبعض أن يقول:

(لسنا نعتسف الحكم إذا قلنا: إن طه حسين صاحب منهج ومدرسة فكرية نجد أصداءها عند كتاب العربية، بل نجد أصداءها الآن في فرنسا تتجدد على يد من يسمون أنفسهم بأصحاب المدرسة الاجتماعية في كتابة التاريخ، وأشهرهم لوسيان فيفر الذي تخصص في تاريخ عصر النهضة الأوروبية، ومارك بلوك الذي تخصص في تاريخ العصور الوسطى)[3].

---

(١) تين، هبوليت (١٨٢٨ ـ ١٨٩٣)، مؤرخ وناقد فرنسي، لمع اسمه بفضل رسالته للدكتوراه التي موضوعها (دراسة لحكايات لافونتين). عمل أستاذًا لتاريخ الفن وعلم الجمال بكلية الفنون الجميلة، اشتهر بآرائه التي أثرت في مدرسة الفن الطبيعية آخر القرن الماضي، انتخب عضوًا بالأكاديمية الفرنسية ١٨٧٨. انظر: محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة ٥٧٥/١.

(٢) أنور الجندي: طه حسين حياته وفكره في ضوء الإسلام، ص٤٤ بتصرف.

(٣) كامل زهيري: المنهج الفكري عند طه حسين، بحث ضمن كتاب (طه حسين كما يعرفه كتاب عصره)، ص١٥٢.

والباحث يعجب من موقف الدكتور طه حسين من هذه القضية وهو الرجل الذي طالما اعتز بالعقل ونتاجه! فأين كان عقله حين سطّر أمثال هذه الكلمات التي كتبها في الجبر.

يقول جلال الدين الرومي[1]: [لو كان الجبر حقًا، لما توجه الأمر والنهي إلى الإنسان، وما كلف الإنسان بالشرائع والأحكام، فهل سمع إنسان يأمر حجرًا وينهاه... إن الإنسان مفطور على عقيدة الاختيار، وهو يتمثل هذه العقيدة ويطبقها في حياته اليومية ويقرر بعمله وسلوكه الاختيار وينكر الجبر، فلا يعاقب الجماد ولا يعاقب الحجر والخشب والسيل والريح مهما لحقه الأذى والعنت من هذه الأشياء... إذا سقط عليك جذع من السقف وجرحك جرحًا شديدًا وأدماك وآلمك فهل يثور غضبك على هذا الجذع؟ وإذا عاتبته وقلت له: لماذا كسرت يدي وأدميت رأسي؛ هل تكون عاقلاً... أما إذا تعرض إنسان لإهانتك أو هتك عرضك، ثرت عليه وعاقبته عقابًا شديدًا، فدل ذلك على أنك تميز بين المجبور والمختار وتعتقد أن الإنسان صاحب اختيار وإرادة فتحاسبه وتعاقبه ولا تقبل له عذرًا؛ لأنه مخير ليس بمجبور... وإذا ضربت كلبًا بحجر هجم عليك وأراد أن يعضك ولم يقبل على الحجر وينتقم منه، فعار عليك أيها الإنسان العاقل أن تضرب في فهم الحقيقة وتعجز عن إدراكها][2].

(إن الإنسان مجبور مختار وهكذا قال الإسلام، والذين يقولون:

---

(١) جلال الدين الرومي: من فحول شعراء الصوفية ولد في بلخ سنة ٦٠٤هـ/سنة ١٢٠٧م، وتوفي سنة ٦٧٢هـ/١٢٨٤م. راجع دائرة المعارف الإسلامية ٦١/٧.

(٢) محمد الغزالي: دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، دار الشروق، ط١، سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص١٠٧ - ١١٠ بتصرف.

في دائرتهما، وكان يكفي هذا الإحساس دليلاً على حريتهما لولا أن هناك من يزعم أن الإحساس يكذب أحيانًا... ونحن نجد القرآن يؤكد هذا الإحساس البديهي وينوه بحرية الإرادة الإنسانية ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[1].

ولا يخليها من المسؤولية الواضحة على ما يصدر منها: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾[2].

بل إن طبيعة الدين ـ وهي التكليف والابتلاء ـ لا تتحقق البتة مع استبعاد الإرادة وتقيدها][3].

يعرف المسلم الحق هذه الحقائق ويوقن معها أنه بأعماله الاختيارية لا يغيب عن علم الله الشامل المحيط وأن الله لا يقسره على أعماله الاختيارية وإن كان القدر قد سبق بتحديد نتائجها (فصفحات العلم الإلهي لا تتصل بالأعمال اتصال تحريك وتصريف ولكنه اتصال انكشاف ووضوح فهي تتبع العمل ولا يتبعها العمل، غاية ما يمتاز به العلم أنه لا يكشف الحاضر فقط ولكنه يكشف ـ كذلك ـ الماضي والمستقبل فيرى الأشياء على ما كانت عليه وعلى ما ستكون عليه، كما يراها وهي كائنة سواء بسواء)[4].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٠٨.

(٣) محمد الغزالي: عقيدة المسلم، دار الشروق، ط١ سنة ١٤٠٧هـ/سنة ١٩٨٧م، ص١٠٠ ـ ١٠٢ بتصرف.

(٤) المرجع السابق، ص١٠٤، محمد الغزالي: هذا ديننا، دار الشروق ط١، سنة ١٤٠٧هـ/سنة ١٩٨٧، ص٢٠، محمد الغزالي: مائة سؤال عن الإسلام، دار ثابت ط٥، سنة ١٤١٧هـ/سنة ١٩٩٦، ص٩٥.

رداءه في واقع الحياة فقد نتج عن هذه الجبرية تطورات كبيرة في المجتمع الغربي حطمت تقاليده وأخلاقه وأثرت في قوانينه كذلك (فقد أطلق العنان للفرد يصنع ما يشاء بلا حظر ولا عقاب؛ لأنه مسكين معذور مجبر على ما يفعل... ولقد كانت الرغبة في الانفلات من كل قيد، والإغراق في المتع الجسدية هي التي أوحت إلى الناس في العالم الغربي بتصديق هذه الخرافة؛ لأن تصديقها يريحهم من تأنيب الضمير والشعور بالجريمة)[1].

ولئن كان الدكتور طه حسين يعضد رأيه بسبق كثير من مفكري الغرب إليه فالباحث يرى أن المستشرقين ليسوا سواءً في هذا الأمر فرجل مثل مونتجمري وات[2] يكتب رسالة علمية عن القضاء والقدر في فكر المسلمين في القرون الثلاثة الأولى يسجل فيها اضطراب الغرب وحيرته فيقول: «لا نستطيع (في الغرب) أن نوفق بين سلطة الله المطلقة ومسؤولية الإنسان نفسه، لكنه لا بد أن ننظر للأمور من منظور عملي من حيث التوفيق الذي يؤدي إلى الفعل الصحيح والحياة النشطة المفعمة أخلاقًا وقيمًا»[3].

فهذا الموقف الوسط الذي وقفه (وات) هو الذي يتوافق مع الفطر السليمة والعقول المستقيمة.

---

(١) محمد قطب: الإنسان بين المادية والإسلام، دار الشروق ط١٢، سنة ١٤١٨هـ/سنة ١٩٩٧م، ص٤٦.

(٢) مونتجمري وات: مستشرق إنجليزي عميد كلية الدراسات العربية في جامعة إدنبرا، من آثاره: محمد في مكة، ومحمد في المدينة. المستشرقون ١٣٢/٢.

(٣) مونتجمري وات: القضاء والقدر في فجر الإسلام وضحاه (القرون الثلاثة الأولى) ترجمته د. عبد الرحمن الشيخ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ سلسلة الألف كتاب الثاني ١٩٩٨م، ص٩.



## المبحث الرابع

## رأي الدكتور طه حسين
## في نجاة اليهود والنصارى في الآخرة من النار

أثناء قراءة الدكتور محمد الدسوقي من كتاب (عيون الأخبار) على الدكتور طه حسين كانت بينهما مناقشة حول إسلام اليهود والنصارى عرضها الدكتور الدسوقي على هذا النحو:

في يوم الجمعة ١٨/١٢/١٩٧٠م جاء في الجزء الثالث من عيون الأخبار في باب التهاني رسالة من رجل يهنئ نصرانيًا قد أسلم، قال له: الحمد لله الذي أرشد أمرك، وخصَّ بالتوفيق عزمك، وأوضح فضيلة عقلك ورجاحة رأيك فما كانت الآداب التي حويتها، والمعرفة التي أوتيتها لتدوم بك على غواية، وديانة شائنة لا تليق بلبك، ولا يبرح ذوو الحجا من موجبي حقك ينكرون إبطاءك عن خطك، وتركك البدار إلى الدين القيم الذي لا يقبل الله غيره ولا يثيب إلا به فقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[1] وقال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[2]... إلخ الرسالة.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

عند الله... وليس بلازم أن يؤمن النصراني بمحمد حتى يكون مسلمًا والمهم ألا يذكر محمدًا والقرآن بسوء.

ولم أشأ ـ الدكتور الدسوقي ـ أن أسترسل مع العميد في الجدل فقد كانت مهمتي القراءة لا النقاش][1].

والملاحظ أن الدكتور طه حسين دفعه إلى هذا الخطأ فهمه الخاطئ للآية التي استدل بها فالآية [تقرر أنه أيًا كانت النحلة، فإن من آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا صالحًا ـ ومفهوم ضمنًا في هذا الموضع وتصريحًا في مواضع أخرى أنهم فعلوا ذلك على حسب ما جاء به الرسول الأخير ـ فقد نجوا: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ولا عليهم مما كانوا فيه قبل ذلك، ولا مما يحملون من أسماء وعنوانات فالمهم هو العنوان الأخير... وهذا الذي نقرر أنه مفهوم ضمنًا يعتبر من «المعلوم من الدين بالضرورة» فمن بدهيات هذه العقيدة أن محمدًا ﷺ هو خاتم النبيين وأنه أرسل إلى البشر كافة وأن الناس جميعًا ـ على اختلاف مللهم ونحلهم وأديانهم واعتقاداتهم وأجناسهم وأوطانهم ـ مدعوّون إلى الإيمان بما جاء به، وفق ما جاء به في عمومه وفي تفصيلاته وأن من لا يؤمن به رسولاً، ولا يؤمن بما جاء به إجمالاً وتفصيلاً فهو ضال لا يقبل الله منه ما كان عليه من دين قبل هذا الدين، ولا يدخل في مضمون قوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾][2].

[ومن هنا نقرر بوضوح الحدود الثابتة المعلومة من الدين

---

(١) د. محمد الدسوقي: أيام مع طه حسين، دار القلم دمشق، ط١ سنة ١٤٢٣هـ/سنة ٢٠٠٢م، ص١٤٢، ١٤٣.

(٢) سيد قطب: في ظلال القرآن ٢/٩٤٢.

﴿بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝١٩﴾[1] وكذلك قضته السُّنَّة الصحيحة بأن اتباع النبي ﷺ سبب دخول الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: **من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»[2].

## رأي المستشرقين في هذه القضية:

وإذا كان بعض المستشرقين يخلطون الحق بالباطل والجد بالهزل فإن واحدًا منهم (جوستاف إ. فون جرو نيباوم[3] وهو يستعرض مصادر الشعور بالتفوق لدى المسلم ذكر اعتقاد المسلم في دينه، ذكره على وجه يُشعر أنه ضرب من التعالى والتفاخر أو أنه ضرب من الانحراف والجموح؛ قال في فصل عقده بعنوان (المسيحية والإسلام):

[على أن أهم مصدر لشعور المسلم بتفوقه، هو يقينه الذي لا يقبل الجدل بأن دينه خاتم الأديان، وأنه هو الحق الذي لا حق سواه، وأنه يسير في طريق الخلاص والسعادة السرمدية بينما الكفرة وقد أغرقوا في العناد والجدل ينحدرون غافلين نحو العقاب الأبدي. ألم

---

(١) سورة آل عمران: الآية: ١٩.

(٢) رواه البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة حديث رقم (٢١١٧) راجع الإمام أبا العباس أحمد الزبيدي: مختصر صحيح البخاري المسمى التجريد الصريح لأحاديث الجامع. ت: كمال بسيوني ـ مكتبة المؤيد ـ السعودية ط١، سنة ١١٢هـ ـ سنة ١٩٩٢م، ص٥٧١.

(٣) جرنيباوم، جوستاف فون (١٩٠٩ ـ ١٩٧٢)، مستشرق نمساوي درس في جامعتي فيينا وبرلين وعمل مدرسًا في جامعة نيويورك وشيكاغو، من آثاره: حضارة الإسلام، ترجمة: الأستاذ عبد العزيز توفيق. المستشرقون ٣/١٧٠.

# الفصل الرابع

## طه حسين والقرآن الكريم وعلومه

**ويشتمل على أحد عشر مبحثًا:**

**المبحث الأول:** طه حسين ومصدريَّة القرآن.

**المبحث الثاني:** طه حسين وتعريضه بتكذيب القرآن.

**المبحث الثالث:** موقف طه حسين من قضية جمع القرآن الكريم.

**المبحث الرابع:** طه حسين والقراءات القرآنية.

**المبحث الخامس:** موقف طه حسين من المكي والمدني.

**المبحث السادس:** طه حسين وقضية ترتيب السور والآيات.

**المبحث السابع:** طه حسين وموقفه من الحروف المقطَّعة في أوائل السور.

**المبحث الثامن:** طه حسين وقضية أميَّة الرسول ﷺ.

**المبحث التاسع:** طه حسين ورأيه في التوراة وتأييد القرآن لها!

**المبحث العاشر:** طه حسين ورأيه في خيانة امرأة نوح عليه السلام.

**المبحث الحادي عشر:** طه حسين ورأيه في أصحاب الأخدود.









# المبحث الأول

## طه حسين ومصدريَّة القرآن

**تمهيد:**

كان افتتان الدكتور طه حسين بأساتذته من الغربيين - الذين كانوا يعملون بالتدريس بالجامعة المصرية في مقتبل حياته العلمية - عظيمًا، إذ كان يكثر الاختلاف إليهم ومصاحبتهم والاستماع منهم والأخذ عنهم، وربما صحب بعضهم إلى الأزهر إبان دراسته به ليستمع إلى العلماء ويناقشهم عن مرأى ومسمع من أولئك المستشرقين، [فقد أشار في مذكراته إلى أنه صحب سانتيلانا(١) إلى الأزهر فحضر معه درسًا في التفسير كان يلقيه الشيخ سليم البشري(٢) وكان يفسر آية: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾(٣)، فاعترض طه على تفسير الشيخ قائلاً: هذه جبرية مطلقة، فأجاب الشيخ البشري: من أين تعلمت هذا الكفر، من

---

(١) سبق ترجمته، ص٥٧.

(٢) سبق ترجمته، ص٤١.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١١١.

ويرون أنهم خزنته وسدنته وأصحاب الحق في تأويله][1].

وكان هذا الموروث الثقافي هو المنطلق الذي عالج به الدكتور قضايا القرآن فيما كتبه من مقالات وأبحاث.

والحق أن كتابات الدكتور الأخيرة التي تناول فيها أمر الإسلام اتسمت بدرجة لا بأس بها من الموضوعية، لا سيما بحثه «مرآة الإسلام» فقد أشاد فيه بفضل القرآن على العرب في تقويم ألسنتهم وبين أنه حمى اللغة العربية من الضياع وأنه كان سببًا في وحدة العرب، وما أسدوا إلى البشرية من فضل وذكر بعض أوجه الإعجاز في القرآن، ذكر ذلك كله في إشارات سريعة وعبارات طيبة، والكتاب مع ذلك لم يخل من أغاليط سأشير إليها في موضعها من هذا البحث بإذن الله.

## بشرية القرآن:

لم يصرح الدكتور طه حسين بهذه الفكرة في مؤلف من مؤلفاته وإنما اعتمد اللف والمداورة سبيلاً لعرض هذه الفكرة وبالأخص في مؤلفه الشهير «الشعر الجاهلي»، إذ حرص الدكتور أن يفهم القارئ أن القرآن في مجموعه [تعبير عن الحياة التي عاش فيها محمد ﷺ بما فيها المكان والزمان وجوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والدينية والاجتماعية][2]، وذلك حين بين أن (التماس الحياة العربية الجاهلية في القرآن أنفع وأجدى من التماسها في هذا الشعر العقيم الذي يسمونه

(١) طه حسين حياته وفكره في ضوء الإسلام، ص٣٦.

(٢) د. محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ـ مكتبة وهبة ـ مصر، ط١٢، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص١٧٧.

والدكتور في شكه في أمر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لم يأت بجديد، وإنما تابع كاتبًا إنجليزيًا اسمه جرجيس صال[١] نشرها في كتاب له بعنوان «مقالة في الإسلام» وقام على ترجمته ونشره في عام ١٨٩١م رجل سمى نفسه هاشم العربي، والذي كشف عن هذا الأمر الأستاذ عبد المتعال الصعيدي المدرس بالجامع الأحمدي بطنطا في مقالة له بجريدة الأهرام الصادرة في ١٢ مايو ١٩٢٦م قال بعد عرضه لما قاله الدكتور طه: [واسمع ما يقول هاشم العربي في ذيل كتاب «مقالة في الإسلام» بعد كلام كثير في قصة إبراهيم وإسماعيل والطعن في نسبة العرب المستعربة إليهما: «وحقيقة الأمر في قصة إسماعيل أنها دسيسة لفّقها اليهود القدماء للعرب تزلفًا إليهم وتزرعًا بهم إلى دفع الروم عن بيت المقدس أو إلى تأسيس مملكة جديدة لهم في بلاد العرب يلجأون إليها فقالوا لهم: نحن وأنتم أخوة وذرية أب واحد. . . .

ثم تساءل الكاتب وهو يخاطب الدكتور طه حسين:

أفليس هذا يا دكتور هو عين ما تقوله في كتابك وتنسبه لنفسك وأنت الذي ترى أن مثل هذا جرم ليس بعده جرم[٢]، وهل يليق بك يا دكتور أن تنقلب مبشرًا تنقل آراء المبشرين التي يمليها عليهم حقدهم][٣].

كان هذا كله من الدكتور تحت مظلة البحث العلمي والأخذ

---

(١) جرجيس صال: لم أستدل على ترجمته.

(٢) ينوه الكاتب بالسرقات العلمية.

(٣) د. مختار التهامي: ثلاث معارك فكرية ـ طبعة خاصة بالمؤلف، ط١ بدون ت، ص ١٧٣، ١٧٤.

والدينية][1].

وهذا كلام من الخطورة بمكان إذ ينفي عن القرآن أي قدسية وينص صراحة وبوضوح كامل أن القرآن من تأليف النبي ﷺ وبوحي من البيئة العربية التي كان يعيش فيها.

وسواء أكان النص السابق ثابتًا في نسبته إلى الدكتور أم لا، فكلامه الأول يفيد ضمنًا قوله ببشرية القرآن، ثم تكذيبه لصريح القرآن ـ حين أنكر قصة إبراهيم وإسماعيل ـ وهو بهذا التكذيب واقع في أمرين:

**أحدهما**: إن كان يعتقد في القرآن أنه إلهي المصدر فهو مكذب لله عز وجل حين أنكر هذه القصة وشكك فيها.

**وثانيهما**: إن كان يعتقد فيه بشرية المصدر فهو مكذب لرسول الله ﷺ، وكلا المعتقدين إثم عظيم إن أجاز الكذب على الله ـ سبحانه وتعالى ـ أو على رسوله ﷺ ولعل ما يرجح القول الأخير وهو رؤيته لبشرية القرآن مواقفه المتعددة التي لم يراع فيها قدسية القرآن ولعل أبرزها دعوته لنقد القرآن نقدًا أدبيًا.

## نقد القرآن:

أشار الدكتور عبدالحميد سعيد ـ رحمه الله ـ في خطاب أمام مجلس النواب المصري (مارس ١٩٣٢م) إلى أن طه حسين كان يكلِّف بعض طلبته أن ينقدوا بعض آيات من القرآن الكريم يعينها لهم، ويطلب منهم إثبات هذا النقد في كراسات يتلونها عليه، فكانوا يثبتون

(١) المصدر السابق، ص١٥٤.

ووعيد وزجر، ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة تغير الأسلوب بحكم البيئة أيضًا.... إلى آخر أقواله (يعني عبد الحميد سعيد) فما مبلغ ما ينسبه إليكم عبد الحميد سعيد أفندي من الصدق؟

جـ: هذا كذب وتزوير، وكل ما قلته هو ما يقوله العلماء المسلمون من أن السور المكية كانت قبل كل شيء سور إنذار وتبشير، فكانت فيها شدة على المشركين، بينما السور المدنية يغلب عليها التشريع فيظهر فيها الهدوء][1].

والملاحظ في رد الدكتور أنه لم يكذب الدعاوى كلها وكان رده مقصورًا حول أسلوب القرآن المكي منه والمدني، فكأن هذا اعتراف ضمني بما كان من أمره من تشجيعه للطلاب على نقد القرآن.

والدكتور إن كان قد شجع الطلاب على نقد القرآن في أروقة الجامعة فهو لم يكتف بهذا التشجيع الشفوي، وإنما خرج على الأمة بدعوة عامة لعموم القراء جاء فيها: [أن الكتب الدينية والعمارات الدينية[2]، لا ينبغي أن تكون وقفًا على أصحابها وحدهم وإنما هي متاع للإنسانية كلها كغيرها من الآثار الفنية التي كان لها حظ عظيم في تكوين نفسية الأمم والأجيال، وإذا كان هذا حقًا ـ وهو حق بل هو واقع كما ترى ـ فقد بقيت خطوة يجب أن نخطوها، ولست أدري أيتاح لنا أن نخطوها في هذا العصر الذي نحن فيه؟ أم يحول بيننا وبينها الجهل والجمود؟ إذا كان من حق الناس جميعًا أن يقرأوا الكتب

---

(١) طه حسين: حديث المساء، تحقيق وتقديم ـ محمد سيد كيلاني ـ دار العرب للبستاني ـ الطبعة الأولى، بدون ت، ص٥.

(٢) العمارات الدينية يقصد بها دور العبادة.

ابتهاجًا لم يشعر بشيء مثله أمام أي سورة من سور القرآن][1].

يعبر بهذه الكلمات دون تحفظ في لفظ ولا مراعاة لمعنى ولا نظر إلى قدسية القرآن ومكانته.

[وإذا كان طه حسين قد صاغ عباراته هذه على أنها مشاعر الصبا إلا أنه عبر عن رأيه هذا وهو في كامل وعيه وبعد أن صار كاتبًا شهيرًا، وحسبنا أنه اختزن مفصَّل تلك الوقائع في عقله من صباه الباكر حتى شرع في تحرير كتابه فدوَّنها على هذا الوجه... وقد طبع كتاب الأيام مرات وفيه هذا الكلام ولم يحاول هو أن يغير فيه أو يبدل منه ولم يلتفت أحد إلى أن هذه العبارات سب مباشر في المصحف الشريف][2].

## رأي المستشرقين في مصدرية القرآن:

في سهولة ويسر يعترف المنصفون من المستشرقين بإلهية القرآن وأنه تنزيل من حكيم حميد وممن ذهب إلى هذا غوستاف لوبون[3] في حضارة العرب[4].

---

(١) طه حسين: الأيام، المجموعة الكاملة، الشركة العالمية للكتاب ـ بيروت ٧١/١، ٧٢.

(٢) من كلام الأستاذ عبد الهادي مسعود، راجع السيد مرتضى الرضوي: مع رجال الفكر في القاهرة مطبوعات النجاح بالقاهرة، ط١، سنة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص١٦٤.

(٣) غوستاف لوبون: فرنسي ولد عام ١٨٤١م، طبيب ومؤرخ عني بالحضارة الشرقية، من آثاره: الحضارة المصرية وحضارة العرب وحضارات الهند وحضارة العرب في الأندلس ـ المستشرقون ٢٠٢/١.

(٤) عقد فصلاً عن القرآن بداية من ص١١٧ ـ ١٢٩ طبعة الهيئة المصرية للكتاب سنة ٢٠٠٠م.

ويقول جيب[1]: [إن محمدًا ككل شخصية مبدعة قد تأثر بضرورات الظروف الخارجية (عنه) المحيطة به من جهة، ثم هو من جهة أخرى قد شق طريقًا جديدًا بين الأفكار والعقائد السائدة في زمانه، والدائرة في المكان الذي نشأ فيه... وأن جو مكة بما فيه من زعامة اقتصادية وسياسية ودينية ثم بما فيه من عيوب اجتماعية ـ كالرق والفوارق البعيدة المدى بين الطبقات هو الذي أثر في نفس محمد ﷺ ليكون صاحب ثورة! فالحياة المكية بما فيها من عوامل إيجابية، وأخرى سلبية قد تفاعلت في نفسه وهو يرتبط في رسالته بهذه الحياة أيما ارتباط بحيث لو كان رجلًا غير مكي لما صادف هذا النجاح][2].

ولعل كلام جيب يشابه كلام الدكتور طه إلى حد كبير، فالأول يرى القرآن انطباعًا في نفس محمد ﷺ نشأ عن تأثره بالبيئة، والثاني يراه تعبيرًا عن الحياة التي عاش فيها محمد ﷺ وإحدى الصورتين ملازمة للأخرى كما يقول الدكتور البهي وكلتاهما تفصح عن أن القرآن عمل خاص بمحمد ﷺ، تأثر فيه كما يتأثر الإنسان العادي، وعبر به عن المعاني التي كانت في نفسه من بيئته وانطبعت في خاطره من ظروف الحياة التي تحيط به[3].

ومن نافلة القول أن نوضح أن القول ببشرية القرآن يكاد يمثل إجماعًا عند المستشرقين لا لكونه حقًا واقعًا، وإنما لأنهم يصدرون في

---

(١) سبق التعريف به، ص١٢٠.

(٢) د. البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص١٧٨.

(٣) د. البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص١٧٧، والكتاب فيه بحث عظيم القدر عن بشرية القرآن أقامه المؤلف مقارنة بين قول جيب والدكتور طه حسين.

يحكى الدكتور محمد الدسوقي أنه في يوم الجمعة ١٠/٤/١٩٧٠م زار الشيخ محمود أبو رية[١] الدكتور طه حسين وكان من حديث الشيخ أبي رية إلى الدكتور طه حسين ما يلي: (إن «مجلة قافلة الزيت» التي تصدر في السعودية نشرت لي مقالاً بعنوان: «بعض ما أعرفه عن طه حسين» ولكن المجلة حذفت منه فقرة هامة جدًا تتعلق بألفاظ القرآن الكريم فسأل العميد (طه حسين) عن هذه الفقرة، فقال الشيخ: أتذكر يوم قلت لك وكنا منفردين: إن معاني القرآن من عند الله ولكن ألفاظه من عند النبي فبدا عليك الامتعاض وقلت في لهجة يشوبها الانفعال: هذا غير صحيح فالقرآن لفظًا ومعنى من عند الله. هذه الفقرة حذفتها المجلة وكنت أقصد من وراء ذكرها الرد على بعض من يطعن في عقيدة طه حسين)[٢].

هذا الكلام وإن كان حديثًا شفويًا إلا أنه ينسجم مع حديث الرجل عن القرآن في نهاية حياته وفي آخر مؤلفاته الإسلامية «مرآة الإسلام» فرأيت من الخير إثباته تبرئة للذمة وإحقاقًا للحق.



---

(١) الشيخ محمود أبو رية كانت تربطه بطه حسين صلات حميمة وكان يشارك طه في كثير من آرائه، من آثاره: كتاب «أضواء على السُّنَّة المحمدية» الذي حوى الكثير من الآراء الخاطئة في السُّنَّة النبوية ورواتها، توفي في ١١/١٢/١٩٧٠م. د. محمد الدسوقي: أيام مع طه حسين، ص١٣٧.

(٢) د. محمد الدسوقي: أيام مع طه حسين. دار القلم، دمشق. ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص١٢٠.

وكان النبي قد أظهر دين الحق على الدين كله في جزيرة العرب، ولكنه لم يظهره على الدين كله في سائر أقطار الأرض(!!). ثم انتفضت اليمن مع الأسود العنسي، وانتفضت بنو حنيفة مع مسيلمة في حياة النبي، فلم يتم له إذن إظهار دين الحق على الدين كله لا في جزيرة العرب ولا في غيرها من أقطار الأرض وها هو ذا يفارق الدنيا ويختاره الله لجواره فلا غرابة في أن يشك الصادقون من المؤمنين في أنه قد مات، كما شك عمر رحمه الله، ولا غرابة في أن يكفر الذين كانوا يعبدون الله على حرف، كما كفر الأعراب الذين جحدوا الزكاة ولا غرابة في أن يضطرب أمر الناس في المدينة أشد الاضطراب][1].

والدكتور بكلامه آنف الذكر يُكذِّب القرآن بدعوى أن الرسول ﷺ قد مات والدين الإسلامي لم يظهر على الدين كله. ولعل الدكتور قصد من الظهور هنا الظهور المادي بمعنى دخول الناس جميعًا تحت سلطان الدين وهذا تحكم في فهم الآية، فاختلاف الناس إلى مؤمن وكافر قضاء إلهي، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾[2]، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾[3]، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[4].

فتمايز الناس إلى كفر وإيمان قضاء من الله ليجري فيهم قضاؤه وليبتلي بعضهم ببعض.

---

(١) طه حسين: الشيخان، دار المعارف، ط٧، ص١٧.
(٢) سورة يونس، الآية: ٩٩.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٣٥.
(٤) سورة هود، الآية: ١١٨.

لا يبقى أحد إلا دخل في الإسلام أو أدى الجزية][1].

فظهور الحجة والبرهان واضح ظاهر في رسالة الإسلام منذ بعث رسول الله ﷺ وحتى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فليس لأحد من أهل الأديان الأخرى سماوية كانت أو وضعية حجة ظاهرة ـ قائمة على حق ـ على الإسلام ورسالته.

ثم إن ظهور الدين وسيطرته على النفوس والقلوب مما تنبأ به ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها**»[2]، وعن تميم الداري[3] رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين يعز عزيزًا ويذل ذليلاً، عزًا يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر**» فكان تميم الداري يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي لقد أصاب من أسلم منهم الخير

(١) أبو عبدالله بن محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر، بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ٥٥/٤.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٨٨٩) في الفتن باب «هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض» والترمذي رقم (٢١٧٧) «في الفتن» باب ما جاء في سؤال النبي ﷺ ثلاثًا في أمته، أبو داود رقم (٤٢٥٢) في الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها: راجع: ابن الأثير الجزري ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول ـ المكتبة التجارية مكة المكرمة، دار الفكر بيروت، ط٢ ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ٣١٦/١١.

(٣) تميم الداري: هو تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن خزيمة يكنى أبا رقية، لم يولد له غيرها، أسلم سنة ٩هـ، وهو أول من أسرج السراج بالمسجد، كان كثير التهجد والقيام، سكن المدينة ثم رحل إلى الشام بعد مقتل عثمان. [ابن الأثير الجزري: أسد الغابة في معرفة الصحابة ٢٩٥/١، دار الفكر، بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٣م].



## المبحث الثالث

## موقف طه حسين من قضيَّة جمع القرآن الكريم

من القضايا التي طنطن المستشرقون حولها وأرغوا فيها وأزبدوا قضية جمع القرآن بمراحلها المختلفة، ورددوا في ذلك شبهًا ومقالات ليس فيها شيء من الجدة، وإنما أذاعوا ما قاله أهل الزيغ والضلال من الملحدين والمبطلين وأصحاب النحل الفاسدة والأهواء المنحرفة ومن على شاكلتهم، في نهايات القرن الأول الهجري وما تلاه، ومن المؤكد أنهم حين نقلوا تلك المطاعن وأشاعوها عرفوا ردود أئمة الهدى على تلك الشبهات، ولكنهم أخذوا ما يبتغون وأعرضوا عما لا يريدون، وهذا مسلك ذميم لو كانت لديهم أثارة من إنصاف، وأكبر الظن أنهم عن ذلك بمعزل، إلا من كان رائده الحق، وقليل ما هم.

وليس من البعيد توقع الطعن ممن انطوى قلبه على الحقد والكراهية فذلك أمر تقر به العقول بداهة، أما طعان ذوي القربى وسهامهم فوقعها شديد مؤلم؛ لأنهم ممن يُرجى خيرهم ويُؤمن شرهم وصدق من قال:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة ... على النفس من وقع الحسام المهند

ثم يقول الدكتور بعد أن قرر مقال خصوم عثمان ﷺ: [فليس من شك في أن ما أقدم عليه عثمان من توحيد المصحف وحسم هذا الاختلاف وحمل المسلمين على حرف واحد أو لغة واحدة يقرؤون بها القرآن عمل فيه كثير من الجراءة، ولكن فيه من النصح للمسلمين أكثر مما فيه من الجراءة فلو قد ترك عثمان الناس يقرؤون القرآن قراءات مختلفة بلغات متباينة في ألفاظها، لكان هذا مصدر فرقة لا شك فيها ولكان من المحقق أن هذه الفرقة حول الألفاظ ستؤدي إلى فرقة شر منها حول المعاني بعد أن كان الفتح، وبعد أن استعرب الأعاجم وبعد أن أخذ الأعراب يقرؤون القرآن...][1].

وهذه المقالة السابقة توهم موافقة الدكتور ورضاه عن صنيع عثمان ﷺ، ولكن هذا الظن سرعان ما يتبدد حين يقول الدكتور متابعًا حديثه: [وإذا لم يكن على عثمان جناح فيما فعل لا من جهة الدين ولا من جهة السياسة فقد يكون لنا أن نأسى لتحريق تلك الصحف؛ لأنه إن لم يكن قد أضاع على المسلمين شيئًا من دينهم فقد أضاع على العلماء والباحثين كثيرًا من العلم بلغات العرب ولهجاتها، على أن الأمر أعظم خطرًا وأرفع شأنًا من علم العلماء وبحث الباحثين عن اللغات واللهجات][2] (!!!) وهذه الكلمات الأخيرة من مقال الدكتور، تعني مشاركته لأولئك الخصوم في مقالهم وادعائهم الذي يهدف بل ينص على أن القرآن الكريم الذي بأيدي الناس اليوم، والذي تلقته الأمة بالقبول ليس هو القرآن الذي نزل على محمد ﷺ بأجمعه إنما اعتراه

---

(١) طه حسين: الفتنة الكبرىٰ ـ عثمان ـ المجموعة الكاملة ٣٧٨/٤، ٣٨٦ بتصرف.

(٢) المرجع السابق ٣٧٨/٤.

٢ ـ أهملت ما نسخت تلاوته ولم يستقر في العرضة الأخيرة[(١)].

٣ ـ رتبت السور والآيات على الوجه المعروف الآن بخلاف صحف أبي بكر التي كانت مرتبة الآيات دون السور.

٤ ـ كتبت بطريقة جمعت وجوه القراءات المختلفة والأحرف التي نزل عليها القرآن.

٥ ـ جردت من كل ما ليس قرآنًا، كالذي كان يكتبه بعض الصحابة في مصاحفه الخاصة شرحًا لمعنى أو بيانًا لناسخ أو منسوخ][(٢)].

بهذا المنهج السامق يرد ادعاء الدكتور الذي ذهب إلى أن عثمان أضاع بتحريقه للصحف الأخرى بعض دينهم أو شيئًا من قرآن ربهم الذي أنزله الله هداية للناس، والحق أن عمل عثمان ﷺ في جمعه للقرآن وتحريقه لما عداه [حسم مادة الاختلاف، لأنه أمر يَمتدّ مع الزمن وتنشعب الأيام به، وهو إن أمن في عصره لم يدر ما يكون بعد عصره، وقد أدرك أن العرب لا يستمرون عربًا على الاختلاف والفتوح، وأن الألسنة تنتقل واللغات تختلف... فلم يفعل شيئًا أكثر من أنه حصَّن القرآن وأحكم الأسوار حوله، ومنع الزمن أن يتطرق إليه بشيء، وجعله بذلك فوق الزمن][(٣)].

ودعوى نقص القرآن من جراء تحريق عثمان ليست جديدة وإنما

---

(١) المراد بالعرضة الأخيرة: هي قراءة جبريل القرآن على النبي في عامه الأخير من حياته.

(٢) أحمد عادل كمال: علوم القرآن، دار المختار الإسلامي، ب. ت، ص٤٦.

(٣) مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار المنار، مكتبة فياض، ب. ت، ص٢٩.

* وفي المقابل نرى بعض المستشرقين يقفون عند حدود البحث ولا ينساقون لأهوائهم فيقرون بكمال القرآن وتمامه ويستبعدون ضياع أي جزء منه ولو كان يسيرًا.

يقول: «رودي بارت»[1] في مقدمة ترجمته الألمانية للقرآن ـ وكأنه يرد على زملائه الذين يشككون في صحة النص القرآني: «ليس لدينا أي سبب يحملنا على الاعتقاد بأن هناك آية في القرآن كله لم ترد عن محمد»[2].

ويقول مونتجمري وات[3]: «ومع أن مصحف عثمان لم يحذف منه شيء مما كان في المصاحف السابقة فإنه لاقى قبولاً عامًا من المسلمين»[4].

ومن خلال ما عرضناه فلم يكن الدكتور موفقًا فيما ذهب إليه من رأي خالف به إجماع المسلمين على كمال القرآن وتمامه.

إلا أنه من الحق علينا أن نوضح أن للدكتور كلامًا جيدًا في

---

(١) رودي بارت: مستشرق ألماني من آثاره: الدراسات العربية في الجامعات الألمانية، ترجمه إلى العربية د. مصطفى ماهر. [راجع: د. أحمد محمود هويدي، الاستشراق الألماني، ص٢٢].

(٢) نقلاً عن د. محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص٩٢.

(٣) سبق ترجمته، ص١٧٩.

(٤) مونتجمري وات: الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، ترجمه د. عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة الألف كتاب الثاني، العدد ٢٩٨ الصادر سنة ١٩٩٨، ص٦٣.

وهو، فيما يقول قد أخذ من فم النبي نفسه سبعين سورة من القرآن، ولم يكن زيد[1] قد بلغ الحلم بعد، فإيثار عثمان لزيد بن ثابت وأصحابه وتركه لابن مسعود وغيره من الذين سبقوا إلى استماع القرآن من النبي وحفظه عنه، قد أثار عليه بعض الاعتراض. وهذا شيء يفهم من غير مشقة ولا عسر][2].

والدكتور بإشارته لهذه الشبهة يحكي مقالة قديمة، تولى كبرها أهل الزيغ والضلال في الصدر الأول من دعوة الإسلام[3].

والحق أنه لا عيب على عثمان ﷺ في عهده إلى زيد بن ثابت بكتابة المصحف في عهده فهو لم يفعل غير تجديد دعوة أبي بكر وعمر ﷺ وانتدابهما لزيد لجمع القرآن أول مرة.

ولذلك لما كره ابن مسعود ﷺ أن يؤمر بتسليم مصحفه وأظهر اعتراضه على ذلك وقال: [إنه من يغلِ يأت بما غل يوم القيامة، فغلوا المصاحف، فلأن أقرأ على قراءة من أُحِب أَحَبُ إليَّ من أن أقرأ على قراءة زيد بن ثابت فوالذي لا إله غيره لقد أخذت من فِيّ رسول الله ﷺ بضعًا وسبعين سورة، وزيد بن ثابت غلام له ذؤابتان

---

= الحبشة ثم إلى المدينة، شهد المشاهد كلها مع رسول الله واحتز رأس أبي جهل في بدر، كانت له معرفة كبيرة بالقرآن والحديث. [أشرف طه أبو الذهب/المعجم الإسلامي، ص٣٩٧].

(١) زيد بن ثابت: [١١ق.هـ/٦١١م/٤٥هـ/٦٦٥م] صحابي جليل من كتبة الوحي، كان يجيد السريانية، وكان من أعلم الناس بالفرائض، وأحد الذين قاموا بمهمة جمع القرآن بعد وفاة النبي ﷺ انظر: المعجم الإسلامي، ص٣٠٥.

(٢) طه حسين: الفتنة الكبرى، عثمان المجموعة الكاملة ٣٧٨/٤.

(٣) راجع: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مقدمة التفسير ٧٨/١، ٧٩.

رسول الله ﷺ][1].

ونهاية القول: أن ابن مسعود رجع إلى رأي الجماعة[2] بل تبناه ودافع عنه [ولم ينكر حرفًا مما في مصحف عثمان وأوضح الحقيقة لأصحابه حين فزعوا إليه في المصاحف فقال: «إن القرآن أنزل على نبيكم من سبعة أبواب على سبعة أحرف «أو حروف» وإن الكتاب قبلكم كان ينزل «أو نزل» من باب واحد على حرف واحد معناهما واحد»][3] واستدل ابن كثير رحمه الله على رجوع ابن مسعود لرأي الجماعة بما قاله الأعمش: حدّثني معاوية بن قرة ـ بواسط ـ عن أشياخه قالوا: صلى عثمان الظهر بمنى أربعًا، فبلغ ذلك ابن مسعود فعاب عليه، ثم صلى بأصحابه العصر في رحله أربعًا فقيل له: عتبت على عثمان وصليت أربعًا؟ فقال: إني أكره الخلاف، وفي رواية: «الخلاف شر» فإذا كان هذا متابعة من ابن مسعود لعثمان في هذا الفرع فكيف بمتابعته إياه في أصل القرآن، والاقتداء به في التلاوة التي عزم على الناس أن يقرؤوا بها لا بغيرها][4].

أما كفاءة زيد بن ثابت فهي من الأمور التي لا يماري فيها أحد

---

(١) من تعليق الأستاذ محب الدين الخطيب على كتاب «العواصم من القواصم» للقاضي أبي بكر ابن العربي، المكتبة العلمية بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٧١، ٧٢.

(٢) راجع: د. محمد حسن حسن جبل: وثاقة نقل النص القرآني من رسول الله ﷺ إلى أمته، دار الصحابة بطنطا. ب. ت، ص٢٣٠، د. محمد أحمد خاطر: قراءة عبدالله بن مسعود، ص٦٩؛ وابن كثير في: البداية والنهاية، دار الفكر بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ٣١٠/٥، رابح لطفي جمعة: القرآن والمستشرقون ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص١١٧.

(٣) د. محمد أحمد خاطر: قراءة عبدالله بن مسعود، ص٦٩.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية ٣١١/٥.

اختلاف][1] وما كانت هذه الإطالة في الحديث عن زيد إلا لبيان منزلته العلمية وبيان أهليته لما قام به من كتابة المصحف ونسخه، ومن هنا يتضح أن اعتراض الدكتور الذي ساقه في الطعن على عثمان رضي الله عنه والذي ردده من قبله ممن طعنوا في الإسلام من أهل الزيغ والأهواء لا قيمة له في ميزان البحث.



(١) صفوان عدنان داودي: زيد بن ثابت كاتب الوحي وجامع القرآن، سلسلة أعلام المسلمين عدد ٣٢ دار القلم دمشق ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص١٧٦ ـ ١٧٩ بتصرف.

مصدرية القراءات القرآنية» فكان من قوله: [القرآن الذي تلي بلغة واحدة ولهجة واحدة هي لغة قريش ولهجتها، لم يكد يتناوله القراء من القبائل المختلفة حتى كثرت قراءته وتعددت اللهجات فيه وتباينت تباينًا كثيرًا... إننا نشير إلى اختلاف آخر في القراءات يقبله العقل، ويسيغه النقل، وتقتضيه ضرورة اختلاف اللهجات بين قبائل العرب التي لم تستطع أن تغير حناجرها وألسنتها وشفاهها لتقرأ القرآن كما كان يتلوه النبي وعشيرته من قريش فقرأته كما كانت تتكلم فأمالت حيث لم تكن تميل قريش، ومدت حيث لم تكن تمد، وقصرت حيث لم تكن تقصر، وسكنت حيث لم تكن تسكن... وهنا وقفة لا بد منها، ذلك أن قومًا من رجال الدين فهموا أن هذه القراءات السبع متواترة عن النبي نزل بها جبريل على قلبه، فمنكرها كافر في غير شك ولا ريبة ولم يوفقوا لدليل يستدلون به على ما يقولون سوى ما روي في الصحيح من قوله عليه الصلاة والسلام: «**أنزل القرآن على سبعة أحرف**»، والحق أن ليست هذه القراءات السبع من الوحي في قليل ولا كثير، وليس منكرها كافرًا ولا فاسقًا ولا مغتمزًا في دينه، وإنما هي قراءات مصدرها اللهجات واختلافها، للناس أن يجادلوا فيها وأن ينكروا بعضها ويقبلوا بعضها... إننا لم نتجاوز حدود الله ولم ننكر القراءات المتواترة وإنما هم قوم آخرون أضافوا إلى الوحي ما ليس منه واستنزلوا من السماء شيئًا لم ينزل من السماء][1].

---

(١) طه حسين: في الأدب الجاهلي، المجموعة الكاملة، الشركة العالمية للكتاب بيروت، ٥/٩٦ ـ ٩٩ بتصرف.

إلى سماع القرآن من شيوخ حافظين متقنين، وفي القرآن عبارات أو كلمات مستحيل أن يتوصل أحد إلى نطقها الصحيح عن مجرد القراءة في المصحف، ولو ظل وحده أيامًا وأشهرًا][1].

[ولقد وسع الله على عباده ـ خصوصًا في مبدأ عهدهم بالوحي ـ أن يقرؤوا القرآن بما تلين به ألسنتهم وكان من جملة هذه التوسعة القراءة بمترادفات من اللفظ الواحد للمعنى الواحد مع ملاحظة أن الجميع نازل من عند الله، نزل به الروح الأمين، على قلب محمد ﷺ ومما يدل على أن القراءات نازلة من عند الله قوله ﷺ لكل من المتنازعين المختلفين في القراءة من أصحابه: «**هكذا أنزلت**»[2]، وقول كل من المختلفين لصاحبه: أقرأنيها رسول الله ﷺ؛ وقول الله تعالى لرسوله جوابًا لمن سأله تبديل القرآن: ﴿**قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾[3]، كذلك أجمعت الأمة على أنه لا مدخل لبشر في نظم

---

(١) د. عبد العظيم المطعني: حقائق القرآن وأباطيل خصومه «شبهات وردود»، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، سلسلة دراسات إسلامية، العدد ٧٩ سنة ١٤٢٢هـ، سنة ٢٠٠٢م، ٢/٩٣، ٩٤ بتصرف.

(٢) يشير بذلك إلى الحديث الذي أخرجه مسلم أن عمر بن الخطاب قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها وكان رسول الله ﷺ أقرأنيها فكدت أن أعجل عليه ثم أمهلته حتى انصرف ثم لببته بردائه فجئت به رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها فقال رسول الله ﷺ: «**أرسله، اقرأ**» فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: **هكذا أنزلت**»، ثم قال لي: «**اقرأ**» فقرأت فقال: «**هكذا أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه**». راجع: صحيح مسلم بشرح النووي، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ٦/٩٨: ٩٩.

(٣) سورة يونس، الآية: ١٥.

### قول المستشرقين في مصدرية القراءات:

لم يكن رأي المستشرقين في مصدرية القراءات القرآنية بالجديد فهم الذين طالما تعمدوا النيل من القرآن والتشكيك في قدسيته، لقد ذهب نفر من المستشرقين إلى القول ببشرية المصدر للقراءات القرآنية [وساعدهم على تجسيد هذا التوهم طبيعة الخط العربي؛ لأنه كان في الفترة التي ظهرت فيها القراءات غير منقوط ولا مشكول... يقول جولدزيهر: «والقسم الأكبر من هذه القراءات يرجع السبب في ظهوره إلى خاصية الخط العربي، فإن من خصائصه أن الرسم الواحد للكلمة قد يقرأ بأشكال مختلفة للنقط فوق الحروف أو تحتها، كما أن عدم وجود الحركات النحوية، وفقدان الشكل (أي: الحركات) في الخط العربي يمكن أن يجعل للكلمة حالات مختلفة من ناحية موقعها من الإعراب، فهذه التكميلات للرسم الكتابي ثم هذه الاختلافات في الحركات والشكل، كل ذلك كان السبب الأول لظهور حركات القراءات فيما أهمل نقطه أو شكله من القرآن». اهـ][(١)].

ويذهب بلاشير[(٢)]: إلى القول ببشرية القرآن أيضًا وإن اختلف في تأويل المسألة أو تعليلها فقد روج لفكرة القراءة بالمعنى زاعمًا أن نص القرآن بحروفه لم يكن بالنسبة لبعض المؤمنين هو المهم ولكن المهم كان هو روح النص[(٣)].

يقول بلاشير: [إن نظرية القراءة بالمعنى كانت بلا ريب أخطر

---

(١) المذاهب الإسلامية، ص٤ ترجمه د. محمد يوسف موسى، نقلاً عن د. المطعني: حقائق القرآن وأباطيل خصومه، ص٩١.

(٢) ترجمته، ص١٠٨.

(٣) د. محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص٩٠ بتصرف.

يكون صوابًا إن شاء الله تعالى، وذلك أني تتبعت القراءات كلها صحيحها، وشاذها، وضعيفها، ومنكرها فإذا اختلافها يرجع إلى سبعة أوجه لا يخرج عنها وهذه هي الأوجه السبعة:

**الأول**: أن يكون الاختلاف في الحركات بلا تغير في المعنى والصورة نحو: «يحسب» بفتح السين وكسرها.

**الثاني**: أن يكون بتغير في المعنى فقط دون التغير في الصورة نحو: «فتلقى آدم من ربه كلمات» على ما فيها من قراءات[1].

**الثالث**: أن يكون في الحروف مع التغير في الصورة لا المعنى نحو: «الصراط، السراط».

**الرابع**: أن يكون في الحروف مع التغير في المعنى لا الصورة نحو: «تبلو، تتلو».

**الخامس**: أن يكون في الحروف والصورة نحو: «يأتل، يتأل».

**السادس**: أن يكون في التقديم والتأخير نحو: «فيقتلون ويقتلون» على ما فيهما من قراءات[2].

**السابع**: أن يكون في الزيادة والنقصان نحو: «وأوصى، ووصى».

فهذه الأوجه السبعة لا يخرج الاختلاف عنها][3].

---

(١) برفع لفظ آدم ونصب لفظ كلمات والعكس. راجع: عبد الفتاح القاضي: الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، طبعة الأزهر الشريف سنة ١٤٠٥هـ، ص١٣٩.

(٢) «فيقتلون ويقتلون» قرأ حمزة والكسائي ببناء الفعل الأول للمفعول والثاني للفاعل، والباقون ببناء الأول للفاعل والثاني للمفعول. راجع: محمد سالم محيسن: الإرشادات الجلية في القراءات السبع من طريق الشاطبية، طبعة الأزهر الشريف سنة ١٤١٥هـ، ص٢٢٣.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص١٧.

**الأول**: اختلاف الأسماء من إفراد، وتثنيه، وجمع، وتذكير، وتأنيث.

**الثاني**: اختلاف تصريف الأفعال من ماضٍ ومضارع وأمر.

**الثالث**: اختلاف وجوه الإعراب.

**الرابع**: الاختلاف بالنقص والزيادة.

**الخامس**: الاختلاف بالتقديم والتأخير.

**السادس**: الاختلاف بالإبدال.

**السابع**: اختلاف اللغات «يريد اللهجات» كالفتح والإمالة والترقيق والتفخيم، والإظهار والإدغام ونحو ذلك][١].

[فكيف شاء للدكتور رأيه أن يجعل تلك الكثرة الغامرة القائمة حرفًا واحدًا، على ما بينها من اختلاف في الوجوه والأنواع وعلى رغم أن من القراءات الحاضرة ما يكون وجه الاختلاف فيه ناشئًا عن وجود ألفاظ مترادفة في كلمة واحدة ومعنى واحد، ومنها ما هو من لغات قبائل مختلفة][٢].

ومن هنا يظهر خطأ الدكتور حين يؤكد دعواه بدعوى أخرى لا تقل عنها في الخطأ والزلل، وذلك حين ادعى أن الأحرف السبعة أزال عثمان ﷺ منها ستة أحرف وأبقى على حرف واحد فكان من قوله:

---

(١) راجع: محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن ١/١٥٥: ١٦٠ بتصرف، وقد مثَّل الشيخ الزرقاني للأوجه المذكورة بأمثلة عديدة في كتابه المذكور في الصفحات المشار إليها.

(٢) الزرقاني: مناهل العرفان ١/١٧٩ بتصرف.



## المبحث الخامس

## موقف طه حسين من المكي والمدني

نقل بعض الباحثين أن الدكتور طه حسين أثناء عمله بالتدريس بكلية الآداب ألقى على طلابه بعض المحاضرات في العام الدراسي ١٩٢٧ ـ ١٩٢٨م دعا فيها إلى الدرس البلاغي للأسلوب القرآني ونقد هذا الأسلوب كأي كتاب بشري ثم تطرق إلى الحديث عن القرآن فميز بين المكي والمدني بكلام لا يصدر مثله عن مسلم!! وكان مما نقله أولئك الباحثون قول الدكتور:

[وصلنا في المحاضرة الماضية إلى موضوع اختلاف الأساليب القرآنية وقررنا أنه ليس على نسق واحد، واليوم نوضح هذه الفكرة:

لا شك أن الباحث الناقد والمفكر الحر الذي لا يفرق في نقده بين القرآن وبين أي كتاب أدبي آخر، يلاحظ أن في القرآن أسلوبين متعارضين لا يربط الأول بالثاني صلة ولا علاقة مما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن هذا الكتاب قد خضع لظروف مختلفة وتأثير بيئات متباينة، فمثلاً نرى القسم المكي منه يمتاز بكل ميزات الأوساط المنحطة، كما نشاهد في القسم المدني واليثربي تلوح عليه أمارات الثقافة والاستنارة فإذا

كان النبي يراه في السوق يصنع السيوف فيقف ليرى صنعته...[1].

وكذلك قال كليمان هوار[2] إذ زعم أن شعر أمية بن أبي الصلت من مصادر القرآن! ومن الجدير بالذكر أن الدكتور طه يعرض هذه المقولة فلا ينفيها ولا يكذبها وإنما يقول كلامًا ربما أيدها وزاد من تثبيتها في الأذهان والقلوب، قال الدكتور: [من ذا الذي يستطيع أن ينكر أن كثيرًا من القصص القرآني كان معروفًا بعضه عند اليهود وبعضه عند النصارى وبعضه عند العرب أنفسهم وكان من اليسير أن يعرفه غير النبي، ثم إن النبي وأمية متعاصران فلم يكون النبي هو الذي أخذ من أمية؟ ألا يكون أمية هو الذي أخذ من النبي؟][3].

ويقول جرونيباوم[4] معلقًا على قول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩﴾[5]: [وإنه - يعني رسول الله ﷺ - ليعيد صوغ مادة التعاليم التي أعطيت اليهود والمسيحيين متممًا لها ومسبغًا عليها الكمال][6].

ويقول موريس بوكاي[7] بعد أن منَّ الله عليه بالإسلام: [كنت

(١) رابح لطفي جمعة: القرآن والمستشرقون، ص٤٢. بتصرف.

(٢) كليمان هوار: (١٨٥٤ - ١٩٢٧) ولد في باريس، عمل بوظيفة قنصل لفرنسا بعدد من البلدان انصرف في نهاية حياته إلى التصنيف والتأليف. المستشرقون ٢١٢/١.

(٣) أنور الجندي: محاكمة فكر طه حسين، ص١٧٠، ١٧١.

(٤) سبق التعريف به في، ص١٨٥.

(٥) سورة الأحقاف، الآية: ٩.

(٦) جوستاف جرونيباوم: حضارة الإسلام، ص١٠٤.

(٧) موريس بوكاي: مستشرق فرنسي معاصر، درس الطب واهتم بالكتب المقدسة، =

على المشركين، بينما السور المدنية يغلب عليها التشريع فيظهر فيها الهدوء][1].

ولعل الدكتور في مؤلفه «مرآة الإسلام» ـ وهو من آخر ما كتب في الإسلاميات ـ أشار إلى أن من وجوه الإعجاز في القرآن أسلوبه في أداء المعاني التي أراد الله أن تؤدي إلى الناس، وذكر وجهًا من أوجه الأداء وضحه بقوله: [تتلو بعض سوره فإذا أنت مضطر في تلاوتها إلى الأناة والتمهل؛ لأنها فصلت في ريث ومهل لأداء معانٍ تحتاج إلى البسط والريث. كالتشريع مثلاً ووصف ما كان يثار بين المسلمين والمشركين من الحروب والمواقع، وتتلو بعض سوره الأخرى فإذا أنت مضطر إلى شيء من السرعة؛ لأنها تؤدي معاني تحتاج إلى القوة والعنف. . . . وسواء قرأت السور السريعة أو السور المستأنية فسترى من جمال اللفظ وروعة الأسلوب واتساق النظام ما يسحرك ويبهرك ويملك عليك أمرك كله، فإذا أنت خاشع لما تسمع أو تقرأ معجب به مستزيد منه حتى حين يستأثر بك العناد وتتكلف ما تتكلف من إظهار الإصرار والاستكبار والإعراض والإباء][2].

ولعل هذه العبارة الأخيرة تدل على مراجعة فكرية وتعديل لمواقف سالفة كان الدكتور قد وقفها على وجه العناد والاستكبار كما هو واضح من كلامه. كهذا الموقف الذي أشرت إليه قبل قليل وهو تمييزه بين المكي والمدني بهذا الأسلوب البعيد عن الصواب، أو دعوته للطلاب لدراسة القرآن دراسة نقدية!!

---

(١) طه حسين: حديث المساء ـ تحقيق محمد سيد كيلاني، ص٥.

(٢) طه حسين: مرآة الإسلام، ص١٥٠، ١٥١ بتصرف.

على حسب النزول الزمني أو التاريخي وبيَّن أن تلك المحاولات كانت ضربًا من العبث؛ لأنها لم تؤد إلى شيء. يقول الدكتور: [وقد بيَّن الرواة الأولون ومن بعدهم أماكن نزول الآيات والسور وتاريخها وحاول بعض المستشرقين أن يرتب القرآن حسب ترتيب السور(١) فلم يصنعوا شيئًا، وترجم القرآن إلى بعض اللغات الأجنبية أحيانًا على هذا الترتيب التاريخي فكان هذا النحو من الترجمة والترتيب عبثًا لا يدل على شيء وإنما ينأى عما ألف المسلمون من الترتيب المعروف في المصحف](٢).

ويؤكد الدكتور طه حسين هذا المعنى في حديث له مع الدكتور الدسوقي وذلك في يوم ١٩٦٨/١٠/١٧ حيث نشرت صحف هذا اليوم قرارات مجمع البحوث الإسلامية، ومنها: عدم المساس بترتيب سور المصحف وآياته، وعلق الدكتور طه على هذا (بأنه يعتقد أن ترتيب الآيات توقيفي ولكن ترتيب السور اجتهادي)(٣)، وهو رأي جمهور العلماء(٤).



(١) من هؤلاء المستشرق الألماني نولدكة الذي كانت رسالته للدكتوراة عن أصل وتركيب سور القرآن، راجع المستشرقون ٣٧٩/٢، وممن حبذ هذا الترتيب من زملائه المستشرق جاك بيرك في مقدمته لترجمته لمعاني القرآن والتي سماها إعادة قراءة القرآن. راجع إعادة قراءة القرآن: دكتور محمد رجب البيومي يرد على جاك بيرك. كتاب الهلال العدد ٥٨٨ ديسمبر سنة ١٩٩٩، ص٣٧.

(٢) طه حسين: مرآة الإسلام، ص١٥٥.

(٣) د. محمد الدسوقي: أيام مع طه حسين، ص٩٤.

(٤) راجع: الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن ٣٥٣/١.

وسائل الإعلام المختلفة، وكان من ذلك أن سأل لطفي عثمان ـ مندوب صحيفة كوكب الشرق الصادرة عن حزب الوفد آنذاك ـ الدكتور عن ذلك بقوله:

[س: نسب عبد الحميد سعيد أفندي إليكم أنكم فسرتم الحروف التي في أوائل السور في القرآن بعدة آراء، منها: أنها معميات، ومنها: أنها كانت في الأصل مميزة لمصاحف الصحابة، فهل هذا صحيح؟

جـ: المسلمون والمستشرقون مختلفون في فهم هذه الحروف، فبعضهم يجد لها معاني، وبعضهم يقول: إنها من المتشابهات التي لا سبيل إلى فهمها، وبعض المستشرقين رأى رأيًا شخصيًا وهو أن هذه الحروف كانت علامات لبعض المصاحف لم أزد في الدروس عن أن قلت آراء المتقدمين والمستشرقين، ونددت بهذا الرأي السخيف كما ندد به العلماء من المستشرقين أنفسهم، فما يقوله عبد الحميد كذب وتزوير أيضًا، ويمكنكم أن تستشهدوا بالطلبة أنفسهم][1].

وهذا الكلام من الدكتور يدل على أنه لم يزد على أن عرض وقرر آراء العلماء عند من قال بأن لها معنى، والحق أن كثيرًا من هذه الآراء مجانب للصواب، كمن قال: إنها حروف دالة على أسماء أخذت منها وحذفت بقيتها، كقول ابن عباس وغيره الألف من الله، واللام من جبريل، والميم مفتاح اسمه مجيد، وغيرها[2].

وأحق الأراء بالنظر والتقدير عند من يرى أن لها معنى أنها جاءت:

---

(١) طه حسين: حديث المساء، تحقيق وتقديم: محمد سيد كيلاني، ص٥، ٦.

(٢) راجع: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١/١٥٠ ـ ١٥٣.

جاءت وهو قول عامر الشعبي[1] وسفيان الثوري[2] وجماعة من المحدثين[3]، وأبان الدكتور رفضه لرأي المستشرقين القائلين بأنها علامات لبعض المصاحف وأظهر أنه رأي سخيف رفضه نفر من المستشرقين أنفسهم ولم يرجح الدكتور رأيًا دون الآخر، سواء من قالوا بالتأويل أو من قالوا بأنه من المتشابه، فلا حرج على الدكتور في كلامه الأخير والله أعلى وأعلم بالصواب.



(١) الشعبي عامر بن شراحيل، راوية من التابعين ومحدث وحافظ ثقة. عاش في الكوفة اتصل بعبد الملك بن مروان فقربه وجعله رسوله إلى ملك الروم، توفي عام (١٠٣هـ/٧٢١م). المعجم الإسلامي ٣٤٣.

(٢) سفيان الثوري (٩٧ ـ ١٦١هـ/٧١٦ ـ ٧٧٨م) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، الكوفي (أبو عبدالله) محدث، فقيه، توفي بالبصرة، له من الكتب الجامع الكبير والجامع الصغير. معجم المؤلفين ٧٧١/١.

(٣) راجع: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١٥٠/١.

وكلام الدكتور لا يخلو من حق إلا أنه ليس الحق كله فالزعم بأن كلمة أمي في القرآن يقصد بها من ليس عبريًا ليس غير تحكم في فهم النص مع أن اللفظ اللغوي له أكثر من دلالة والدكتور حين يفسر اللفظ بما فسره به إنما قال بوجه من الوجوه وكثير من أئمة التفسير العارفين باللغة فسروا الأمي بأنه الذي يجهل القراءة والكتابة فرجل مثل محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ يقول: (إن الأمي عند العرب هو الذي لا يكتب، وأرى أنه قيل للأمي أمي: نسبة له بأنه لا يكتب إلى أمه، لأن الكتابة كانت في الرجال دون النساء، فنسب من لا يكتب ولا يخط من الرجال إلى أمه في جهله بالكتابة دون أبيه، كما ذكرنا عند النبي ﷺ من قوله: «**إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب**»[(١)])[(٢)].

وأبو حيان[(٣)] في البحر المحيط يقول:

(الأمي: الذي لا يقرأ في كتاب ولا يكتب، نسب إلى الأم لأنه ليس من شغل النساء أن يكتبن أو يقرأن في كتاب أو لأنه بحال ولدته أمه لم ينتقل عنها، أو نسب إلى الأمة وهي الخلقة أو إلى الأمة إذ هي

---

(١) قطعة من حديث رواه البخاري في الصوم (١٩١٣) باب (١٣) قول النبي ﷺ: «**لا نكتب ولا نحسب**» ومسلم في الصيام (١٥/١٠٨٠) باب (٢) وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال.

(٢) تفسير الطبري، تحقيق محمود وأحمد شاكر، دار المعارف بمصر ٢٩٦/١.

(٣) أبو حيان: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي الحياني الشهير بأبي حيان (٦٥٤هـ ـ ٧٤٥هـ)، كان ملمًا بالقراءات، وعلى جانب كبير من المعرفة باللغة وعرف بنظمه للأشعار والموشحات، وله علم كبير بالحديث ورجاله وكذلك بالتفسير، وأشهر آثاره: تفسيره المسمى بالبحر المحيط. راجع: الذهبي: التفسير والمفسرون ٣٠٠/١، ٣٠١.

ثم يعقب القرطبي بقوله: قلت: وهذا كله دليل معجزته وصدق نبوته][1] [وما لنا نذهب بعيدًا وهذا كتاب الله قد وصف محمدًا ﷺ بأنه أمي في سورة الأعراف ثم فسر معنى هذا الوصف في سورة العنكبوت وهي سورة مكية أيضًا فقال سبحانه: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ۝٤٨﴾[2] وهذه السورة نزلت بعد الأعراف بوقت طويل؛ لأنها من آخر السور المكية نزولاً][3].

والمعنى الذي رضيه الدكتور طه حسين لكلمة أمي قال به بعض المفسرين في تفسير بعض الآيات التي ورد بها لفظ أمي أو أميين.

يقول الأستاذ سيد قطب في تفسير قوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾[4] (هذه بالذات صفة يهود فهم الذين يقولون هذا القول ويجعلون للأخلاق مقاييس متعددة فالأمانة بين اليهودي واليهودي أما غير اليهود ويسمونهم الأميين وكانوا يعنون بهم العرب - وهم في الحقيقة يعنون كل من سوى اليهود - فلا حرج على اليهودي في أكل أموالهم)[5] ورجح الأستاذ هذا الإطلاق في تفسيره لآية سورة الجمعة على الأمي بمعنى الجاهل بالقراءة والكتابة؛ لأنه من وجهة نظره أقرب إلى موضوع السورة[6] إلا أنه من الصعب تعميم هذا

---

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١٨/٨٣.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٨.
(٣) من تعقيب الشيخ أحمد محمد شاكر على كلمة أمي بدائرة المعارف الإسلامية ٢/٦٤٧.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧٥.
(٥) سيد قطب: في ظلال القرآن ١/٤١٧.
(٦) سيد قطب: في ظلال القرآن ٦/٣٥٦٤.

النبي الأمي بمعنى الوثني يفقد قيمته إذا عرفنا أن محمدًا ربما لم يكن على بينة مما تدل عليه كلمة أمي عند اليهود وأنه كما أشرنا إليه آنفًا ربما جعل لهذه الكلمة معنى جديدًا[1].

وكلام باريه قريب الشبه بكلام الدكتور طه حسين وليس بالبعيد أن يكون الدكتور قد اطلع على هذا الرأي وتأثر به.



(١) دائرة المعارف الإسلامية ٢/٦٤٤، ٦٤٥.

في سورة «ص» ما يشير إلى ذلك)[1].

وكلام الدكتور فيه بعض الحق وبعض الباطل. . .أما ما فيه من الحق فحديثه عن التوراة وما فيها من أشياء لا يقبلها العقل كنسبة الفاحشة إلى الأنبياء ذلك الأمر الذي ينافي عصمتهم ويتعارض مع كريم مقامهم عند الله وعند الناس ولا أدل على ذلك من القصة التي استدل بها الدكتور والتي جاءت بتفاصيلها في الإصحاح الحادي عشر من سفر صموئيل الثاني[2].

أما الباطل الذي اشتمل عليه كلام الدكتور فهو تعقيبه على القصة المذكورة بأن القرآن جاء بما يؤيدها وهذا كلام غريب حين يصدر من رجل طالما عاب على الآخرين التسرع في البحث والمجازفة بإلقاء الأحكام دون تمعن وتريث.

(إن ما جاء في القرآن الكريم في سورة ص لا يدل على ما نسبته التوراة لداود عليه السلام، والآية صريحة في أنه دخل عليه خصمان وعرضا عليه قضية فحكم فيها دون أن يسمع قول المتهم فكان عتابه واختباره وكانت إنابته وتوبته)[3].

---

(١) د. محمد الدسوقي: أيام مع طه حسين، ص٦٩.

(٢) يؤيد كاتبو قاموس الكتاب المقدس هذه القصة ويكتبون أمثال تلك العبارات عن نبي الله داود (وقد ارتكب داود خطيئته الشنيعة ضد أوريا الحثي، ومع أن داود ارتكب في بعض الأحيان خطايا يندى لها الجبين خجلاً). والباحث ينزه النبي الكريم عن هذه الخطايا. راجع: د. بطرس عبد الملك وآخرون: قاموس كتاب المقدس ـ دار الثقافة ـ مصر الطبعة الثانية عشرة، ب. ت، ص٣٦٥.

(٣) د. محمد الدسوقي: أيام مع طه حسين، ص٦٩.

الروايات التي تقدح في عصمة نبي كريم.

ومن شارك في هذا الخطأ الخازن[1] في تفسيره فقد أورد القصة برواياتها المتعددة ثم ساق فصلاً جعل عنوانه: (فصل في تنزيه داود عليه السلام عما لا يليق به وينسب إليه) ويفند في هذا الفصل كل ما ذكره مما يتنافى مع عصمة نبي الله داود عليه السلام[2].

أما الحافظ ابن كثير فقد وقف من هذه القصة وأمثالها موقفًا حسنًا إذ قال: (قد ذكر المفسرون ها هنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثًا، لا يصح سنده، لأنه من رواية يزيد الرقاشي[3]، عن أنس رضي الله عنه، ويزيد وإن كان من الصالحين، لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة؛ فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله عز وجل فإن القرآن حق، وما تضمن فهو حق أيضًا)[4].

---

(١) الخازن: هو علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن خليل الشيحي ـ نسبة إلى شيحة من أعمال حلب ـ البغدادي الشافعي المعروف بالخازن اشتهر بذلك، لأنه كان خازن كتب بدمشق، ولد سنة ٦٧٨ ببغداد وتوفي بحلب سنة ٧٤١هـ. راجع: محمد حسين الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث. مجمع البحوث الإسلامية سلسلة البحوث الإسلامية طبعة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، ص٢١٦.

(٢) د. محمد السيد حسين الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص٢١٩.

(٣) هو يزيد بن أبان الرقاشي، القاص، من زهاد البصرة، كنيته أبو عمرو، وقيل الرقاشي البصري، من الطبقة الخامسة من طبقات رواة الحديث التي تضم صغار التابعين، قال عنه علماء الجرح والتعديل ضعيف زاهد. راجع: تهذيب التهذيب م١١ ص٣١١.

(٤) د. محمد علي الصابوني: مختصر تفسير ابن كثير، دار التراث العربي طبعة سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ٣/٢٠٠.



## المبحث العاشر

## رأي طه حسين في خيانة امرأة نبي الله نوح عليه السلام

ومن القضايا القرآنية التي تناولها الدكتور طه حسين في أحاديثه الشفوية موضوع بنوة ابن نوح عليه السلام الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾[1] ردًا على مناجاة نبيه نوح وسؤاله نجاة ولده: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾[2].

تحدث الدكتور طه حسين في ذلك إلى الدكتور محمد الدسوقي في يوم الخميس ١٩٦٩/١٢/٤م فكان مما قاله له: [إني كنت أميل إلى قراءة لا أدري أهي صحيحة أم لا[3] وهي: ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾[4] بسكون الميم بدلاً من ضمها، فقلت ـ أي: الدكتور

---

(١) سورة هود، الآية: ٤٦.

(٢) سورة هود، الآية: ٤٥.

(٣) لم أستدل على تلك القراءة فيما بين يدي من كتب القراءات مثل: ١ ـ الإرشادات الجلية في القراءات السبع من طريق الشاطبية لمحمد محيسن. ٢ ـ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة للشيخ عبد الفتاح القاضي، ٣ ـ الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع لعبد الفتاح القاضي.

(٤) سورة هود، الآية: ٤٣.

وأغفل الدكتور رأي جمهور العلماء في تفسير الآية لأنه يخالف هواه قال القرطبي: [وقال علماؤنا: وإنما سأل نوح ربه ابنه لقوله: «وأهلك» وترك قوله: ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ فلما كان عنده من أهله قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ يدل على ذلك قوله: ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: لا تكن ممن لست منهم؛ لأنه كان عنده مؤمنًا في ظنه، ولم يك نوح يقول لربه: ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ إلا وذلك عنده كذلك؛ إذ محال أن يسأل هلاك الكفار ثم يسأل في إنجاء بعضهم؛ وكان ابنه يُسر الكفر ويظهر الإيمان؛ فأخبر الله نوحًا بما هو منفرد به من علم الغيوب.

وأجاب «القرطبي» على قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ بكلام الجمهور: ـ ليس من أهل دينك ولا ولايتك فهو على حذف مضاف؛ وهذا يدل على أن حكم الاتفاق في الدين أقوى من حكم النسب][(١)].

أما موضوع الخيانة الذي استدل به الدكتور على نفيه صلبية الولد فالمأثور فيه أن المراد بالخيانة هنا خيانة العقيدة وليست خيانة الفاحشة إذ كانت تلك الزوجة تسخر منه مع الساخرين من قومه[(٢)].

يقول ابن عباس ـ الذي يبغضه الدكتور طه حسين ـ: [كانت امرأة نوح تقول للناس: إنه مجنون، وكانت امرأة لوط تخبر بأضيافه، وعنه: ما بغت امرأة نبي قط. وهذا إجماع المفسرين فيما ذكر القشيري[(٣)] إنما

---

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٤١/٩، ٤٢ بتصرف.

(٢) د. جمعة علي الخولي: تاريخ الدعوة ـ دار الطباعة المحمدية، ط١ سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ١٠٧/١.

(٣) القشيري (٣٧٦هـ/٩٨٦م ـ ٤٥٦هـ/١٠٨٢م) أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن، فقيه أشعري ومتصوف معروف، ولد في فارس، صاحب «الرسالة القشيرية»=

في أوليات حياته، وكان قد عوَّد أهله وأهل القرية أن يفاجئهم بالغريب من الأقوال والآراء، ولقد حكى الدكتور موقف والده معه للدكتور الدسوقي في أعقاب حوارهم آنف الذكر فقال:

(وأذكر أني كنت أقول لأخي المرحوم الشيخ أحمد حسين في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾[1] إنه عمل غير صالح، وكان والدي رحمه الله يصلي وأنا أقول لأخي ذلك، فلما انتهى من صلاته قال لي: يا كلب ياابن الكلب ما عدش إلا القرآن تقول فيه هذا الكلام الفارغ)[2].



(١) سورة هود، الآية: ٤٦.

(٢) د. محمد الدسوقي: أيام مع طه حسين، ص١٠٧.

فعن علي أنهم أهل فارس، حين أراد ملكهم تحليل زواج المحارم فامتنع عليه علماؤهم فعمد إلى حفر أخدود فقذف فيه من أنكر عليه منهم، واستمر فيهم تحليل المحارم إلى اليوم.

وعن ابن عباس قال: ناس من بني إسرائيل خدوا أخدودًا في الأرض ثم أوقدوا فيه نارًا، ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالاً ونساء فعرضوا عليها.

وزعموا أنه دانيال وأصحابه[١]، وقيل غير ذلك)[٢].

وقال القرطبي: في تعيينهم قولاً واحدًا أنهم كانوا بنجران في الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ، وقد اختلف الرواة في حديثهم والمعنى متقارب، وذكر حديث مسلم[٣] الذي رواه صهيب أن رسول الله ﷺ قال: «**كان ملك فيمن كان قبلهم، وكان له ساحر...**» الحديث)[٤] وقال عنهم سيد قطب: (قيل: إنهم من النصارى الموحدين ابتلوا بأعداء لهم طغاة قساة شريرين، أرادوهم على ترك عقيدتهم والارتداد

---

(١) دانيال اسم نبي من أنبياء بني إسرائيل قيل: كانت وفاته قبل ثلاثمائة عام من مولد محمد ﷺ وهذا ما جعل بعض العلماء يشكك في نبوته ويقول: بل كان رجلاً صالحًا لأن عيسى ابن مريم ليس بينه وبين رسول الله ﷺ نبي بنص الحديث الذي في البخاري والفترة التي كانت بينهما أربعمائة سنة، وقيل: ستمائة، تحكي الروايات أن أبا موسى الأشعري عثر على جثمانه أثناء فتح تستر في خلافة عمر وأنه دفنه وأخفى قبره حتى لا يفتتن الناس به. راجع: ابن كثير: قصص الأنبياء، ص٥٢٧ وما بعدها؛ دائرة المعارف الإسلامية، مادة: دانيال ١١٨/٩.

(٢) الصابوني: مختصر تفسير ابن كثير، ٦٢٣/٣.

(٣) رواه مسلم في (٥٣) كتاب الزهد والرقائق و(١٧) باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام الحديث (٣٠٠٥/٧٣) عن صهيب.

(٤) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٢٤٧/١٩.

دائرة المعارف (يروي المؤرخون المسلمون في كلامهم على أصحاب الأخدود أن ذا نواس ملك اليمن كان متعصبًا لليهودية غير متسامح مع النصارى، فدعاهم إلى اليهودية وخيرهم بين ذلك والقتل فاختاروا القتل فخد لهم الأخدود، وأحرقهم فيه ولهذه القصة ما يؤيد بعضها ويكملها في المصادر النصرانية...

وهناك تفسيرات أخرى لهذه القصة فيقول البعض: إن أصحاب الأخدود هم دانيال وأصحابه ويرى رجحان هذا الرأي جيجر[١] Was hat Mohammed في كتابه Gaiger ص١٩٢، ويقول الثعلبي في رواية له: إن أصحاب الأخدود ثلاثة: ذو نواس في اليمن، وأنطاخيوس في الشام، وبختنصر في فارس)[٢].



---

(١) جيجر: لم أستدل على ترجمته.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، مادة: أصحاب الأخدود ٢/٢٣٩.

# الفصل الخامس

## طه حسين والسُّنَّة النبوية

**وفيه مباحث:**

* **المبحث الأول:** طه حسين والسيرة النبوية.
* **المبحث الثاني:** مذهبه في الأخذ بالسُّنَّة.
* **المبحث الثالث:** التشكيك في السُّنَّة ورواتها.

**وفيه مطالب:**

**المطلب الأول:** شكه في حديث جبريل.

**المطلب الثاني:** شكه في حديث الكتابة.

**المطلب الثالث:** شكه في حديث اختلاف الأمة.

**المطلب الرابع:** رده لحديث مراجعة عمر لأبي بكر.

**المطلب الخامس:** شكه في حديث الاستسقاء بالعباس.

**المطلب السادس:** شكه في أمانة أبي هريرة.

**المطلب السابع:** التشكيك في الرواة من الموالي.

* **المبحث الرابع:** قبوله الروايات الضعيفة.
* **المبحث الخامس:** تصحيح الحديث بالظن.









# المبحث الأول

## طه حسين والسيرة النبوية

لم يؤرخ الدكتور طه حسين لسيرة النبي ﷺ بالمعنى المعروف عند العلماء والعامة على السواء، وهو كتابة سيرة النبي من حين ولادته أو قبلها بقليل حتى وفاته ﷺ، وإنما أراد أن يبقى على هامش السيرة ولم يرد أن يقص شيئًا من أمر السيرة لذاته.

### منهج الدكتور طه في كتابه على هامش السيرة:

أفرد الدكتور للسيرة النبوية كتابًا من ثلاثة أجزاء سماه: «على هامش السيرة» لم يكتبه دفعة واحدة وإنما بدأه على هيئة مقالات نشرها في مجلة الرسالة وأخرج الجزء الأول في سنة ١٩٣٣م لأول مرة، وفي عام ١٩٤٢م أخرج الجزء الثاني أما الجزء الثالث فقد صدر في العام التالي سنة ١٩٤٣م[1].

ولقد صدَّر الدكتور كتابه بمقدمة شرح فيها منهجه في كتابة

(١) د. عبد العزيز شرف: طه حسين وزوال المجتمع التقليدي، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٧م، ص٤٩، ٥١.

العقلاء عذرًا إذا خاطبهم بما ينكرون، فلذلك عنده تأويل وتعليل بينه بقوله: [وأنا أعلم أن قومًا سيضيقون بهذا الكتاب، لأنهم محدثون يكبرون العقل، ولا يثقون إلا به، ولا يطمئنون إلا إليه وهم لذلك يضيقون بكثير من الأخبار والأحاديث التي لا يسيغها العقل ولا يرضاها، وهم يشكون ويلحّون في الشكوى حين يرون كلف الشعب بهذه الأخبار، وجدّه في طلبها، وحرصه على قراءتها والاستماع لها، وهم يجاهدون في صرف الشعب عن هذه الأخبار والأحاديث، واستنقاذه من سلطانها الخطر المفسد للعقول، هؤلاء سيضيقون بهذا الكتاب بعض الشيء لأنهم سيقرؤون فيه طائفة من هذه الأخبار والأحاديث التي نصبوا أنفسهم لحربها ومحوها في نفوس الناس، وأحب أن يعلم هؤلاء أن العقل ليس كل شيء وأن للناس ملكات أخرى ليست أقل حاجة إلى الغذاء والرضا من العقل، وأن هذه الأخبار والأحاديث إذا لم يطمئن إليها العقل ولم يرضها المنطق، ولم تستقم لها أساليب التفكير العلمي، فإن في قلوب الناس وشعورهم وعواطفهم وخيالهم ميل إلى السذاجة، واستراحتهم إليها من جهد الحياة وعنائها، ما يحبب إليهم هذه الأخبار ويرغبهم فيها ويدفعهم إلى أن يلتمسوا عندها الترفيه على النفس حين تشق عليهم الحياة، وفرق عظيم بين من يتحدث بهذه الأخبار إلى العقل على أنها حقائق يقرها العلم وتستقيم لها مناهج البحث، ومن يقدمها إلى القلب والشعور على أنها مثيرة لعواطف الخير، صارفة عن بواعث الشر، معينة على إنفاق الوقت واحتمال الحياة وتكاليف العيش][1].

وهذا الكلام من الدكتور من الخطورة بمكان إذ يدل على نظرته

---

(١) د. طه حسين: على هامش السيرة: المجموعة الكاملة ١/١١، ١٢.

وعنوانه: على هامش الكتب القديمة، والثاني: «حياة محمد» لإميل درمنجم[(١)].

أما كتاب جيل لومتير فإني بعد أن شغفت به كثيرًا وضعت في نفسي الأسئلة الآتية:

هل يمكن إعادة كتابة مآثر الفترة البطولية في تاريخ الإسلام في أسلوب جديد أم يتعذر ذلك؟ وهل تصلح اللغة العربية لإحياء هذه المآثر؟

لقد حاولت أن أقص (بعض الأساطير) المتصلة بالفترة التي سبقت ظهور النبي ﷺ، ثم قصص مولده وطفولته ونشرت هذه السلسلة تحت عنوان مقتبس من جيل لوميتر وهو: «على هامش السيرة».

وهذا الكتاب من عمل المخيلة... اعتمدت فيه على جوهر بعض الأساطير، ثم أعطيت نفسي حرية كبيرة في أن أشرح الأحداث، وأخترع الإطار الذي يتحدث عن قرب إلى العقول الحديثة، مع الاحتفاظ بالطابع القديم.

هذا ما كشف عنه الدكتور طه حسين بعد سنوات طويلة من ظهور كتابه «على هامش السيرة» حين كان يتحدث إلى المستشرقين في أول مؤتمر للحوار بين المسيحية والإسلام][(٢)].

ويصرح الأستاذ عبدالله كنون أن على هامش السيرة وُضع على

---

(١) أميل درمنجم: مستشرق فرنسي ـ له مؤلفات كثيرة في الإسلاميات أشهرها حياة محمد، شغل مدير مكتبة الجزائر. راجع: المستشرقون ٣٤٨/١.

(٢) أنور الجندي ـ محاكمة فكر طه حسين، ص١٨٣، ١٨٤.

في بعض الأجزاء نراه قد أوجز كل الإيجاز في أجزاء أخرى برغم أهميتها][1].

فمثلاً يفرد قرابة العشرين صفحة للحديث عن راهب الإسكندرية، وما كان لدى الرهبان من علم ببعثة نبي من العرب وحين يدخل في صميم السيرة والحديث عن حياة النبي يختزل مرحلة كبيرة من حياته في بعض صفحات ربما لا تجاوز أصابع اليد الواحدة فيكتفي بالإشارة السريعة الخاطفة بداية من جهر النبي ﷺ بالدعوة حتى تهيؤه لغزوة بدر، ثم مروره بالأحداث بعد ذلك مرورًا سريعًا الأمر الذي أحدث نوعًا من الخلل في التوازن في مؤلفه الذي أطنب فيما لا ينبغي الإطناب فيه وأوجز فيما يستحق الإسهاب فيه.

**رابعها**: أعطى الدكتور طه للشياطين اهتمامًا كبيرًا في مؤلفه وتوسع في الحديث عنهم وجسد شخصياتهم (ومنحهم سمات الأبطال الذين يؤدون دورًا بارزًا في أمور الكون ومجرياته)[2].

**خامسها**: [أنه قد ركز كل القوى المناوئة لمحمد ﷺ في شخصية واحدة هي شخصية أبي جهل!؛ ألم يكن هناك معارضة لمحمد إلا من جانب عمرو بن هشام؟ إن هذا ليضعف من صورة المعارضة وهو يختزلها في شخص واحد.

ألم تعارضه أمة بأسرها في بادئ الأمر، ألم يتآمر عليه جميعهم، خاصة سادتهم وأغنياءهم؟ ألم يقاس ويعان؟ أليس هو القائل بعد ما رأى من عنف المقاومة «**اللَّهم إليك أشكو ضعف قوتي.... إن لم**

---

(١) المصدر السابق، ص١١٣.

(٢) د. جمال عبد الهادي: الزور والبهتان فيما كتبه طه حسين في الشيخان، ص٨٦.

[ولكن الله يريد أن يُلغى نظام التبني هذا، وأن يردَّ الناس إلى أنسابهم، وأن يَدْعوا الأبناء لآبائهم وإذا هو يمتحن في ذلك نبيه، ويمتحن في ذلك زيدًا، ويمتحن في ذلك المؤمنين الصادقين جميعًا. يُلقي في قلب النبي حب زينب زوج زيد ويلقي في قلب زيد الانصراف عن زينب والنفور منها.

وهذه نفس محمد مضطربة أشد الاضطراب، ممتنعة أشد الامتناع واجمة أشد الوجوم، ترفض هذا الحب رفضًا، وتزور عنه ازورارًا وإذا هي تنكره حتى على نفسها ولكن الله يبدي ما تخفي، ويُعرِّف الناس ما تُنكره، وإذا زيد يريد أن يطلق امرأته والنبي ينهاه ويزجره ويحذره، ولكن الله بالغ أمره وممض إرادته ومتم حكمته][1] فوجه الخطأ في كلام الدكتور أنه فسر ما أضمره النبي في نفسه.

حين حكى الله حاله بقوله: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾[2].

فسره بأنه الحب وقع في قلبه!

والدكتور يعلم أن جمهرة المفسرين[3] من المسلمين ممن عنوا بكتاب الله فسروا معنى الآية الكريمة: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ بما كان من إعلام الله لنبيه ﷺ من أن زينب ستكون له زوجه،

---

(١) طه حسين على هامش السيرة ـ المجموعة الكاملة ٥٥٠/٣.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.

(٣) راجع: العلامة علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي المعروف بالخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل ٦٠٨/٣؛ أبو عبدالله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي الحيان: التفسير الكبير المسمى البحر المحيط ٢٣٤/٧.

ويقول إميل درمنجم[1]: [ودخل محمد ذات يوم بيت زيد بن حارثة بعد الفراغ من غزوة بني النضير... وكان زيد في ذلك اليوم غائبًا عن بيته، فوجد محمد نفسه تجاه زوجة زيد زينب بنت جحش التي كانت أجمل فتيات قومها، وكانت زينب هذه آنئذ سافرة، وشبه عارية، وعاملة على زينتها وإدارة بيتها، فأثر هذا الجمال السافر الغض الفياض في نفس النبي فقال: سبحان مقلب القلوب.... قصت زينب ما رأت على زوجها زيد فارتبك كثيرًا...][2].

ولا أريد أن أكثر من أقوالهم في هذا فكلهم يحاكي بعضهم بعضًا، وكلهم أطلق لخياله العنان ليتكلم عن رسول الله بأهواء نفسه، وليفتروا عليه ما نزهه الله منه[3].

ومن القضايا المتعلقة بالسيرة النبوية والتي خالف الدكتور فيها إجماع المسلمين موقفه من معراج النبي ﷺ.

## إنكار طه حسين معراج النبي ﷺ:

(وفي مساء يوم السبت ١٤/١٢/١٩٦٨م زار الشيخ محمود أبو

---

(١) سبق ترجمته، ص٢٧١.

(٢) إميل درمنجم: حياة محمد، ص٣٠٠، ٣٠٢ نقلًا عن ناصر محمد السيد إسماعيل: دوافع الاستشراق وموازين البحث عند المستشرقين بين الماضي والحاضر ـ رسالة ماجستير ـ كلية الدعوة الإسلامية ـ قسم الأديان والمذاهب المعاصرة، ص٢٧٢.

(٣) لم أرد التعرض لقصة زواج النبي من السيدة زينب بشيء من التفصيل؛ لأن كثيرًا من الدراسات السابقة قد توافرت على هذا وقالوا فيها بما ليس بعده من جديد، وكذلك في الرد على مهاترات المستشرقين في هذا الشأن، راجع رسالة الماجستير [دوافع....] للباحث ناصر محمد السيد، المدرس المساعد بكلية الدعوة، ص٢٧٠، ٢٧٥.

تصريح بالمعراج ووصول الرسول ﷺ فيه إلى سدرة المنتهى عند جنة المأوى وفي الملكوت الأعلى.

وما في الآيات من إجمال لحادثة الإسراء والمعراج فقد بينته السُّنَّة وفصلته أيما تفصيل إذ أغلب كتب الصحاح والمسانيد قد روت حادثة الإسراء والمعراج مفصلة][1].

فإنكار المعراج بزعم أن القرآن لم يصرح به مردود عليهم، ولو سلمنا أن القرآن لم ينص ولم يصرح بالمعراج فهل يعد ذلك دليلاً لإنكاره ولِمَ يشكك الدكتور وصاحبه في السُّنَّة جميعًا دون تمييز بين الصحيح وغيره.

### موقف المستشرقين من المعراج:

تباينت مواقف المستشرقين من المعراج إثباتًا ونفيًا فبينما نجد مستشرقًا مثل «درمنجم» يثبت الإسراء والمعراج كلاهما غير أنه أتى بحشد هائل من الروايات فيها كثير من المكذوب والموضوع من مثل قوله وهو يصف المعراج: (وكان في السماء السابعة مقر أهل العدل ملك أكبر من الأرض كلها، له سبعون ألف رأس، في كل رأس سبعون ألف فم، في كل فم سبعون ألف لهجة، وكلها تسبح بحمد الله وتقدس له)[2].

وواضح من سياق الكلام ما فيه من المبالغة والتزيد؛ نجد

(١) الشيخ أبو بكر الجزائري: عقيدة المؤمن، مكتبة الدعوة بالأزهر. ب. ت، ص٢٠٦.

(٢) د. محمد حسين هيكل: حياة محمد. الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ مكتبة الأسرة ٢٠٠، ص٢٠٤.

الأولى منها، ولكنه لم يصل إلى الحلول في ذات الله وكان بمكنته فعل ذلك لو انتهز الفرصة المواتية له إبان إسرائه][1].

فإنكار الدكتور طه يشابه إنكار بعض المستشرقين لها وإن اختلفت المبررات.



(١) الدكتور/ساسي سالم الحاج: الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية. مركز دراسات العالم الإسلامي. ط١، سنة ١٩٩٢م، ٣/١٧٠.

الحديث فيفهم عنه في وضوح وجلاء، ولا يُنكِرُ منه إلا الأسماء التي كانت تَسَّاقطُ على الطلبة يتبع بعضها بعضًا، تسبقها كلمة «حَدَّثَنا» وتفصل بينها كلمة «عن».

وكان الصبي لا يفهم معنى لهذه الأسماء ولا لتتابعها ولا لهذه: «العنعنة» المملة، وكان يتمنى أن تنقطع هذه العنعنة، وأن يصل الشيخ إلى الحديث، فإذا وصل إليه سمعه الصبي ملقيًا إليه نفسه كلها فحفظه وفهمه وأعرض عن تفسير الشيخ؛ لأنه كان يذكره ما كان يسمع في الريف من إمام المسجد ومن ذلك الشيخ الذي كان يعلمه أوليات الفقه][1].

وكلام الدكتور ينص على أنه لم يعن يومًا بدراسة الأسانيد بل كان يضيق بها أشد الضيق، ثم هو يعتمد في فهم الحديث على ذات نفسه لا على شرح أهل الشأن من ذوي الاختصاص، ومن هنا كانت مواقفه البعيدة عن الصواب من رد الأحاديث الصحيحة بالعقل والاستدلال بالروايات الضعيفة على أنها ثابتة لا شك فيها، وتصحيحه للأحاديث بالظن.

## متى يؤخذ الحديث عند الدكتور:

شرط الدكتور لأخذ الحديث شروطًا لم يبتدعها إنما قال بها المحدثون من قبل، لكن الدكتور فهمها على محمل لم يفهمه العلماء الأفذاذ من سلف هذه الأمة، أول هذه الشروط:

[أن يعرض الحديث على القرآن فإن كان لا يناقض القرآن في

(١) طه حسين: الأيام، الأعمال الكاملة، المجلد الأول، ص١٧٥.

ولد له ولد فسماه محمدًا كان هو ومولوده في الجنة» ومثل: «آليت على نفسي ألا أدخل النار من اسمه محمد أو أحمد» فإن هذا مخالف للمقطوع به من أحكام القرآن والسُّنَّة من أن النجاة بالأعمال الصالحة لا بالأسماء والألقاب][1].

**والشرط الثاني**: [أن يكون الحديث قويًا في لفظه وحسن تمثيله للمعنى مشرقًا في عبارته مما يلائم ما عُرِفَ من فصاحة النبي ﷺ وروعة بيانه][2].

ولكن هذا الميزان الحساس لا يُعطى إلا لرجل خبير بالسُّنَّة كثير الحرص عليها ولا يعطاه كل أحد قال ابن دقيق العيد: [كثيرًا ما يحكمون [يعني المحدثين] بذلك، أي: بالوضع، باعتبار أمور ترجع إلى المروي، وحاصله أنهم لكثرة ممارستهم لألفاظ الحديث حصلت لهم هيئة نفسانية وملكة قوية يعرفون بها ما يجوز أن يكون من ألفاظ النبي وما لا يجوز قال البلقيني[3]: وشاهد هذا أن إنسانًا لو خدم إنسانًا سنين وعرف ما يحب وما يكره فادعى إنسان أنه يكره شيئًا يعلم ذلك أنه يحبه فبمجرد سماعه يبادر إلى تكذيبه][4].

والدكتور في رده لكثير من الأحاديث لم يعول على هذا الشرط إنما كان يبرر الرد بأنه من اختلاق الرواة المتأخرين، أو يعزو اختلاقه

---

(١) د. مصطفى السباعي: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ـ المكتب الإسلامي. بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، ص٩٩ بتصرف.

(٢) طه حسين: مرآة الإسلام، ص٢٢٢.

(٣) البلقيني (٧٢٤ ـ ٨٠٥هـ/١٣٢٤ ـ ١٤٠٣م) عمر بن رسلان بن نصير، القاهري، الشافعي، محدث حافظ، فقيه، أصولي له مؤلفات كثيرة منها: ترجمان شعب الإيمان، حاشية على الكشاف للزمخشري وغيرها. معجم المؤلفين ٥٥٨/٢.

(٤) د. مصطفى السباعي: السُّنَّة ومكانتها في التشريع، ص٩٨.

ومسألة تعارض الحديث مع العقل مسألة قديمة تحدث بها بعض المعتزلة أمثال النظام[1]، والجاحظ[2]، وقال بها كثير من المُحْدَثِين، والدكتور طه كان له حظ غير قليل في هذا وهم حين يتشككون في السُّنَّة يتعللون تارة بمخالفة الحديث النبوي للعقل، [وتارة بأنه مخالف للقرآن، وثالثة بأنه كتب في عهد بعيد عن الرسول ﷺ ورابعة بأن بني أمية حرفوا وكتبوا ما راق لهم من الأحاديث النبوية، وكأن السُّنَّة التي بين أيدينا مجموعة من خيال الكتاب أو ملفقة من قصاصين أو مدسوسة على رسول الله ﷺ، وسبب ذلك تصور المعارض والمنتقد حفظه واهتمامه بالعلم مثل أولئك الرجال الأبطال حفاظ سُنة رسول الله ﷺ، ونسي المنتقد أن كتابة السُّنَّة تعتبر في ميزان العقل البشري والعلمي معجزة لا تستطيع الأمم جميعها في الحاضر والمستقبل أن تفعل مثلها، ودقة علماء الجرح والتعديل لدى علماء السُّنَّة في دراسة سند ومتن الحديث النبوي لا تستطيع أي أمة من الأمم في السابق واللاحق أن تأتي بمثله وأن تلتزمه في ميدان التطبيق العملي][3].

ولقد كتب كثير من العلماء في هذا الموضوع وقاموا بتوصيف العقل المراد في دعوى التعارض فقالوا بأنه [مجموع عقول العقلاء من

(١) النَّظَّام: إبراهيم بن سيار بن هانيء، متكلم معتزلي، درس في مجلس أبي هذيل العلاف، كان مولعًا بالمناظرة توفي بالبصرة عام (٢٣١هـ/٨٤٥م). المعجم الإسلامي ٦١٦.

(٢) الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (١٧١هـ ـ ٧٨٨م) (٢٥٥هـ ـ ٨٦٨م) فيلسوف عربي، ولد في البصرة آمن بقوة العقل على الاستدلال على كل شيء، من أشهر مؤلفاته: «الحيوان». المعجم الإسلامي ١٩٣.

(٣) محمد نور سويد، هل يجوز إنكار حديث نبوي لمخالفته العقل ـ مقال ـ مجلة الوعي الإسلامي ـ الكويت ـ العدد ٤١٠ شوال ١٤٢٠هـ، ص٥٥.

فأما أخبار الأمم الماضية فخلاصة أقوال العلماء في التحديث بما ورد عنهم [أن ما جاء موافقًا لما في شرعنا صدقناه، وجازت روايته، وما جاء مخالفًا لما في شرعنا كذبناه وحرمت روايته إلا لبيان بطلانه، وما سكت عنه شرعنا توقفنا فيه، فلا نحكم عليه بصدق ولا بكذب، وتجوز روايته؛ لأن غالب ما يروى من ذلك راجع إلى القصص والأخبار، لا إلى العقائد والأحكام وروايته ليست إلا مجرد حكاية له كما هو في كتبهم أو كما يحدثون به بصرف النظر عن كونه حقًا أو غير حق][١].

أما الأمور الغيبية فإن كان الحديث صحيحًا فلو أجمعت الدنيا على استحالته، فإننا نقول ونعتقد بحصوله ووقوعه ولو بعد حين، وموقفنا هو موقف أبي بكر الصديق من حادثة الإسراء والمعراج وهو التصديق لإخبار رسول الله ﷺ.

وسنقف بحول الله وقوته فيما بعد مع نماذج من تعامل الدكتور طه حسين مع السُّنَّة، ولم أرد أن استقصي كل ما قاله الدكتور عن السُّنَّة والأحاديث؛ لأن هذا يخرج بالبحث عما أعد له، ثم إنه يؤدي بالبحث إلى الإطالة والتوسع، وفيما ذكرته غنية إن شاء الله ودلالة على منهج الدكتور وكيفية تعامله مع السُّنَّة.



---

(١) د. محمد السيد حسين الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث ـ مجمع البحوث الإسلامية. سلسلة البحوث الإسلامية ـ الكتاب الثاني ـ السنة الثامنة عشرة ١٤٠٧هـ، ص٨٨.

العظيمين وتقديسهما مصدرًا من مصادر الكذب عليهما أيضًا، والقدماء يقصون الأحداث الكبرى التي كانت في أيامهما كأنهم قد شهدوها ورأوها رأي العين مع أننا نقطع بأن أحدًا منهم لم يشهدها وإنما أرخوا لهذه الأحداث بأخرة][1] وفي موضع آخر من الكتاب نفسه يشكك في أحاديث الرواة التي تناولت اجتماع الصحابة في سقيفة بني ساعدة وما كان من أمرهم فيقول: [ولست أطمئن إلى أكثر ما يرويه الرواة من نصوص الحوار الذي دار بين أبي بكر وصاحبيه ـ عمر وأبي عبيدة ـ من جهة، وبين الأنصار أوسهم وخزرجهم من جهة أخرى، فهم يروون هذا الحوار رواية من شهد اجتماع القوم وسمع ما كان فيه من الأحاديث والخطب ثم لم يكتف بالسماع، وإنما سجل ما قيل حرفًا حرفًا بل سجل حركات القوم وإشاراتهم، ولو قد استطاع لسجل نبرات الأصوات، مع أن هذا الحوار وأمثاله لم يدون إلا بأَخَرَةَ، بعد انقضاء عصر الخلفاء الراشدين وصدر من ملك بني أمية، ولم ينتقل هذا الحوار وأمثاله إلى القصاص والمؤرخين مكتوبًا، وإنما نقل إليهم مشافهة، وصنعت فيه الذاكرة صنيعها، وتعرض بعضه للنسيان وبعضه لتغيير اللفظ، وضعت فيه الأهواء السياسية صنيعها أيضًا][2].

وهذا الكلام من الدكتور فيه طعن في السُّنَّة بأسرها لا في الأحداث المتعلقة بحياة الخلفاء الراشدين وما كان فيها فحسب، والتشكيك في السُّنَّة بدعوى أن الصحابة لم يكتبوا وكانوا يعتمدون على ذاكرتهم وأن الكتابة لم تكن إلا في عهود متأخرة كما قال الدكتور من الخطأ المحض، ومن الثابت المعلوم أن الله وهب للسُّنَّة قلوبًا حافظة

---

(١) طه حسين: الشيخان، ص٦، ٧.

(٢) طه حسين: الشيخان، ص٣٤، ٣٥.

وفي عهد أتباع التابعين ومن بعدهم فقد كثر الحفاظ كثرة عظيمة واتسع النشاط العلمي حتى إنه ما كانت تخلو مدينة من كبار الحفاظ الذين تشد الرحال إليهم أمثال سفيان الثوري[(١)]، مالك بن أنس[(٢)]، والبخاري[(٣)]، ومسلم[(٤)]، وسفيان بن عيينة[(٥)]، وأبي حاتم الرازي[(٦)] وغيرهم من أئمة الحديث][(٧)].

ومع هذه القلوب الواعية الصادقة قام القرطاس والقلم بحفظ سُنّة النبي ﷺ، ولم تكن الكتابة في عصور متأخرة كما قال الدكتور وغيره وإنما كانت الكتابة من عهد رسول الله ﷺ [كتب عبدالله بن عمرو بن العاص صحيفته الصادقة بين يديه ﷺ، كما سمح لغيره ممن لا يحفظ بالكتابة كسماحه «لأبي

---

(١) سبق ترجمته، ص٢٤٣.

(٢) مالك بن أنس (٩٣هـ/٧١٢م ـ ١٧٩هـ/٧٩٥م) فقيه وإمام المذهب المالكي، عاش بالمدينة وأشهر آثاره: الموطأ. راجع: المعجم الإسلامي: ٥٢٩.

(٣) البخاري: محمد بن إسماعيل (١٩٤هـ/٨١٠م ـ ٢٥٦هـ/٨٧٠م) إمام من أئمة الحديث ولد ببخارى ودفن بسمرقند، من آثاره: الجامع الصحيح. راجع: المعجم الإسلامي: ١٢٦.

(٤) مسلم: هو مسلم بن الحجاج (٢٠٤هـ/٨١٩م ـ ٢٦١هـ/٨٧٥م) ولد ودفن في نيسابور، أشهر آثاره: صحيح مسلم. راجع: المعجم الإسلامي: ٥٥٨.

(٥) سفيان بن عيينة (١٠٧هـ/٧٢٥م ـ ١٩٦هـ/٨١٢م) كوفي، مكي محدث وفقيه من آثاره تفسير القرآن الكريم. راجع: معجم المؤلفين: ١/٧٧١.

(٦) ابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن محمد الرازي (٢٤٠هـ/٨٥٤م ـ ٣٢٧هـ/٩٣٨م) حافظ، ثقة، كان عالمًا بالجرح والتعديل أشهر كتبه: «الجرح والتعديل» وهو من مدينة الري بإيران. راجع: المعجم الإسلامي: ، ص١٥، ١٦.

(٧) د. محمد عجاج الخطيب: أبو هريرة راوية الإسلام ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ سلسلة أعلام العرب ١٢٦ ـ طبعة ١٩٨٧، ص٦٠ بتصرف.

بالتدريج قواعد النقد التاريخي][1].

وعلى أساس هذا التدقيق قامت علوم ـ هي بشهادة الأعداء قبل الأصدقاء ـ من أروع علوم الدنيا، قامت لخدمة الحديث النبوي كعلم مصطلح الحديث وعلم الجرح والتعديل الذي يسمى عند العلماء بعلم «ميزان الرجال» [وكذلك عني العلماء الغيورون على السُّنَّة بتأليف كتب عن الوضع والوضاعين والأحاديث الموضوعة والأحاديث المشتهرة على ألسنة العامة وتحديد مراتبها وأصبحت علوم السُّنَّة من أهم وأكثر ما ألف فيه العلماء][2].

إن الغض من هذه الجهود الكبيرة في نقل السُّنَّة بدعوى مثل التي أذاعها الدكتور افتراء عظيم على الله والتاريخ وكان الأجدر به وهو الذي يشيد بالبحث العلمي أن يتبع قواعده وأصوله وأن لا يغفل هذه الجهود العظيمة التي بذلها العلماء في إذاعة سُنَّة النبي ﷺ وأخبار الصحب الكرام.

ولا يكتفي الدكتور بهذه الدعوى التي نال بها من السُّنَّة كلها ـ والتي رددها من قبله كثير من المستشرقين وعلى رأسهم جولدزيهر[3] ـ

---

(١) د. محمود حمدي زقزوق: الإسلام في مواجهة حملات التشكيك ـ وزارة الأوقاف ـ مصر ـ سلسلة قضايا إسلامية العدد ٤٥ ط٢ سنة ١٤١٩هـ، ص٣٦.

(٢) د. عبد الصبور مرزوق: القرآن والرسول ومقولات ظالمة ـ وزارة الأوقاف ـ مصر ـ سلسلة قضايا إسلامية العدد ٣٩ سنة ١٤١٩هـ، ص٥٠.

(٣) راجع: دائرة المعارف الإسلامية ـ المجلد السابع، مادة: حديث، ص٣٣٣. وممن قال بقول د. طه: موريس بوكاي في كتابه «الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة» نقل عنه ذلك د. عبدالله الرحيلي في بحث بعنوان: «مدخل إلى مناقشة شبهات المستشرقين حول تدوين السُّنَّة النبوية» ـ مجلة المنهل العدد ٤٧١ سنة ١٤٠٩هـ، ص٥٩.

**الثاني**: أن رواية التاريخ الإسلامي لم تكن وقفًا على المسلمين بل يشارك في ذلك الكثير من اليهود والنصارى ومن أهل الأهواء كالباطنية وغيرهم ممن تستروا بالإسلام وكادوا له بالليل والنهار وأدخلوا في الإسلام ما ليس منه، وألصقوا بسيرة رجاله ما لم يكن فيها ولا من سجية أهلها، حتى تحولت أعظم رسالات الله وأكملها إلى طريقة من الخمول والعطالة والجمود.

ولولا القوة الحيوية الخارقة الكامنة في تعاليم الإسلام التي تنفي كل خبث يعلق بها، ثم جهود العلماء المخلصين الذين عنوا بالتاريخ الإسلامي وتحقيق مسائله، ثم عناية الله من قبل ذلك ومن بعده بهذه الأمة - لكادت جهود هؤلاء البطالين تقضي على الإسلام وتعاليمه وتذهب بتاريخ المسلمين الناصع...

وفي الصفحات التالية نماذج من تشكيك الدكتور في السُّنَّة ورواتها.



**تشرك به وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان»**. قال: ما الإحسان؟ قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» قال: متى الساعة؟ قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها، إذا ولدت الأمة ربتها، وإذ تطاول رعاة الإبل البهم**[1] **في البنيان، في خمس لا يعلمهن إلا الله**، ثم تلا النبي ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[2] الآية». ثم أدبر فقال: «ردوه» فلم يروا شيئًا. فقال: «**هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم**»[3].

ثم علق الدكتور على الحديث بقوله: [والقسم الأول من الحديث هو الذي يعنينا، لأنه مطابق للقرآن فالإيمان ـ كما وصفه النبي ﷺ ـ هو الذي ذكره الله في الآية المتقدمة من سورة البقرة[4]، وكذلك الإسلام والإحسان، والله عنده علم الساعة ـ ما في ذلك شك ـ لأنه منصوص، فأما أشراطها التي جاءت في الحديث وأن الرجل الذي جاء يسأل النبي كان جبريل أقبل يعلم الناس دينهم فإنا نتركه لأبي هريرة ولمن روى عنه يحملون تبعته][5].

والدكتور في رده للجزء الأخير من الحديث والذي يتعلق بأشراط

---

(١) البهم: جمع بَهْمَة وهي ولد الضأن الذكر والأنثى، وجمع البَهْم بهام، وأولاد المعز سخال فإذا اجتمعا أطلق عليها البَهْم والبهام. قال الخطابي: أراد برعاء الإبل والبهم الأعراب وأصحاب البوادي الذين ينتجعون مواقع الغيث ولا تستقر بهم الدار. النهاية: ١٦٨/١.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

(٣) الإمام النووي: صحيح مسلم بشرح النووي: فصل أشراط الساعة حديث رقم ٩ المجلد الأول، ص١٦١.

(٤) هي قول الله سبحانه: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

(٥) طه حسين: مرآة الإسلام، ص٢١١، ٢١٢.

**الزكاة وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلًا»**[1].

فإنه موافق لقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[2]، ولقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾[3]، ولقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[4].

**ثانيًا**: ما كان مبينًا لأحكام القرآن من تقييد مطلق، أو تفصيل مجمل أو تخصيص عام كالأحاديث التي فصلت أحكام الصلاة والصيام والزكاة والحج والبيوع والمعاملات التي وردت مجملة في القرآن وهذا القسم أغلب ما في السُّنَّة وأكثرها ورودًا.

**ثالثًا**: ما دل على حكم سكت عنه القرآن، فلم يوجبه ولم ينفه كالأحاديث التي أثبتت حرمة الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها، وأحكام الشفعة، ورجم الزنى المحصن وغير ذلك.

ولا نزاع بين العلماء في القسمين الأولين ـ أي: في ورودها وثبوت أحكامها وكونهما الغالب على أحاديث السُّنَّة ـ إنما اختلفوا في الثالث ـ أي: الذي أثبت أحكامًا لم يثبتها القرآن ولم ينفها ـ بأي طريق كان ذلك؟ أعن طريق الاستقلال بإثبات أحكام جديدة؟ أم عن طريق

---

(١) البخاري في الإيمان: باب قول النبي: «**بني الإسلام على خمس**» ١/٤٧، ومسلم فيه: باب أركان الإسلام رقم (١٦)، والترمذي فيه باب بني الإسلام على خمس رقم ٢٧٣٦ ـ راجع جامع الأصول في أحاديث الرسول ـ لابن الأثير الجزري ـ المكتبة التجارية ـ مصطفى أحمد الباز، مكة المكرمة ط٢، سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ١/٢٠٧، ٢٠٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

وكذلك تحدث القرآن عن خروج يأجوج ومأجوج[1]، ونزول عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ[2]، وقد انفردت سُنّة النبي ﷺ ببيان بعض الأمارات وهي من ناحية الإحصاء أكثر عددًا من الأمارات التي تحدث عنها القرآن، فإن كان الدكتور يرد ما جاء في الحديث ـ حديث أبي هريرة ـ بدعوى أنه أتى بما لم يأت به القرآن، فإن هذا بالضرورة يقتضي رد كل ما تفردت به السُّنَّة في هذا الشأن! ومن الجدير بالذكر أن السُّنَّة حين ذكرت بعض الأشراط فإنها تفصل مجمل القرآن الذي أخبر بظهور أمارات الساعة قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾[3].

والدكتور حين يرد هذا الجزء من الحديث [غاب عنه أن الرسول ﷺ لا يعلم الغيب بذاته، بمقتضى بشريته ولكن الله يُعلمه بما شاء منه لحكمة يعلمها وهذا ما صرح به القرآن نفسه إذ يقول: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[4].

وغاب عنه أن دواوين الحديث من الصحاح والسنن والمسانيد والأجزاء وسائر المصنفات ـ حفلت بالكثير الكثير مما أنبأنا به ﷺ عن غيوب مستقبلية مما يدخل تحت عناوين «الفتن» أو «الملاحم» أو «أشراط الساعة» وهي مما تواتر يقينًا لا يدخله الشك.

---

(١) قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنبياء: ٩٦، ٩٧].

(٢) قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا . . . . وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٥٧ ـ ٦١].

(٣) سورة محمد، الآية: ١٨.

(٤) سورة الجن: الآية: ٢٦، ٢٧.

فجملة الأصول وتفصيلها بمعزل عن الشك، وإنما يكثر الشك ويختلف قوة وضعفًا في بعض الفروع وفيما يتصل بالترغيب في الفضائل وفي التنفير من الشر][١].

إني آخذ الرجل بقوله وأسأله: أشراط الساعة التي تنكرها وترد الجزء الذي نص عليها في الحديث من فروع الدين أم من أصوله؟ وإذا لم يكن اليوم الآخر وما يتعلق به من أمور من الأصول فما هي الأصول إذن؟

ثم إن هناك أمر آخر جدير بالالتفات إليه وهو أن الدكتور استدل برواية الشيخين ليطعن على أبي هريرة الذي روى الحديث ـ وأبو هريرة ـ هو من هو في صدق حديثه وتحريه فيما يرويه عن رسول الله ﷺ والدكتور يتابع في ذلك نفرًا من المستشرقين نالوا من الصحابي الجليل وأمانته في النقل عن رسول الله ﷺ[٢].

ويُعرِض الدكتور عن الرواية التي تفرد بها مسلم؛ لأنها من رواية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وفيها ذكر لأشراط الساعة وبيان أن السائل لرسول الله ﷺ هو جبريل عليه السلام. يعرض عن هذه الرواية لأنه لم يكن ليجرؤ على اتهام عمر بالكذب وهو الذي طالما مدحه في كثير من كتاباته وأغرق في ذلك حتى يقدمه على البشر جميعًا إلا أولو العزم ـ على حد تعبيره ـ ونقطة أخرى في الحديث لم يعرها الدكتور اهتمامًا ولم يأبه لها وهي ورود الحديث عند الشيخين.

---

(١) طه حسين: مرآة الإسلام، ص٢٣٩، ٢٤٠.

(٢) سأقوم بإذن الله بالتعرض لذلك عند الكلام عن حديث الدكتور عن سيدنا أبي هريرة.

لأبي بكر أو لغيره لما صرفه عن ذلك أحد][1].

والحديث جاء في الصحيحين ورواية الإمام مسلم [عن عائشة قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: «**ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتابًا فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»][2].

ورواية البخاري ذكرها ابن تيمية في منهاج السُّنَّة ونصها: [قالت عائشة: وارأساه، فقال رسول الله ﷺ: «**ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك**». فقلت: واثكلاه، والله إني لأظنك تحب موتي، فلو كان ذلك لظللت آخر يومك معرسًا ببعض أزواجك فقال ﷺ: «**بل أنا وارأساه، لقد هممت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد أن يقول القائلون ويتمنى المتمنون، ويأبى الله والمؤمنون**»][3].

أما مقولة عمر التي يتمسك بها الشيعة ويرون [أنه قد تجرأ على الرسول وتحداه، ووقف دون وصيته، ونسب إليه ما نسب عند مرضه][4].

وذلك عندما قال عمر: «إن الرجل ليهجر، حسبنا كتاب الله»

---

(١) طه حسين: الشيخان، ص٢٤، ٢٥، مرآة الإسلام، ص١٣٢، ١٣٣.

(٢) الإمام النووي: صحيح مسلم بشرح الإمام النووي والحديث رقم ٢٣٨٧ المجلد ٥، ١٥٥/١٥.

(٣) راجع: الحافظ أبو عبدالله الذهبي: المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال ـ وهو مختصر منهاج السُّنَّة ـ لابن تيمية ـ تحقيق: محب الدين الخطيب، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، السعودية، ١٤١٣، ص٣٦٢.

(٤) مرتضى الرضوي مع رجال الفكر في القاهرة (من حواره مع د. طه حسين) مطبوعات النجاح بالقاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٤هـ، ص١٥٧.

العباس من علي أن يسأل رسول الله ﷺ فيمن يكون الأمر من بعده؟ فامتنع علي عن سؤال النبي وقال: والله لئن سألناها رسول الله فمنعناها لا يعطيناها الناس أبدًا والله لا أسألها رسول الله أبدًا.

يعقب الدكتور بعد أن ساق الحديث بمعناه بقوله: [والغريب أن الطبري يروي هذا الحديث من طريقين دون أن ينكر منه شيء مع أن التكلف فيه ظاهر وهو إنما أريد به أن يرد على الشيعة بأن عليًا لم يكن يعلم بأنه وصي النبي ﷺ، وأنه كان يرجو أن تساق الخلافة إليه يومًا وأنه أشفق إن سأل النبي عنها أن ينبئه النبي بأنها ليست في بني هاشم، فيعلم الناس بهذا المنع ثم يرونه دينًا فلا يسمحون لهاشمي أبدًا](1).

وقبل أن يتحدث الدكتور بهذا الحديث مهَّد له بأحاديث سبقته في بيان فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ثم أتبعها بقوله: [وحب النبي له معروف ـ يعني: أبا بكر ـ أعلنه ﷺ غير مرة، فلا حاجة إذن إلى أن تخترع الأحاديث لإثبات ما لا حاجة إلى إثباته، كالحديث الذي يروى من أن العباس عرف الموت في وجه النبي ﷺ، وكان يعرف الموت في وجوه بني عبد المطلب... وذكر الحديث](2).

فالحديث في نظر الدكتور مخترع... والتكلف فيه ظاهر والحكم لا يستند على قاعدة حديثية وإنما يستند على رأي رآه الدكتور وهو أن مخترعي الحديث يريدون الرد على الشيعة ببيان أنه لم يكن هناك نص على عليّ رضي الله عنه.

(١) طه حسين: الشيخان، ص٣٠، ٣١.

(٢) طه حسين: الشيخان، ص٣٠.



## المطلب الثالث

## شكه في حديث اختلاف الأمة وافتراقها

ومن الأحاديث التي ردها الدكتور طه حسين وادعى أنها موضوعة مخترعة ـ دون أن يقدم دليلاً على دعواه ـ حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، والحديث وإن كان فيه مقال من ناحية السند، واختلف العلماء فيه من ناحية القبول أو الرد، إلا أنه كان لا بد من التعرض له والوقوف عنده، لأن الدكتور تناوله بأسلوب لا ينبغي أن يتناول به حديث رسول الله ﷺ.

لما تحدث الدكتور عن الفرق الإسلامية وتأثرهم بأتباع الديانات الأخرى ونشوء طرق من الجدل والفلسفة والمغالاة في تقدير العقل والافتتان به كانت ـ فيما يرى الدكتور ـ مثار فتنة وباعث فرقة، وفتحت عليهم أبوابًا من الاختلاف لا تنقضي.

شرع بعد ذلك يقرر رأيه بقوله: [ثم لم يكفهم[1] هذا كله فزعم الزاعمون منهم أن النبي ﷺ قد نبأ بهذا الاختلاف، ونبأ بعدد الفرق التي تنشأ في الإسلام، ونبأ بأن فرقة واحدة منها هي الناجية ـ في

(١) يقصد المتكلمين من المسلمين.

**ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة»** وزاد (يعني أبا داود) في رواية: **«وإنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء، كما يتجارى الكلب[1] بصاحبه لا يبقى منه عِرْقٌ ولا مَفْصِل إلا دَخَلَه»** أخرجه أبو داود[2].

* **والرواية الثانية**: عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، أو اثنتين وسبعين، والنصارى مثل ذلك، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»** أخرجه الترمذي وفي رواية أبي داود ـ عن أبي هريرة أيضًا ـ قال: **«وتفرقت النصارى على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة. . .»** وذكر الحديث[3].

* **والرواية الثالثة**: عن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حَذْوَ النَّعِلْ بالنَّعْل، حتى إنْ كان منهم من أتى أُمَّهُ علانيةً، ليَكُوننَّ في أمتي مَنْ يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرَّقت على ثنتين وسبعين ملَّةً، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كُلُّها في النار، إلا ملةً واحدةً»**، قالوا:

---

(١) يتجارى الكلب: التجاري، تفاعل من الجري وهو الوقوع في الأهواء الفاسدة والتداعي فيها تشبيهًا بجري الفرس، والكلب داء معروف يعرض للكلب إذا عض حيوانًا عرض له أعراض رديئة فاسدة قاتلة، قاله ابن الأثير في شرح غريب الحديث.

(٢) رقم (٤٥٩٧) في السنة، باب شرح السُّنَّة، ورواه أيضًا أحمد في «المسند» (١٠٢٤)، وإسناده صحيح. قاله الأرناؤوط.

(٣) رواه أبو داود رقم ٤٥٩٦ في السنة، باب شرح السُّنَّة، والترمذي رقم (٢٦٤٢) في الإيمان باب ما جاء في افتراق هذه الأمة وقال الترمذي: حديث أبي هريرة حسن صحيح، وهو كما قال، وفي الباب عن سعد، وعبدالله بن عمرو، وعوف بن مالك. قاله الأرناؤوط.

ـ بأنها في النار، هذا مع ما جاء في فضل هذه الأمة وأنها أمة مرحومة[(١)].

### * توضيح مشكل الحديث:

[الحديث وإن حسنه بعض العلماء كالحافظ ابن حجر، أو صححه بعضهم كشيخ الإسلام ابن تيمية بتعدد طرقه لا يدل على أن هذا الافتراق بهذه الصورة وبهذا العدد، أمر مؤبد ودائم إلى أن تقوم الساعة ويكفي لصدق الحديث أن يوجد هذا في وقت من الأوقات، فقد توجد بعض هذه الفرق، ثم يغلب الحق باطلها فتنقرض ولا تعود أبدًا، وهذا ما حدث بالفعل لكثير من الفرق المنحرفة، فقد هلك بعضها ولم يعد له وجود.

ثم إن الحديث يدل على أن هذه الفرق كلها جزء من أمته ﷺ أعني أمة الإجابة المنسوبة إليه، بدليل قوله: «**تفترق أمتي**» ومعنى هذا أنها ـ برغم بدعتها ـ لم تخرج عن الملة ولم تفصل من جسم الأمة المسلمة وكونها (في النار) لا يعني الخلود فيها كما يخلد الكفار، بل يدخلونها كما يدخلها عصاة الموحدين...][(٢)].

فاكتفاء الدكتور طه حسين بالحكم المطلق بوضع الحديث دون بيان وجه الطعن فيه، محاكاة لموقف المستشرقين الذين حكموا بوضع كثير من الروايات التي تعرضت للخلاف بين المسلمين.

---

(١) د. يوسف القرضاوي: الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم. دار الصحوة، دار الوفاء، ط١، ١٤١١هـ، ص٥٢ بتصرف.

(٢) د. يوسف القرضاوي: الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، ص٥٤، ٥٥ بتصرف.



## المطلب الرابع
## رده لحديث مراجعة عمر لأبي بكر في حرب المرتدين

ومن الأحاديث الثابتة في كتب السُّنَّة والتي يردها الدكتور بالعقل المجرد حديث مراجعة عمر بن الخطاب ﷺ لأبي بكر الصديق ﷺ في أمر حرب المرتدين وعلل الرد بأنه يكبر عمر أن يقف هذا الموقف ففهم عمر لدينه أعظم من أن يكون هذا حاله، يقول الدكتور بعد أن ذكر القصة وصدرها بقوله: «ويزعم الرواة»: [ولست أقبل هذه القصة بحال، فوجوه المسلمين من أصحاب رسول الله ﷺ أعلم بدينهم من أن يجادلوا أبا بكر في الزكاة، ولم يكن عمر أقلهم علمًا بالإسلام، إلى ما عرف من شدة عمر في الحق، ولم يكن عمر ولا أبو بكر قد عرفا هذا اللون من الجدل الذي ألفه الفقهاء والمتكلمون... والذين يروون هذه الرواية يسيئون إلى أولئك الشيوخ من أصحاب رسول الله، حين يصورونهم من جهة خائفين مشفقين أن يتخطفهم العرب...](١).

**ثبوت الحديث**: والحديث الذي يرده الدكتور ثابت في كتب السُّنَّة من رواية أبي هريرة ﷺ قال: لما تُوُفِّي النبي ﷺ واستُخْلِفَ أبو بكر

(١) طه حسين: الشيخان، ص٦٠.

العواصم من القواصم[1]، ولقد كان المصاب شديدًا على صحابة النبي ﷺ وأخصهم عمر رضي الله عنه حتى قال ما قال حين أخبروه بوفاة النبي، فليس ببعيد أن يكون عمر رضي الله عنه وهو يراجع أبا بكر في أمر المرتدين ما زال متأثرًا بفقد رسول الله، هذا التأثر الذي حجب عنه الرؤية السديدة وجعله يراجع أبا بكر.

[وأي عيب في أن يراجع الصحابة أبا بكر في قتال مانعي الزكاة، أو لم يكن ارتداد الجزيرة العربية أمرًا مخيفًا؟ ومن حق الصحابة الاجتهاد في الرأي للتخفيف من أهوال فتح جبهات لقتال المرتدين في عدة جبهات في وقت واحد ثم حسم أبو بكر الأمر بعد أن بين لهم أن من يشهد أن لا إله إلا الله لا بد أن يؤدي حق المال وإلا فهو مرتد قد خرج من شهادة أن لا إله إلا الله ولذا فقد انشرح قلب عمر لما انشرح له قلب أبي بكر][2].

وليس في الحديث ما يدعو إلى الفهم الذي خشيه الدكتور وهو أن يظن الناس بالصحابة أنهم ضعفوا وجبنوا عن مواجهة أهل الردة والمانعين للزكاة في طول الجزيرة وعرضها [فما كان لمثل هؤلاء الأبطال الذين تربوا على حب الموت أكثر من حب الحياة أن يتخاذلوا أو يجبنوا ولكن غاية ما في الأمر، أنها كانت مناقشة فقهية حول ما يشير به الحديث الشريف، وما إن أوضح أبو بكر دلالته وأزال عنهم الشبهة التي علقت بأذهانهم في فهمه، حتى استمسكوا بحبل الله جميعًا][3].

---

(١) القاضي أبو بكر ابن العربي: العواصم من القواصم، تحقيق: محب الدين الخطيب ـ المكتبة العلمية ـ بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٣٧.

(٢) د. جمال عبد الهادي وآخرون ـ الزور والبهتان فيما كتبه طه حسين في الشيخان، ص٢٣.

(٣) د. حلمي عبد المنعم صابر ـ نظرات في تاريخ الخلفاء الراشدين ـ مطبعة الحسين الإسلامية مصر، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ١/١٠٧.

**الأول**: زعمه أن هذا مما كذبه الرواة تقربًا إلى بني العباس!! ولا أدري أهذا التكذيب لأنس راوي الحديث أم للبخاري الذي أخرجه أم لهما جميعًا.

**والأمر الثاني**: إكباره لعمر أن يستشفع بأحد.

والحقيقة أن الدكتور في وجه اعتراضه الأول بأن الرواة كذبوا هذا الحديث تقربًا إلى بني العباس أثناء ولايتهم يرسل الكلام إرسالاً بلا بينة ولا دليل، وأولى به وهو الذي يستخدم أسلوب الجزم حين يقول: (ولكني أقطع) أن يكون له شاهد من دليل أو بينة.

والدكتور في هذا الزعم يحاكي المستشرق المشهور جولدزيهر الذي ادعى أن السلطان السياسي للأمويين والعباسيين دفع كثيرًا من الرواة لوضع الأحاديث والانتصار بها لمن يدينون له بالولاء والطاعة[1].

وهذا الذي يقوله المستشرق ويتابعه فيه الدكتور طه من خلط الأمور ولبس الحق بالباطل، فعلماء الجرح والتعديل يقولون بوقوع شيء من هذا وأنهم قاموا حياله بالتفنيد والإيضاح ورد الكذب عن مقام رسول الله ﷺ وشددوا النكير على الكذابين والوضاعين للحديث حتى قال السيوطي[2]: [بل بالغ الشيخ أبو محمد الجويني فجزم بتكفير واضع الحديث][3].

---

(١) راجع: دائرة المعارف الإسلامية ـ المجلد السابع، مادة: حديث، ص٣٣٠ وما بعدها.

(٢) السيوطي هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد جلال الدين الخضيري الشافعي ولد سنة ٨٤٩هـ، له تصانيف في شتى العلوم والمعارف وكلها تدل على رسوخ قدمه في العلم، توفي سنة ٩١١هـ، دائرة المعارف الإسلامية ٢٧/١٣.

(٣) انظر تعليق الشيخ أحمد محمد شاكر على مادة حديث في: دائرة المعارف الإسلامية ٣٣٤/٧.

صالحًا يدعو لهم عند الحاجات][1] وهذا أمر لا غرابة فيه بل إن النبي ﷺ سأل عمر أن يدعو له في حياته عندما عزم عمر أن يعتمر قال له النبي ﷺ: «**لا تنسنا يا أخي من صالح دعائك**» وإن كان الدكتور ينظر إلى فضل عمر ويرى أنه ما كان له أن يستشفع بأحد لمنزلته في الإسلام وحسن بلائه في سبيله، ويرى أن العباس دونه في الفضل والبلاء، فقد جانب الصواب وأغرب في النظر فما كان الصحابة على جليل قدرهم يرون أنفسهم في أعمالهم إنما كان شأنهم دائمًا وأبدًا إنكار الذات واتهام النفس بالتقصير وحسبنا ما نعرفه من شأن عمر وقوله الدائم: ليت أم عمر لم تلد عمرًا.

ومع أن كل واحد منهم كان حاله ما أسلفت ينكر ذاته ويتهم نفسه فقد كانوا حسني الظن بإخوانهم ويرون لغيرهم من الفضل ما ليس لأنفسهم.



(١) أبو بكر الجزائري: عقيدة المؤمن، ص١١٨.

الصحابة وحفظهم بمقاييسهم ويتخذون من إكثارهم للرواية ذريعة لتكذيبهم، فهم لم يستوعبوا أن الله قد وهب لكثير من العرب حافظة قوية حتى كان منهم من يحفظ القصيدة من الطوال من أول مرة تلقى على مسامعه.

يقول جولدزيهر عن أبي هريرة: [وتقدر الأحاديث التي تضاف إليه ـ يعني أبا هريرة ـ بخمسمائة وثلاثة آلاف حديث، ولا ريب أن عددًا كبيرًا منها قد نحل عليه... وقد اختلق الناس قصة[1] تبرر اعتقادهم بعصمة ذاكرته عن الوقوع في الخطأ، تلك الذاكرة التي استطاع أن يستوعب بها عددًا عظيمًا من الأحاديث فقالوا: إن النبي لفه بيده في بردة بسطت بينهما أثناء حديثهما وبذلك ضمن أبو هريرة لنفسه ذاكرة تحفظ كل ما سمع؛ وتروي هذه القصة أيضًا دليلاً على صداقته الوثيقة بالنبي][2] ثم يقول بعد ذلك: [ويظهر أن علمه الواسع بالأحاديث التي كانت تحضره دائمًا قد أثار الشك في نفوس الذين أخذوا عنه مباشرة والذين لم يترددوا في التعبير عن شكوكهم بأسلوب ساخر][3] يثير جولدزيهر هذه الشبهات على أبي هريرة مدفوعًا من يهوديته التي تحمله على النيل من هذا الصحابي الجليل ويأتي الدكتور طه حسين فينسج على منوال المستشرقين ويردد مزاعمهم.

---

(١) جاء في البخاري من رواية أبي هريرة قال: قلت: يا رسول الله إني أسمع منك حديثًا كثيرًا فأنساه فقال: «**ابسط رداءك**»، فبسطه ثم قال: «**ضمه**» فضممته فما نسيت حديثًا بعد، راجع: الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦، ٥/٦٠٥، ٦٠٦.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ١/٤١٨.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية م١/٤١٨.

**فليتبوأ مقعده من النار»** قال: أما إذًا فاذهب فحدث][1].

فكلام ابن كثير رحمه الله يثبت تحديث أبي هريرة في حياة عمر من غير إنكار عليه.

ويذهب الدكتور «محمد عجاج الخطيب» إلى رد الدعوى بالكلية حيث يقول: [هناك ما يثبت أن عمر لم يكذبه ـ يعني أبا هريرة ـ ولم يطعن فيه ولم يهدده بالنفي إلى جبال دوس واستدل على ذلك برواية صحيحة للإمام أحمد وفيها: أن عمر سأل من كان معه في طريق مكة عن الريح عندما اشتدت فلم يجبه أحد وعندما علم أبو هريرة بسؤال أمير المؤمنين استحث راحلته حتى أدركه فقال: يا أمير المؤمنين أخبرت أنك سألت عن الريح وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«الريح من روح الله تأتي بالرحمة، وتأتي بالعذاب، فإذا رأيتموها فلا تسبوها وسلوا الله خيرها، واستعيذوا به من شرها»**[2] [هذه الحادثة تنفي كل ما روي من تكذيب عمر ﷺ لأبي هريرة أو الطعن في حديثه أو تهديده بالنفي من وجهين:

**أ ـ** هل يعقل أن يستحث أبو هريرة السير إلى عمر ليحدثه لو كان قد صدر من عمر شيء مما ذُكِر؟ لو كان مثل هذا قد صدر ما حدث أبو هريرة أمير المؤمنين، إذ يكون قد اقتنع بأنه لن يسمع منه بل سيكذبه، وهل يعقل من مثل أبي هريرة أن يضرب بالدرة ويكذب ويهدد بالنفي ثم يرافق الفاروق في حجه؟ هذا بعيد جدًا.

(١) الحافظ ابن كثير: البداية والنهاية ٦٠٧/٥ بتصرف.

(٢) الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: مسند الإمام أحمد تحقيق: العلامة أحمد محمد شاكر، طبعة دار المعارف بمصر بدون ت. ٦٢/١٤، رقم (٧٦١٩).



## المطلب السابع

## التشكيك في الرواة من الموالي[1]

ومن الشبه التي أثارها الدكتور ليطعن بها في الأحاديث والأخبار التي تناولت الفترة الأخيرة من حياة رسول الله ﷺ واستخلاف أبي بكر - بل هي من الشبه التي يطعن بها في السُّنَّة بأسرها - أن كثيرًا من الذين عنوا بالسُّنَّة وروايتها كانوا من الموالي الذين - على حد تعبير الدكتور - [لم تبرأ قلوبهم من الضغن على العرب؛ لأنهم فتحوا بلادهم وأزالوا سلطانهم، ثم استأثروا من دونهم بالأمر أيام بني أمية، وإذا كان الكذب قد كثر على رسول الله ﷺ فأي غرابة في أن يكثر على المؤمنين من أصحابه][2].

قال الدكتور هذا الكلام في معرض تشكيكه في الرواة عمومًا، وأنهم يروون الأحداث رواية دقيقة كأنهم حضروها أو أعظم دقة من

(١) الموالي: جمع مولى والمَوْلَى: الرَّبُّ وكل من وَلِي أمرًا أو قام به، والسيِّدُ والعبدُ والتابعُ والمنْعِمُ والمُنْعَمُ عليه، والقريبُ من العَصَبَة كالعم وابن العم ونحو ذلك. المعجم الوجيز، مادة: ولِي، ص٦٨٢، والمقصود بهم اصطلاحًا هو الشخص المُحَالَف، أو المُعْتَقُ أو الذي أسلم على يد غيره. تيسير مصطلح الحديث، ص٢٣٠.

(٢) طه حسين: الشيخان، ص٣٥.

مهران[1]، قال: فأهل خراسان؟ قلت: الضحاك بن مزاحم[2]، قال: فأهل البصرة؟ فقلت: الحسن بن أبي الحسن[3]، قال: فأهل الكوفة؟ فقلت: إبراهيم النخعي[4]، وذكر أنه يقول له عند كل واحد: أمن العرب أم من الموالي؟ فيقول: من الموالي، فلما انتهى قال: يا زهري، والله لتسودَنّ الموالي على العرب حتى يُخطَبَ لها على المنابر والعرب تحتها، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنما هو أمر الله ودينه فمن حفظه ساد ومن ضيّعه سقط][5].

وكان نبوغ الموالي في العلم؛ لأنهم كانوا أهل حاضرة تهتم بالصنائع ومن جملتها الكتابة والتصنيف وممن ذهب إلى ذلك ابن خلدون في مقدمته[6].

ويضيف الأستاذ أحمد أمين سببًا آخر [وهو أن الصحابة استكثروا من الموالي يستخدمونهم في بيوتهم وأعمالهم فإذا كان الصحابي تاجرًا فمواليه أعوانه في التجارة، وإذا كان عالمًا كانت مواليه تلاميذه وأعوانه في العلم، ومتى كان عندهم حسن استعداد نبغوا فيه بحكم مخالطتهم

---

(١) ميمون بن مهران: تابعي من أهل الجزيرة يكنى أبا أيوب كان ثقة كثير الحديث، مات سنة ١١٧هـ. راجع: الطبقات الكبرى ٥/٤٠٠.

(٢) الضحاك بن مزاحم: تابعي يكنى أبا القاسم، التقى بسعيد بن جبير وأخذ عنه التفسير، مات بخراسان سنة ١٠٥هـ. راجع: الطبقات الكبرى ٥/٤٥.

(٣) الحسن البصري: سبق ترجمته، ص٢٥٦.

(٤) إبراهيم النخعي: تابعي، يكنى أبا عمران كان أعور، رأى أم المؤمنين عائشة وهو صبي حين حج مع عمه، تعلم على محمد بن سيرين بدعَ المرجئة وعاب مذهبهم، مات سنة ٩٦هـ. راجع: الطبقات الكبرى ٥/٢٢.

(٥) أحمد محمد شاكر: الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، دار الكتب العلمية بيروت، بدون ت، ص٢٤٢.

(٦) نقله عنه الأستاذ/ أحمد أمين في فجر الإسلام، ص٢٤٢، ٢٤٣.

وكان من فوائد هذا التدقيق في المعرفة [الأمن من اللَّبْس ومعرفة المنسوب إلى القبيلة نسبًا أو ولاء، ومن ثم ليتميز المنسوب إلى القبيلة ولاء عمن يشاركه في اسمه من تلك القبيلة نسبًا][1].

وبعد هذه الدقة وهذا المنهج العظيم في معرفة الرواة يأتي الدكتور ليرسل الأحكام إرسالاً دون تؤدة أو احتياط فيشكك في أمة بأسرها لرأي رآه.



(١) المرجع السابق نفسه.

في صحن داره، وبلغ ذلك عمر، ولم تكن أنباء الأمراء تخفى على عمر، فكتب إلى عمرو يعنفه أشد التعنيف، ويأمره أن يرسل إليه ابنه على قتب[1] ليكون السفر أشق عليه، فأطاع عمرو، وكتب إلى الخليفة يعتذر إليه ويؤكد له أنه أقام الحد على ابنه حيث يقيم الحدود في صحن داره ولكن عمر لم يقبل منه، ولم يعتد بالحد الذي أقامه، وإنما انتظر الفتى حتى إذا بلغ المدينة وجيء به إليه مريضًا مكدودًا، لم يحفل بمرضه ولا بما لقي في سفره من العناء، وإنما أقام الحد عليه فورًا بمحضر من جماعة المسلمين. وقد استغاثه الفتى فلم يلتفت إليه! وقال له الفتى: إنك قاتلي. فلم يعبأ بما قال، وإنما مضى في ضرب الفتى ضربًا مبرحًا.

فيقول الرواة: إنه حين رأى ابنه مشرفًا على الموت لم يزد على أن قال له: إذا لقيت رسول الله ﷺ فأنبئه أن أباك يقيم الحدود، ومات ابنه فلم يظهر حزنًا عليه][2].

والرواية كما ذكرها الدكتور فيها مبالغة شديدة ينكرها كل صاحب فطرة سليمة وقد وقف معها غير واحد من العلماء وأولي الرأي قديمًا وحديثًا.

وأبدأ بذكر المعاصرين وأخص منهم الأستاذ العقاد[3] ـ رحمه الله ـ فحين ذكر الحديث عقب عليه بقوله: [فهذه قصة تتوافق أخبارها ومن

(١) قتب: الرحل الصغير على قدر سنام البعير. المعجم الوجيز ٤٦٧.
(٢) طه حسين: الشيخان، ص٢٠٤، ٢٠٥.
(٣) عباس محمود العقاد: (١٣٠٧هـ/١٨٨٩م ـ ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م). كاتب ومفكر، ولد في مصر، التحق بعدة وظائف، وأتقن عدة لغات، له العشرات من المؤلفات في الإسلام وغيره وأهمها: العبقريات. المعجم الإسلامي، ص٤١٣.

ورواية عبدالله بن عمر التي رضيها الأستاذ العقاد هي التي ذكرها الإمام ابن الجوزي[1] في مناقب عمر بن الخطاب ونصها عن الزهري قال: أخبرني سالم بن عبدالله أن عبدالله بن عمر قال: شرب عبد الرحمن بن عمر وشرب معه أبو سروعة عقبة بن الحارث[2]، ونحن بمصر في خلافة عمر بن الخطاب، فسكرا، فلما صحوا انطلقا إلى عمرو بن العاص وهو أمير مصر، فقالا: طهرنا فإنا قد سكرنا من شراب شربناه. قال عبدالله بن عمر: ولم أشعر أنهما أتيا عمرو بن العاص، قال: فذكر لي أخي أنه قد سكر. فقلت له: ادخل الدار أُطَهِّركَ، فآذنني أنه قد حدث الأمير.

قال عبدالله بن عمر فقلت: والله لا تحلق اليوم على رؤوس الناس، ادخل أحلقك ـ وكانوا إذ ذاك يحلقون مع الحد ـ فدخل معي الدار، قال عبدالله: فحلقت أخي بيدي، ثم جلدهم عمرو بن العاص،فسمع عمر بن الخطاب فكتب إلى عمرو: أن ابعث إليّ بعبد الرحمن بن عمر على قَتَب، ففعل ذلك عمرو فلما قدم عبد الرحمن على عمر جلده وعاقبه من أجل مكانه منه، ثم أرسله فلبث شهرًا صحيحًا ثم أصابه قدره، فيحسبُ عامةُ الناس أنه مات من جَلْدِ عمر

(١) ابن الجوزي (٥١٠/٥٩٧هـ ـ ١١١٦/١٢٠١م) عبد الرحمن بن علي بن محمد... البغدادي الحنبلي المعروف بابن الجوزي (جمال الدين، أبو الفرج) محدث، حافظ، مفسر، فقيه واعظ، أديب، مؤرخ، مشارك في أنواع أخرى من العلوم من مؤلفاته الكثيرة: المنتظم في تاريخ الأمم، جامع المسانيد في سبع مجلدات، معجم المؤلفين ٢/١٠٠.

(٢) عقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي النوفلي. يكنى أبا سروعة، وقيل: هو أخو أبي سروعة وأنهما أسلما جميعًا يوم الفتح، وهو الذي شرب الخمر مع عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب بمصر. أسد الغابة ٥٤٦/٣.



## المبحث الخامس

## الدكتور يصحح الحديث بالظن

وكما كان الشك والظن عند الدكتور عاملي نفي ورد، فهما عنده كذلك سبيل إلى الإثبات والإقرار، ولئن كان الدكتور رد بعض الأحاديث لا لشيء إلا لشكه فيها أو لأنها تخالف رأيًا رآه، فهو كذلك يثبت بعض الأحاديث بالظن والشك ولا يتردد في هذا الإثبات طالما كان موافقًا لرأيه وهواه، ولا يتورع أن يخلع على الرواة لفظ: «الثقات من الرواة» بينما كان من شأنه في مواطن أخرى أنه يرد أحاديث أولئك الثقات دون التفات إلى منزلتهم ورسوخ قدمهم في خدمة الحديث وروايته.

والدليل الذي أدلل به هنا ما تحدث به الدكتور وهو يتحدث عن الحسن بن علي في أحداث «الفتنة الكبرى» فكان من قوله: [وقد روى الثقات من أصحاب الحديث أن النبي أخذ الحسن وهو صبي فأجلسه إلى جانبه على المنبر، وجعل ينظر إليه مرة، وينظر إلى الناس مرة أخرى، يفعل ذلك مرارًا ثم قال: إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين كبيرتين من

التاريخ ونكذب بعضه الآخر، لا لشيء إلا لأن بعضه يرضينا وبعضه يؤذينا[1].

وما ينبغي كذلك أن نصدق كل ما يروى أو نكذب كل ما يروى، وإنما الرواة أنفسهم ناس من الناس، يجوز عليهم الخطأ والصواب، ويجوز عليهم الصدق والكذب. والقدماء أنفسهم قد عرفوا ذلك وتهيأوا له ووضعوا قواعد التعديل والتجريح والتصديق والتكذيب، وترجيح ما يمكن ترجيحه، وإسقاط ما يمكن إسقاطه[2]، والشك فيما يجب الشك فيه، فليس علينا بأس أن نسلك الطريق التي سلكوها، وأن نضيف إلى القواعد التي عرفوها ما عرف المُحدثون من القواعد الجديدة[3] التي يستعينون بها على تحقيق النصوص وتحليلها وفقهها][4].



(١) هذا الكلام بذاته هو منهج الدكتور ولعله بات واضحًا من الحديث عن منهجه في تعامله مع السُنَّة.

(٢) لم يلتزم الدكتور في رده لحديث من الأحاديث الصحيحة على تلك القواعد التي قررها عند الأقدمين.

(٣) أضاف الدكتور قاعدة جليلة وخطيرة وهي قاعدة الشك والظن واعتمدها كما رأينا في النفي والإثبات، بل لقد هام بها وعوَّل عليها في غالب أمره ولم يلتفت إلى غيرها.

(٤) طه حسين: الفتنة الكبرى ـ عثمان ـ المجموعة الكاملة ٣٦٧/٤.

# الفصل السادس

# طه حسين والتاريخ الإسلامي

**ويشتمل على تمهيد وثمانية مباحث:**

**التمهيد:**

**المبحث الأول:** موقف طه حسين من تاريخ الشيخين (أبي بكر وعمر).

**المبحث الثاني:** موقف طه حسين من دعوى تحريق المسلمين لمكتبة الإسكندرية.

**المبحث الثالث:** موقف طه حسين من صحابة النبي ﷺ.

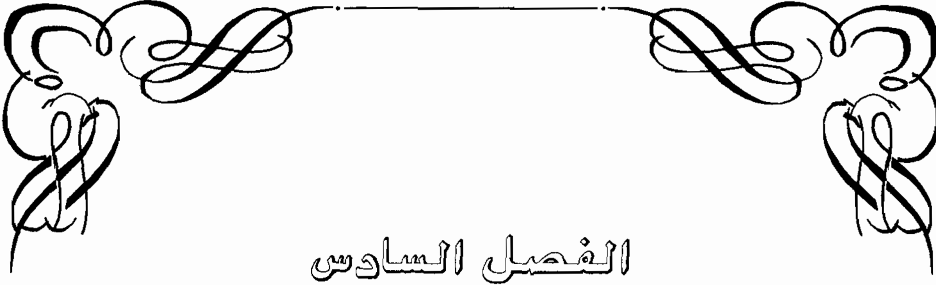
**المبحث الرابع:** موقف الدكتور من القرون الثلاثة المفضلة.

**المبحث الخامس:** موقف طه حسين من الخلافة الراشدة.

**المبحث السادس:** رأي طه حسين في قضية الفتوحات الإسلامية.

**المبحث السابع:** رأي طه حسين في قضية الزنج والقرامطة.

**المبحث الثامن:** رأي طه حسين في قضية عبدالله بن سبأ.



# الفصل السادس

## طه حسين والتاريخ الإسلامي

## تمهيد

اهتم طه حسين بالتاريخ اهتمامًا، كبيرًا، وبدا ذلك واضحًا من أيام الطلب الأولى، فدراسته في فرنسا كانت متوجهة بدرجة كبيرة إلى التاريخ، وازداد هذا التوجه للتاريخ عقب عودته من فرنسا واشتغاله مدرسًا، للتاريخ القديم اليوناني والروماني واستمر بهذا العمل حتى ألحقت الجامعة المصرية بالدولة فأصبحت حكومية بعد أن ظلت أهلية من سنة ١٩٠٨م حتى سنة ١٩٢٥، فعين الدكتور طه حسين، أستاذًا لتاريخ الأدب العربي في كلية الآداب[١].

وكان للتاريخ اهتمام كبير في إنتاج طه حسين وعطائه حتى أنه يمكننا القول: إن التاريخ صَاحَبَ طه حسين في رحلة حياته كلها، إذ ابتدأ طه التأليف بعد اشتغاله بالعمل الجامعي بإخراج «الظاهرة الدينية عند اليونان وتطور الآلهة وأثرها في المدنية» وينشر في صحيفة الجامعة المصرية تحت عنوان: «دروس التاريخ القديم في الجامعة المصرية»

---

(١) عبد العزيز شرف: طه حسين زوال المجتمع التقليدي، ص٥٦.

عاشها المؤرخ وقرأ لها، وكان لا بد أن يتأثر بها شيئًا ويملي فيها شيئًا وهو كتابه السادس... ومنحى عن نظرة معاصرة - وإن كانت في الأصل سيرة ذاتية إلا أنها تمثل تاريخ مصر - مثلها كتاباه «أديب» و«الأيام»][1].

غير أن المستشرق الإيطالي جورجيو ديلافيدا[2] ومن خلال المفهوم الذي استحسنه للتاريخ والذي وصفه بأنه نوع من النقد أو الفن، أدخل القدر الكبير من إنتاج طه حسين الأدبي في نطاق التاريخ فجعل ما كتبه طه حسين عن الشعر الجاهلي، وعن بلاد اليونان القديمة في مظاهرها الاجتماعية والأدبية والدينية، وكذلك ما كتبه عن الأدب العربي القديم وتطوره ومميزاته وما كتبه عن مشاكل التعليم والثقافة في العالم العربي المعاصر، اعتبر كل ذلك في جوهره نوعًا من التاريخ[3]، ونظرًا لأننا نقصد في هذا الفصل التاريخ الإسلامي فسيكون عملنا محصورًا في المؤلفات التي عنيت به خصوصًا، ولما كنت قد تحدثت عن كتاب «على هامش السيرة» حين تناولت موقف الدكتور من السُّنَّة، فلم يبق من مؤلفات الدكتور في تاريخ الإسلام سوى هذه المصنفات التالية:

١ - الوعد الحق.

٢ - الفتنة الكبرى، أ - عثمان، ب - علي وبنوه.

---

(١) إبراهيم الإبياري: طه حسين المؤرخ الإسلامي: بحث ضمن كتاب «طه حسين كما يعرفه كتاب عصره»، ص٨٦ بتصرف.

(٢) سبق ترجمته، ص١١٦.

(٣) جور جيوديلافيدا: طه حسين المؤرخ: بحث ضمن كتاب (طه حسين كما يعرفه كتاب عصره)، ص٩٨ بتصرف.

الاستقصاء وطلب الحقيقة... وعمل المؤرخ من خلال الواقع والاستقراء يكاد يمر بالمراحل التالية:

١ ـ **المرحلة الأولى**: مرحلة التجميع، أي: تجميع المواد.

٢ ـ **المرحلة الثانية**: مرحلة النقد، أي: مناقشة ما جمع.

٣ ـ **المرحلة الثالثة**: مرحلة التأويل وهي أشق المراحل][١].

أو بتعبير آخر، عمل المؤرخ يقوم على أمرين:

**الأول**: طلب الحوادث والروايات التاريخية من مظانها وتحري الصدق والموضوعية في هذا الطلب.

**الثاني**: تفسير الحوادث والروايات والحكم عليها][٢].

ومن خلال استقراء ما كتبه الدكتور في التاريخ الإسلامي وخاصة عصر الخلفاء الراشدين نجد أن الدكتور لم يلتزم ما اشترطه العلماء لكتابة التاريخ الإسلامي من ناحية إثبات الحوادث والروايات التاريخية [لقد وضع علماء السُّنَّة قواعد لمعرفة الروايات الصحيحة من الفاسدة واتبعوا في ذلك منهجًا دقيقًا نجده مدونًا في كتب مصطلح الحديث وهو مأخوذ من القرآن والسُّنَّة ومن قواعده: ضرورة التثبت والتحري من صدق الرواية وفي هذا المعنى يقول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾[٣] وقول رسول الله ﷺ: «**نضر الله امرءًا**

(١) المرجع السابق، ص٧٦.

(٢) د. جمال عبد الهادي وآخرون: الزور والبهتان فيما كتبه طه حسين في الشيخان، ص١١٢.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ٦.

لقد كان كثير من القدامى ممن عنوا بكتابة التاريخ الإسلامي مجرد نقلة لما يسمعون من روايات، وكانوا لا يخضعون ما يسمعونه من روايات للعقل أو المنطق ولذا لم يكن مستغربًا ما اعتذر به شيخ المؤرخين الطبري عما جاء في كتابه مما يناقض المنقول أو يخالف المعقول واكتفى بذكر الإسناد وجعل من ذلك لنفسه براءة من الوزر وخروجًا من التبعة، لقد قال في مقدمة كتابه «تاريخ الأمم والملوك»:

[وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أني راسمه فيه إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه دون ما أدرك بحجج العقول وأستنبط بفكر النفوس إلا اليسير القليل منه، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين وما هو كائن من أبناء الحادثين غير واصل من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم، إلا بإخبار المخبرين ونقل الناقلين دون الاستخراج بالعقول، والاستنباط بفكر النفوس، فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه من أجل أنه لم يعرف له وجهًا من الصحة ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا][1].

والدكتور طه حسين وهو يكتب تاريخ الخلفاء الراشدين وصحابة النبي الذين كانت لهم مشاركة في هذا التاريخ لم يعن بنقد الروايات وتمحيصها من ناحية السند، بل هو في غالب بحثه لا يذكر المصدر الذي رجع إليه في هذه الحادثة أو تلك، إلا في مواقف يسيرة لا تكاد

---

(١) نقلًا عن: د. عبد الغفار عزيز: الإسلام السياسي بين الرافضين له والمغالين فيه، دار الحقيقة للإعلام الدولي، مصر، طبعة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص٢٥، ٢٦.

تحقيق كل ما يشتمل عليه الإنسان من طاقات وقدرات وتطلعات وأشواق، إلى جانب الضرورات القاهرة والرغبات القريبة... وهو تاريخ الفرد والجماعة في ذات الوقت من خلال تشابكهما الذي لا ينتهي، وتدافعهما الذي لا يقف عند حد][1].

فالتفسير المادي يتناول الدوافع والعوامل المؤثرة فيقصرها على ضرورات الإنسان من مأكل ومشرب وجنس، وتأثره بما حوله من أفكار وعقائد وأنماط سلوك، ويغفل تمامًا أثر الدين في توجيه سلوك الإنسان وعمله في الحياة، ومن هنا يكون الخطأ في التقويم والحكم على هذه الفترة وتلك من التاريخ.

ومن هناك فإن التفسير الإسلامي للتاريخ [يحتفل احتفالًا خاصًا بفترات الهدي في الحياة البشرية ـ وبخاصة فترة الرسالة الخاتمة ـ بقدر ما يغفل التفسير الجاهلي عن عمد هذه الفترات.

يحتفل به لأنها تمثل الإنسان في أرفع حالاته، وأكثر حالاته استقامة مع هدف وجوده وشرط استخلافه، ومن ثم فهي أروع إنجازاته على الأرض][2]، وحتى لا نسبق الأحداث فنطلق الأحكام قبل ذكر الحيثيات أو النتائج قبل ذكر أسبابها... فلنبدأ من حيث ينبغي أن نبدأ.



(١) محمد قطب: حول التفسير الإسلامي للتاريخ، المجموعة الإعلامية، السعودية، ط٢، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص١٣.
(٢) محمد قطب: حول التفسير الإسلامي للتاريخ، ص١٧، ١٨.

وليس من شك في أن عمر كان أشد من أبي بكر إتعابًا لمن جاء بعده فسيرة هذين الإمامين قد نهجت للمسلمين في سياسة الحكم وفي إقامة أمور الناس على العدل والحرية والمساواة، نهجًا شق على الخلفاء والملوك من بعدهما أن يتبعوه. فكانت نتيجة قصورهم عنه ـ طوعًا أو كرهًا ـ هذه الفتنة التي قتل فيها عثمان رحمه الله، والتي نجمت منها فتن أخرى قتل فيها علي ﷺ، وسفكت فيها دماء كثيرة كره الله أن تسفك وانقسمت فيها الأمة انقسامًا ما زال قائمًا إلى الآن. هذا النهج الذي نهجه الشيخان، والذي قصر عنه بعدهما الخلفاء والملوك هو الذي أريد أن أعرفه وأجلوه لقارئ هذا الحديث وأستخلص منه بعد ذلك شخصية أبي بكر وعمر رحمهما الله][1].

وعلى هذا النهج نفسه صار طه حسين حين أرخ الإسلام في إطلالة سريعه من خلال «**مرآة الإسلام**».

فما هي الصورة التي استخلصها للشيخين من خلال تناوله لحياتهما؟ هذا ما سأحاول الوقوف عليه بإذن الله في الصفحات القادمة.

## أبو بكر الصديق بمنظار طه حسين:

لم يعن الدكتور طه حسين بحياة أبي بكر الصديق ﷺ قبل وفاة النبي ﷺ، وإنما ابتدأ الحديث عنه من موت رسول الله ﷺ وموقفه في تلك اللحظات وما بعدها من أحداث السقيفة ومبايعة المسلمين له.

ومن أخطر ما انتهى إليه طه حسين في أمر مبايعة أبي بكر الصديق ﷺ أنها تمت على غير مشورة من المسلمين!! ولقد بنى

---

(١) طه حسين: الشيخان، ص٩، ١٠.

«ويكفي أن نقرر أن مساجلات الرأي دارت في هذا الاجتماع بحرية وفي صراحة بحيث مثلت وجهات النظر المختلفة، حتى إنها دعت كاتبًا غربيًا هو الأستاذ «ماكدونالد»[١]: أن يشهد بأن هذا الاجتماع يذكر إلى حد بعيد بمؤتمر سياسي دارت فيه المناقشات وفق الأساليب الحديثة»[٢].

وكلمة هذا المستشرق جاءت بعد كلام مغرض زعم فيه أنه في اجتماع السقيفة كانت توجد أربعة أحزاب، وأن هذا الاجتماع كان بداية لكل الاضطرابات والمنافسات والمنازعات التي كان مقدرًا لها أن تستمر في التاريخ الإسلامي، وهذه الأحزاب كما يعدها هم: المهاجرون، ثم الأنصار، فالشيعة وأخيرًا حزب رابع يدعوه حزب «الأرستقراطيين المكيين»[٣] وهو يهدف من هذا القول إلى بيان أن دائرة الخلاف كانت واسعة جدًا وأنه على الرغم من عقد البيعة لأبي بكر، فإن ذلك لم يقض على الخلاف وبقيت رواسبه في القلوب وأن هذه الرواسب كانت سببًا في البلايا والمحن التي مر بها تاريخ المسلمين في ذلك العهد.

وكلام الدكتور طه حسين يشابه إلى حد كبير كلام هذا المستشرق، وإن كان الدكتور أصرح لفظًا وأوضح عبارة إذ نص على أن بيعة أبي بكر كانت على غير شورى من المسلمين! وهذا الكلام

---

(١) ماكدونالد، دنكان بلاك (١٨٦٣هـ/١٩٣٤م) أمريكي أشرف مع صمويل زويمر على إصدار مجلة العالم الإسلامي ١٩١١م. (المستشرقون ١٣٦/٣).

(٢) د. محمد ضياء الدين الريس: النظريات السياسية الإسلامية، دار التراث، مصر، ط٧، ١٩٧٩م، ص٣٩.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص٤١، وقد رد المؤلف فيه على ادعاءات هذا المستشرق ونفى وجود أي أحزاب خاصة ما ادعاه من وجود حزب للشيعة وحزب للأغنياء من المكيين.

زعمائهم (أن أبا بكر لما غصب الخلافة عن أمير المؤمنين ـ يعني عليًا ﷺ ـ وأخذ البيعة جبرًا من المهاجرين والأنصار[1] وأحكم أمره طمع في فدك خوفًا منه بأنها لو وقعت في أيديهم يميل الناس إليهم بالمال ويتركون هؤلاء الضالين (يعني: أبا بكر ورفاقه) فأراد إفلاسهم حتى لا يبقى لهم شيء، ولا يطمع الناس فيهم وتبطل خلافتهم الباطلة، ولأجل ذلك وضعوا تلك الرواية الخبيثة المفتراة «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا صدقة**»)[2].

ويُرد على كلام الدكتور بأن كثيرًا من الناس يسيئون فهم عبارة وردت بهذه القصة وهي أن فاطمة رجعت ولم تحدث أبا بكر حتى ماتت لكن نفرًا من العلماء يفهمها فهمًا جيدًا يتوافق مع جلال الصحابة وكريم منزلتهم فيقولون: نعم إنها رجعت ولم تكلمه في وراثة فدك وظلت على هذا حتى ماتت[3].

أما أنه كانت هناك مغاضبة بين فاطمة وبين أبي بكر ﭬ فلا نصدق بهذا، [أيعقل من فاطمة أن تخالف كلام النبي، وتغضب من أبي بكر؛ لأنه ينفذ كلام النبي ﷺ.. إن الذي يعرف أخلاق هذا الجيل يستبعد من أدنى صحابي منهم أن يفعل ذلك، فكيف تفعله فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وبنت سيد الرسل ﷺ ألم يتربى هذا الجيل على قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ

---

(١) يتوافق الدكتور طه حسين مع هذا الشيعي حين قال: إن بيعة أبي بكر كانت على غير شورى من المسلمين، أي: أنها كانت جبرًا كما نص على ذلك هذا الشيعي!

(٢) إحسان إلهي ظهير: الشيعة وأهل البيت، ص٨٦، ٩٠، وانظر: لقول الشيعي ـ عليه من الله ما يستحق ـ وهو يصف الحديث الشريف بقوله: «الرواية الخبيثة».

(٣) المرجع السابق ص٩٠.

وقد نقل الأستاذ إحسان إلهي ظهير[1] ما يفيد ذلك من أقوالهم مثل قوله:

[كان الصديق دائم الاتصال بعلي من ناحية ليسأله عن أحوال بنت النبي ﷺ خلاف ما يزعمه القوم.

ومن أقوال علمائهم «فمرضت (أي: فاطمة رضي الله عنها) وكان علي عليه السلام يصلي في المسجد الصلوات الخمس، فلما صلى قال له أبو بكر وعمر: كيف بنت رسول الله؟...».

وكانت العلاقات وطيدة إلى حد أن زوجة أبي بكر أسماء بنت عميس[2] هي التي كانت تمرض فاطمة بنت النبي عليه السلام ورضي الله عنها في مرض موتها.. وهي التي كانت عندها حتى النفس الأخير، وهي التي نعت عليًا بوفاتها.. وكانت شريكة في غسلها...

ولما قبضت فاطمة من يومها فارتجت المدينة بالبكاء من الرجال والنساء ودهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر

(١) إحسان إلهي ظهير عالم باكستاني، تخرج من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تولى رئاسة تحرير مجلة ترجمان الحديث، له مؤلفات عديدة في كشف الفرق الضالة استشهد في انفجار قنبلة في ندوة في عام (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م). أشرف طه أبو الدهب، المعجم الإسلامي، ص٣٢.

(٢) أسماء بنت عميس بن معد بن الحارث، أخت ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ أسلمت وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب ثم هاجرت إلى المدينة فلما قتل جعفر تزوجها أبو بكر ثم مات عنها فتزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعًا. ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة ٦/١٤.

أن نسمي سيرته في المدينة وفي العرب بعد أن عادوا إلى الإسلام: سياسة داخلية)[١].

ومن عجيب أن هذا الأمر الذي يستدل به على سذاجة أبي بكر وبساطته هو الامر ذاته الذي امتدحه به في موطن آخر وجعله من مميزات أبي بكر على عمر فقال:

[ولا نعرف لأبي بكر شيئًا امتاز به عن عمر في سياسة المسلمين الداخلية إلا أمرين:

**أحدهما**: أن الفيء كان يأتيه بعد انتصار قواده في حروب الردة... وكان أبو بكر يقسم ما يصل إليه بين المسلمين لا يفرق بينهم في القسمة وإنما يعطيهم جميعًا على سواء؛ يعطي الرجال والنساء والأحرار والرقيق.

ولما كُلِّم في السابقين إلى الإسلام والمجاهدين مع رسول الله قال: إن أجرهم على ذلك عند الله، وإنما الدنيا بلاغ. وسنرى أن عمر خالف هذا المذهب حين فرض الأعطية للناس.

**الأمر الثاني**: أنه لم يرم الفرس والروم في العراق والشام إلا بمن ثبت على إسلامه بعد وفاة النبي ﷺ وكان يمنع العائدين من ردتهم إلى الإسلام من المشاركة في الفتح عقوبة لهم من جهة وإشفاقًا منهم من جهة أخرى، وسنرى أن عمر قد غيَّر هذا الحكم من أحكام أبي بكر، وكان أبو بكر فيما عدا ذلك رجلاً من عامة المسلمين لا يمتاز منهم في شيء][٢].

---

(١) طه حسين: الشيخان، ص٩٨.

(٢) طه حسين: الشيخان، ص١٠٠، ١٠١ بتصرف.

في الإسلام، والرجل وقدمه في الإسلام، والرجل وغناؤه في الإسلام، والرجل وحاجته، ووالله لئن بقيت لهم ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو يرعى مكانه[(١)].

ويبدو أن عمر ﷺ في أواخر حياته ترجح له رأي أبي بكر في التسوية في قسمة الفيء، فقال: لو استقبلت من أمري ما استدبرت، لأخذت فضول أموال الأغنياء، فرددتها على الفقراء وذكر الإمام أبو يوسف[(٢)] في الخراج أنه لما رأى المال قد كثر، قال: لئن عشت إلى هذه الليلة من قابل، لألحقن أخرى الناس بأولاهم، حتى يكونوا في العطاء سواء! قال: فتوفي رحمه الله قبل ذلك][(٣)].

## آراء العلماء في الحكم على موقف أبي بكر وعمر:

علق الشهيد سيد قطب[(٤)] رحمه الله على هذين الموقفين بقوله: [هما رأيان إذن في تقسيم المال: رأي أبي بكر ورأي عمر، وقد كان

---

(١) صحح إسناده الشيخ شاكر، وضعفه الشيخ الأرناؤوط في تخريج المسند من أجل عنعنة محمد بن إسحاق، الحديث (٢٩٢) ورواه أبو داود (٢٩٥٠) وسكت عليه.

(٢) أبو يوسف القاضي: يعقوب بن إبراهيم (١١٣هـ/٧٣١م - ١٨٢هـ/٧٩٨م) ولد في الكوفة، درس على يد الإمام أبي حنيفة، تولى قضاء بغداد، من أهم آثاره كتاب «الخراج». [المعجم الإسلامي: ٢٤].

(٣) د. يوسف القرضاوي: السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ص١٣٢، ١٣٣.

(٤) سيد قطب (١٣٢٤/١٣٨٧هـ - ١٩٠٦ - ١٩٦٧م) باحث إسلامي مصري، من مواليد قرية موشا بأسيوط، تخرج من دار العلوم وعمل بالصحافة في الأهرام، والرسالة وغيرهما من الدوريات، من آثاره: في ظلال القرآن، وهذا الدين، والمستقبل لهذا الدين، وغيرهم. [معجم المؤلفين ١/٨٠٤].

أجازوا للإمام في هذه المسألة الأمرين جميعًا بناء على اجتهاده من التسوية أو التفضيل بشرط ألا يكون ذلك اتباعًا لهوى، أو إيثارًا للمحاسيب على غيرهم، أو تقديمًا لمن يستحق التأخير، وتأخيرًا لمن يستحق التقديم، ونحن نظن بالراشدين ﵄ أنهما كانا على هذا النحو صدقًا وإخلاصًا وتوجهًا.

ومن هنا لم يكن من الإنصاف ولا من حسن الأدب أن يقال عن تصرف أبي بكر ﵁ أنه ساذج كل السذاجة.

## أبو بكر يحابي في الحق!

أظهر الدكتور طه حسين الصحابي الجليل أبا بكر الصديق في صورة من يحابي الرجال في الحق، فيفرط في أمور الدين حرصًا على شيء من الدنيا.

[اعتمد الدكتور طه حسين على الظن والظن أكذب الحديث، كما اعتمد على روايات تاريخية، للطعن في أبي بكر ﵁، وإشعار القارئ أن الصديق لم يكن مثل عمر الذي كان يريد من قواده أن يسمعوا ويطيعوا، وألا يتجاوزوا القصد في أمر من الأمور، وأنه ـ أي: أبا بكر ـ لم يكن حريصًا على أن يكون قواد الجيوش حراصًا أشد الحرص على العدل والنصفة، وأبعد عن السرف والجور، وأن أمر الدين ومثله العليا لم تكن آثر عنده من أمر الحرب وما يكون فيها من انتصار أو هزيمة، وما يكون فيها وفي أعقابها من إخافة الناس وإرهاب لهم.

وزعم طه حسين بدون دليل أن خالد بن الوليد ﵁ قتل رجلاً

فلما أخبر قال: «إذا أراد الله أمرًا أصابه».

وواضح ما في هذه الرواية من التكلف الذي لا يراد به إلا إبراء خالد من قتل أولئك النفر.

وآخرون من الرواة يزعمون أن خالدًا كان يفاوض مالكًا، فقال له مالك في بعض أحاديثه: إن صاحبكم كان يقول كذا وكذا، يريد النبي ﷺ. قال خالد حين سمع من مالك هذه المقالة: أوَليس هو لك بصاحب؟ ثم أمر بقتله.

والشيء الذي ليس فيه شك هو أن خالدًا قتل مالكًا، وغضب لذلك رجل من خيرة أصحاب النبي كان في جيش خالد وشهد بأنه سمع القوم يؤذنون، فلما رأى قتل مالك وأصحابه فارق الجيش وأقسم لا يقاتل مع خالد أبدًا ورجع إلى المدينة وهذا الرجل هو أبو قتادة الأنصاري][1] فانظر كيف شكك الدكتور في الرواية الأولى والتي تفيد أن مالكًا قتل خطأ فبدأ روايتها بقوله: «ويزعم المؤرخون» وحكم عليها بقوله: «وواضح ما في هذه الرواية من التكلف...»، وكذلك شكك في الرواية الثانية التي تفيد أن مالكًا قتل لكفره حين قال: «وآخرون من الرواة يزعمون»!

أما رأيه في إدانة خالد فقد صدَّره بقوله: «والشيء الذي ليس فيه شك هو أن خالدًا قتل مالكًا، - يريد وهو مسلمًا -».

ثم عرض الدكتور طه لتلقي أبي بكر وعمر نبأ قتل مالك ووقعه

(١) طه حسين: الشيخان، ص٧٠، ٧١.

خالدًا خرج من عند أبي بكر راضيًا، فلما رأى عمر في المسجد تحداه، فلم يكلمه عمر][1].

ثم راح الدكتور يفسر المواقف التي سردها ونقلها من كتب التاريخ دون نقد أو تمحيص فأساء إلى الخليفة الراشد أبي بكر الصديق إساءة بالغة عن عمد أو بجهل، درى ذلك أم لم يدر. فقال: [لست أحاول الفصل فيما كان من موقف الشيخين بإزاء خالد وإنما أرى أن كليهما أراد باجتهاده وجه الله ومصلحة المسلمين.

نظر أبو بكر إلى أن خالدًا رجل حرب، وإلى أنه أبرع قواده، وإلى أن الإسراع إلى عزل القواد في أثناء الحرب مضيع لمصلحة المسلمين، ويوشك أن يوهن عزائمهم وأن يفسد عليهم أمرهم بإزاء عدوهم.. ومن هنا أصر أبو بكر على الانتفاع بقوة خالد يكفكفه إذا تجاوز القصد في الحرب، ويعنفه إذا تجاوز القصد في أمر من أمور نفسه... ونظر عمر إلى المثل العليا خالصة من كل شائبة... فكان أمر الدين ومثله العليا آثر عنده من أمر الحرب وما يكون فيها من انتصار أو هزيمة، وما يكون فيها وفي أعقابها من إخافة الناس وترهيب لهم][2]، وهذا الكلام فيه اتهام لأبي بكر من طرف خفي بأنه لم يأبه لأمر الدين والأخلاق والمثل العليا، وأنه كان يهدف إلى تحقيق النصر بأي ثمن حتى ولو على حساب الدين والأخلاق.

[أما شهادة رسول الله ﷺ لأبي بكر بأن إيمانه يعدل إيمان أمة الإسلام فليس لها اعتبار عند طه حسين الذي يظهر أبا بكر بمظهر الذي

---

(١) طه حسين: الشيخان، ص٧١، ٧٢.
(٢) طه حسين: الشيخان، ص٧٦، ٧٧ بتصرف.

أما ما يثار حول زواج خالد بامرأة مالك فيذكر ابن كثير في البداية والنهاية أن خالدًا بنى بها بعدما حلت[1]، وقيل: إن مالكًا كان قد طلقها وحبسها عن الزواج على عادة الجاهلية مدة مضي العدة فالنكاح حلال[2].

[ولو صحت رواية قتله لمسلم بغير حق ونزوه على امرأته بدون نكاح لاستحال أن يبقيه أبو بكر رضوان الله عليه في قيادة الجيش لبعده ﷺ عن الاعتضاد بفاجر سفاك، ولسان سيرته يقول في كل موقف: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[3] ولما يعود من ذلك على الإسلام من سوء القالة في أخطر الأيام ـ أيام حرب الردة ـ وقد لقب الوحي خالدًا بلقب «سيف الله»[4] تشريفًا له، أفلا يكون من المحال أن يصف الوحي بهذا اللقب سفاكًا فاجرًا؟!

وأما ما يعزى إلى عمر ﷺ من الكلمات القاسية في خالد، فيكفي في إثبات عدم صحتها قول عمر عند عزله خالدًا: (ما عزلتك عن ريبة)[5] بل لو صح ذلك عنه لرماه بالجنادل وقتله رجمًا بالحجارة

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ٥/٢٧.

(٢) شاه عبد العزيز الدهلوي: مختصر التحفة الاثني عشرية، ص٢٦٤، ٢٦٥.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٥١.

(٤) قال ابن كثير: وقد روينا في مسند أحمد من طريق الوليد بن مسلم عن وحشي بن حرب عن أبيه، عن جده، وحشي بن حرب، عن أبي بكر الصديق أنه لما أمَّر خالدًا على حرب أهل الردة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**فنعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد، خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين**». (البداية والنهاية ٥/١٩١).

(٥) أورد ابن كثير أن عمر قال حين عزل خالدًا عن الشام والمثنى بن حارثة عن العراق: إنما عزلتهما ليعلم الناس أن الله نصر الدين لا بنصرهما وأن القوة لله جميعًا. (البداية والنهاية ٥/١٩٣).

الدكتور وأفكار المستشرقين، وإن اكتفى المستشرقون بالعبارات المقتضبة والإشارات الخفية، فجاء الدكتور فبسط البحث واستغنى بالعبارة الواضحة عن الإشارات الخفية ولم يترك للقارئ فرصة الاستنتاج والاستخلاص للمعاني إنما ساقها إليه في أجل وضوح وبيان!

## عمر بن الخطاب في كتابات طه حسين:

لم يحظ أحد من الصحابة بقدر كبير من الثناء والإطراء في كتابات الدكتور طه حسين مثلما حظي الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ ـ وهو بالمدح جدير ـ وغالى في مدحه حتى رفعه على مقام النبوة درى أم لم يدر، فهو حين يتحدث إلى الشباب عن عمر ﷺ كنموذج ينبغي أن يحتذى ويقتدى به يقول في كلام جماعة الإغراق وعدم الاستثناء: [فعمر فيما نعتقد أعظم شخصية يمكن أن تعرض على الشباب لأنهم يجدون فيه خير ما نحب أن يجدوا من المثل التي نتمنى أن يطيلوا النظر إليها، والتفكير فيها، والتأثر بها؛ لعلهم يرقون إليها شيئًا][(١)].

ثم قال وبالأسلوب ذاته يصف سلامة قلبه وحساسية ضميره: [وما أعرف أن خليفة من خلفاء المسلمين أو ملكًا من ملوكهم منح ما منحه عمر من هذا الضمير الحساس إلى أقصى ما يستطيع الضمير أن يحس. ظهر ذلك من أمره للناس جميعًا ظهورًا قويًا مقنعًا حتى شبهوه بالميزان الدقيق الذي لا يمكن أن ينحرف أو يجور، وما أعرف خليفة من خلفاء المسلمين أو ملكًا من ملوكهم، تمثل حساب الله في جميع

---

(١) طه حسين: من لغو الصيف إلى جد الشتاء: المجموعة الكاملة ـ الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط٢، سنة ١٩٨٣، ١٤/٣٠٤، ٣٠٩.

إلى وقفات لبيان وجه الحق فيها وسنتكفي ببعض المواقف مباعدين بيننا وبين الحصر أو الاستقصاء إذ أن ذلك يشق ويتنافى مع طبيعة البحث.

## عمر ودوره في التشريع الإسلامي:

عند كلام الدكتور عن عناية عمر ﷺ بشؤون الدين كما كان يعنى بشؤون الدنيا، أطلق الدكتور دعوى عريضه قررها بقوله:

[ولم يكتف عمر بذلك (رعاية أمور الدنيا) وإنما كان يرعى شؤون الدين كلها في دقة كما كان يرعى شؤون الدنيا، ورعايته هذه لشؤون الدين قد حملته على أن يبتكر أشياء لم يكن للمسلمين بها عهد أيام النبي ولا أيام أبي بكر فهو الذي أخذ الناس بقيام رمضان بعد أن تصلى العشاء، فسن لهم صلاة التراويح، لم يقصر ذا على الرجال وحدهم وإنما سنه للنساء أيضًا، وجعل للرجال قارئ يصلي بهم صلاة التراويح هذه، وجعل للنساء قارئًا يصلي بهن هذه الصلاة، وكتب بذلك إلى الآفاق لتكون هذه الصلاة عامة بين المسلمين.

واشتد في عقاب الذين يشربون الخمر ففرض لشرب الخمر حدًا لم يكن معروف قبله فالله حرم الخمر في القرآن الكريم ولكنه لم يفرض على شاربها عقابًا في الدنيا، وإنما ترك ذلك لما ادخر للمخالفين عن أمره ونهيه من العقاب يوم القيامة][1].

والحق أن الدكتور لم يكن موفقًا حين قال: إن عمر ﷺ ابتكر أشياء لم يكن للمسلمين بها عهد أيام النبي ولا أيام أبي بكر! إذ الابتكار إحداث شيء على غير مثال سابق، وعمر ما فعل شيئًا من هذا

(١) طه حسين: الشيخان، ص٢٠٢.

شيء ضيئل من سنة النبي ﷺ في رمضان][1].

فعمر لم يسن إذن وإنما أحيا سنة، قال ابن قدامة[2] في المغني: (ونسبت التراويح إلى عمر بن الخطاب، لأنه جمع الناس على أبي بن كعب فكان يصليها بهم)[3].

وما أظن أن الدكتور هدف إلى بعض ما أثاره نفر من المستشرقين حين زعموا أن في الإسلام ثغرات وفراغ تشريعي[4] عمل بعض الخلفاء وبالأخص عمر رضي الله عنه إلى ملء هذا الفراغ وسد تلك الثغرات ببعض التشريعات وأكبر الظن أن الدكتور كان يبرهن على حرص عمر رضي الله عنه على دين الأمة كما كان حريص على إصلاح دنياها لكنه ولا شك جانب الصواب حين عبر بالألفاظ السابق الإشارة إليها.

ولقد جاءت عبارات سدنة الاستشراق في هذه المسألة متسقة مع الإسلام تمامًا إذ قررت الواقع لا غير يقول فنسنك[5]:

[التراويح كلمة عربية... وهي الصلوات التي تقام في ليالي

---

(١) طه حسين: الشيخان، ص٢٠٨.

(٢) ابن قدامة: هو عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ولقب بموفق الدين أبو محمد ولد سنة ٥٤١هـ، مفسر ومحدث وأصولي وفقيه ولغوي وبارع كذلك في الحساب والنجوم صنف في كثير من العلوم، وأبرز آثاره: المغني. (راجع: مقدمة المغني ـ ترجمة صاحب المغني ـ طبعة المكتبة التجارية مكة المكرمة).

(٣) موفق الدين وشمس الدين ابني قدامة: المغني والشرح الكبير، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، دار الفكر بيروت، ط١٤١٤هـ، ١/٨٣٤.

(٤) د. عجيل النشمي: الخلفاء الراشدون ودورهم في التشريع في نظر المستشرقين، مجلة المنهل العدد ٤٧١ سنة ١٤٠٩هـ، ص٦٣.

(٥) سبق ترجمته، ص٢٦٢.

قال به أيضًا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذ قال: [«حد الشرب ثابت بالسُّنَّة وإجماع المسلمين أربعون، والزيادة يفعلها الإمام عند الحاجة إذا أدمن الناس الخمر وكانوا لا يرتدعون بدونها»، وقال: «الصحيح أن الزيادة على الأربعين إلى الثمانين ليست واجبة على الإطلاق ولا محرمة على الإطلاق، بل يرجع فيها إلى اجتهاد الإمام]»[1].

* **والرأي الثاني**: [قالوا: حد الشرب ثمانون جلدة قال بهذا الحنفية والمالكية ورواية عن الحنابلة... وأصحاب هذا القول اعتبروا الإجماع لعدم وجود النص وعمدتهم في ذلك ما روى مالك بن أنس عن ثور بن زيد البلي أن عمر بن الخطاب استشار في الخمر يشربها الرجل فقال له علي بن أبي طالب: نرى أن نجلده ثمانين، إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى وإذا هذى افترى أو كما قال، فجلده عمر ثمانين[2]، ورفع الحد ثمانين جلدة إجماع الصحابة والإجماع مصدر من مصادر الفقه الإسلامي][3].

فهذا الكلام السابق فيه رد على الدكتور في زعمه أن عمر اخترع حد الخمر اختراعًا أو ابتكره ابتكارًا، وإنما هو اجتهاد في فهم النصوص وعمل ضمن قواعدها العامة لتحقيق المصالح الشرعية وسياسة الأمة بما يصلحها معاشًا ومعادًا.

---

(١) صالح بن فوزان آل فوزان: الملخص الفقهي، دار ابن الجوزي، السعودية، ط٥، ١٤١٧هـ، ٤٣٢/٢.

(٢) مالك، الموطأ ٨٤٢/٢، حديث رقم ٢، باب الحد في الخمر.

(٣) معجب بن معدي العتيبي: حقوق الجاني بعد صدور الحكم في الشريعة الإسلامية، ص٣٣٠، ٣٣١ بتصرف.

عزله عن الكوفة، وقاسم أبا هريرة حين عزله عن البحرين، وقاسم غيرهما من ولاته الذين لم يرض عن كسبهم وسيرتهم في المال][1].

وهذه الجملة الأخيرة طعن واضح في أمانة الرجلين وأن عمر رضي الله عنه وعن الجميع إنما عزلهم عن خيانة منهم للمسلمين وغش لهم.

ولتحقيق هذا الأمر نذكر ما قاله ابن كثير في الرجلين جميعًا وخاصة في أمر التولية والعزل.

فعن سعد بن أبي وقاص يقول ابن كثير رحمه الله: [اسمه مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة ابن كلاب، أبو إسحاق القرشي الزهري أحد العشرة المشهود لهم بالجنة... كان في أيام الصديق معظمًا جليل المقدار، وكذلك في أيام عمر وقد استنابه على الكوفة... وعزله عمر عن الكوفة عن غير عجز ولا خيانة ولكن لمصلحة ظهرت لعمر في ذلك، وقد ذكره في الستة أصحاب الشورى][2]، ولو صدقت دعوى أولئك الطاعنين على سعد ما جعله عمر في أهل الشورى ويضاف لفضل سعد أنه سأل النبي أن يدعو له بأن يكون مستجاب الدعوة فدعا له النبي ﷺ فكان مستجاب الدعوة وكانت هذه الأمنية مشروطة بمطلب نبوي وهو أن يطيب مطعمه قال الرواة: (فكان سعد يتورع عن السنبلة يجدها في زرعه فيردها من حيث أخذت)[3].

---

(١) طه حسين: الشيخان، ص٢١٨.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ٥/٥٦٧.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ٥/٥٧٢.

يوصي الخليفة القادم بأن يعوضه عن ذلك بولاية إقليم من الأقاليم؛ لأنه سبق أن أقيل من منصبه لا لعجز فيه ولا لوصمة شانت سلوكه»[1].

ورغم ما في كلام المستشرق من غمز وإشارات خفية مغرضة إلا أن محل الشاهد شهادته في آخر كلامه أن عزل سعد لم يكن عن طعن في أمانته ولا عجز في كفايته، فكان هذا المستشرق أكرم على نفسه من أن يسير وراء الروايات الكاذبة وينسج على منوالها.

كذلك لم يتورط جولدزيهر[2] حين ترجم لأبي هريرة ـ فيما تورط فيه الدكتور طه حسين إذ طعن في أمانة أبي هريرة ﷺ، إنما عرض لموضوع التولية والعزل دون أن يثير شبهة أو يوجه مطعنًا فكان من قوله: (وقد استعمله عمر على البحرين اعترافًا منه بفضله في إذاعة الحديث[3] ولما عزل من هذا المنصب وأراده على العمل ثانية أبى وآثر أن يعيش في المدينة كما يعيش عامة الناس)[4] ولو كان لهذه الدعوى ثبوت لما توانى جولدزيهر على القول به لا سيما وهو المعروف بعدائه الشديد للإسلام والمسلمين.



(١) دائرة المعارف الإسلامية، مادة: سعد بن أبي وقاص ٤٠١/١١.

(٢) جولدزيهر: (١٨٥٠هـ/١٩٢١م) مستشرق مجري، درس بالأزهر على الإمام محمد عبده، شغل العديد من المناصب الجامعية، له مؤلفات عديدة أشهرها: العقيدة والشريعة في الإسلام. المستشرقون ٤٠/٣، ٤١.

(٣) لم تكن هذه رؤية عمر التي يولى الولاة من أجلها وإنما كانت هناك شروط أخرى تراعى ليس هذا مقام تفصيلها. راجع: د. محمود محمد عمارة: من فقه عمر في المساءلة والعزل والتعيين ـ وزارة الأوقاف، سلسلة دراسات إسلامية العدد ٧٢، سنة ١٤٢٢هـ، ص١٧ وما بعدها.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية، مادة: أبو هريرة ٤١٨/١.

الدكتور بعد ذلك بسنوات قلائل ليكتب مقالًا طويلًا بجريدة السياسة اليومية جعل عنوانه: (خزانة الكتب بالإسكندرية وتحريق العرب إياها)[1] ومن خلال العنوان يظهر هدف المقالة وهو الانتصار لإثبات دعوى التحريق من العرب لتلك المكتبة! وكعادة الدكتور أراد أن يظهر إنصافه وتجرده وتمسكه بقواعد البحث العلمي حتى لا يؤاخذه واحد من الناس بأنه متحامل على العرب أو يريد أن يرميهم بالنقائص والمعايب، أراد أن يظهر ذلك فساق دعوى غريبة أذكرها بلفظه فهو أجدر بالتعبير عن نفسه يقول الدكتور:

(والذين يريدون ألا تكون خزانة فيحرقها العرب أيام الفتح متعصبون للعرب والمسلمين سواء منهم من كان عربيًا مسلمًا أو عربيًا أوروبيًا مستشرقًا. فمن الخير أن تعلم أن تعصب المستشرقين للحضارة العربية قد يكون أشد من تعصب المسلمين لدينهم وقد يكون أشد من تعصب العرب لجنسيتهم. . .)[2].

هكذا. . . بهذا الأسلوب يرمى من ينصف العرب والمسلمين بأنه متعصب لهم حتى المستشرقين الذين أنصفوا العرب في هذه الدعوى يرميهم طه بأنهم من المتعصبين للعرب والعجيب أن الدكتور ذكر في أعقاب كلامه هذا رأي المستشرقين كازانوفا وجريفيني اللذين يكذبان القصة ويريان أن الخزانة لم توجد إبان الفتح الإسلامي لمصر وإذن فلم يحرقها العرب. . . ذكر هذين المستشرقين ورأييهما ليثبت أنهما ممن تعصبوا للعرب فقالوا ما قالوا. مع أن هذين المستشرقين لم يعرف

---

(١) السياسة اليومية، الصادرة في يوم الأربعاء ١٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٣هـ، ٢٣ يناير سنة ١٩٢٤، صفحة الأدب، ص٣.

(٢) المرجع السابق نفسه.

وظلت في العصر الإسلامي مركزًا من أهم مراكز العلم والفلسفة والدين في العالم كانت تخلو أيام الفتح الإسلامي من الكتب وخزانات الكتب. لا يكاد يصدق هذا وإنما يكاد العقل يجزم بأن مدينة كمدينة الإسكندرية كان فيها خزانة أو غير خزانة للكتب سواء أكانت هذه الخزانة هي خزانة البطالسة أم لم تكن.

ولا ينكر العقل أن أخذ مدينة كمدينة الإسكندرية عنوة وبعد حصار قد يستتبع اضطرام النار في غير موضع من مواضع المدينة وهذه النار تستطيع أن تلتهم خزائن الكتب كما تستطيع أن تلتهم البيوت والمخازن التجارية، فليس من المستحيل أن تكون هناك خزائن للكتب قد احترقت عفوًا حين الفتح ثم غضب المقهورون فاتهموا الفاتحين بأنهم تعمدوا ذلك وقصدوا إليه وصدر إليهم فيه الأمر من خليفتهم عمر بن الخطاب)[١].

وقبل أن نوضح المطاعن التي وجهت إلى تلك الدعوى نقوم بذكر القصة كما رواها المؤرخون.

## قصة الحريق كما رواها المؤرخون:

روى أبو الفرج الملطي[٢] القصة على هذا النحو قال: (كان في وقت الفتح رجل اكتسب شهرة عظيمة عند المسلمين يسمى يوحنا

---

(١) السياسة اليومية: المرجع السابق نفسه.

(٢) أبو الفرج الملطي هو: غريغورس بن أهرون المعروف بابن العبري ولد سنة ١٢٢٦م في مدينة ملطية بأرمينية الصغرى. كان على علم باليونانية والسريانية والعربية وله نحو ثلاثين كتابًا بالعربية والسريانية في الفلسفة والطب والتاريخ والنحو والشعر توفي سنة ١٢٨٦م. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام ٢٤٢/١.

وكتب إلى عمر وعرفه قول يحيى، فورد عليه كتاب عمر يقول فيه: وأما الكتب التي ذكرتها، فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنى، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله، فلا حاجة إليها فتقدم بإعدامها، فشرع عمرو بن العاص في تفريقها على حمامات الإسكندرية وإحراقها في مواقدها، فاستنفدت في ستة أشهر فاسمع ما جرى واعجب!)[1].

(وقد دلل المؤرخون الذين ذهبوا إلى القول بأن إحراق مكتبة الإسكندرية كان على يد عمرو بن العاص بأمر الخليفة عمر بن الخطاب:

١ ـ بأن المسلمين كانت لهم رغبة عظيمة في محو كل كتاب غير القرآن والسُّنَّة.

٢ ـ وأنهم أحرقوا مكاتب الفرس عند فتح بلادهم كما ذكر حاجي خليفة[2]، في كتابه كشف الظنون.

٣ ـ وأن هذه الرواية والتي تثبت الحريق لم يروها أبو الفرج فقط، بل رواها أيضًا مؤرخان مسلمان هما: عبد اللطيف البغدادي[3]، وابن القفطي[4].

---

(١) د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ١/٢٤٤، ٢٤٥.

(٢) حاجي خليفة: (..... ـ ١٦٦٠م/..... ـ ١٧٤٧م) محمد عصمت بن إبراهيم الرومي الحنفي النقشبندي المعروف بحاجي خليفة، صوفي، متكلم، مؤرخ. [معجم المؤلفين: ٤٨٨/٣].

(٣) عبد اللطيف البغدادي (٦٢٩هـ/١٢٣١م) تاريخ الإسلام ٢٤٢/١.

(٤) ابن القفطي: وزير حلب المعروف بالقاضي الأكرم. ولد في قفط سنة ٥٦٥هـ وتوفي بحلب سنة ٦٥٦هـ، وألف كتابه إخبار العلماء بأخبار الحكماء. تاريخ الإسلام ٢٤٢/١.

بل رواها أيضًا عبد اللطيف البغدادي وابن القفطي وهما مؤرخان عظيمان فيمكن دحضه ببيان أن عبد اللطيف البغدادي هو أول من نسب الحريق إلى عمرو وجاء بعده ابن القفطي وأبو الفرج الملطي فأخذاها عنه ولم يذكروا جميعًا من أي تاريخ أخذت القصة ولا من أي مصدر استقيت.

**أما الدليل الرابع**: فلا يثبت دعواهم لأنه على فرض صحة هذه الرواية، فإن عبدالله بن طاهر كان متأخرًا (٢١٣هـ) ولا يؤخذ عمله حجة على عمر بن الخطاب المتوفى سنة ٢٣هـ)[١].

## ما وجه إلى الدعوى من طعون:

لقد وجه إلى تلك الدعوى طعون تقضي عليها من أساسها وأجدر شيء بالملاحظة أن الذين طعنوا في القصة معظمهم من الأوروبيين الذين يثق الدكتور في علمهم ومعرفتهم بمناهج البحث العلمي. (الدكتور الفرد بتلر Butler[٢] المؤرخ الإنجليزي الذي أسهب في تاريخ فتح العرب لمصر والإسكندرية يلخص الحكاية وينقضها ابتداء (لأن يوحنا فلبيوتوس الذي قيل: إنه خاطب عمرو بن العاص في أمر المكتبة لم يكن حيًّا في أيام فتح العرب لمصر.. ثم ينقضها لأسباب شتى منها أن كثيرًا من كتب القرن السابع كانت من الرق وهو لا يصلح للوقود، وأنه لو قضى الخليفة بإحراقها لأحرقت في مكانها ولم يتجشموا نقلها إلى الحمامات مع ما فيها من التعب ومع إمكان شرائها من الحمامات بعد ذلك بأبخس الأثمان، ولو أننا صرفنا النظر عن

(١) د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام ٢٤٣/١ بتصرف.

(٢) بتلر، ا.ج إنجليزي من آثاره: كتاب فتح العرب لمصر ١٩٢٣. المستشرقون ٧٥/٢.

بأن الخزانة التي يدَّعون حريقها لم توجد إبَّان الفتح الإسلامي لمصر وإذن فلم يحرقها العرب.

والمستشرق ريفون جست Rhuvon Guest[(١)] حين كتب تعريفًا بالإسكندرية وتاريخها في دائرة المعارف الإسلامية كان من قوله: (ولم يضايق العرب سكان هذه المدينة عند استيلائهم عليها، كما أننا لا نستطيع أن نسلم بصحة القصة المشهورة التي تزعم أن مكتبتها العظمى قد أحرقت بأمر الخليفة عمر في ذلك العهد)[(٢)].

ويقول الأستاذ إتين دينيه[(٣)]: (القائلون بحرق مكتبة الإسكندرية يبدون استخفافًا لا حد له بوقائع التاريخ، ذلك أن مكتبات الإسكندرية قد خربت قبل مجيء الإسلام بقرون متعددة، وأولى هذه المكتبات هي مكتبة البروخيوم التي كانت تحتوي على أربعمائة ألف مجلد وقد أحرقت أثناء الحرب التي نشبت بين يوليوس قيصر[(٤)] والإسكندريين،

---

(١) ريفون جست من موظفي المتحف البريطاني، وأول من مهد السبيل إلى تعليم النقوش ولا سيما الأنسجة. من آثاره: كتاب الولاة والقضاة للكندي بمقدمة إنجليزية وفهرس عام لأسماء الأعلام وصنف بحثًا عن ابن الرومي. المستشرقون ٨٣/٢.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، مادة: إسكندرية ١٣٧/٢.

(٣) إتين دينيه ولد في بارس سنة ١٨٦١م أسلم وأعلن إسلامه في اجتماع حافل بالجزائر سنة ١٩٢٧ ودفن بقبر شيده بنفسه، تسمى بعد إسلامه بناصر الدين، من آثاره: أشعة خاصة بنور الإسلام، والحج إلى بيت الله الحرام، والشرق كما يراه الغرب. (د. عبد الحليم محمود، أوروبا والإسلام، دار المعارف، ط٢، بدون ت، ص٨٨ ـ ١١٣).

(٤) يوليوس قيصر إمبراطور روماني (١٠٢ ـ ٤٤ ق.م) تولى القنصلية عام ٥٩ق.م. راجع: و.ج. دي بورج. تراث العالم القديم ترجمة زكي سوس/ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ مكتبة الأسرة ١٩٩٩م، ص٢٩١.



# المبحث الثالث

## موقف الدكتور من صحابة النبي ﷺ

**تمهيد:**

صحابة النبي ﷺ هم خير القرون بشهادة النبي ﷺ في الحديث الصحيح، عن عمران بن حصين[1] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**، قال عمران: فلا أدري: أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا؟...»[2] وحديث الزبير بن عدي رضي الله عنه قال: أتينا أنس بن مالك رضي الله عنه فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج[3] فقال: اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى

---

(١) عمران بن حصين: صحابي جليل، يكنى أبا نجيد، بابنه نجيد، أسلم عام خيبر، وغزا مع رسول الله ﷺ غزوات، بعثه عمر بن الخطاب إلى البصرة ليفقه أهلها، وتولى قضاءها من قبل عبدالله بن عامر ثم استعفى فأعفاه، توفي بالبصرة سنة ٥٢هـ. أسد الغابة (٣/٧٧٧، ٧٧٨).

(٢) رواه البخاري ٥/١٩٠ في فضائل أصحاب النبي ﷺ مسلم رقم (٢٥٣٥) في فضائل الصحابة، والترمذي رقم (٢٢٢٢) في الفتن، وأبو داود رقم (٤٦٥٧) في السُّنَّة، والنسائي ٧/١٧، ١٨ في الأيمان والنذور.

(٣) سبق ترجمته، ص٤١.

هفوات. أن لا ينسى ما غلب عليهم من الحق والخير فلا يَكفر ذلك كله من أجل تلك الهفوات ويجب على من يتحدث عن أهل الباطل والشر إذا علم بوادر صالحات أن لا يوهم الناس أنهم من الصالحين من أجل تلك الشوارد الشاذة من أعمالهم الصالحات][1].

ولعل من أوجز العبارات التي وضحت موقف المسلم من الصحابة رضوان الله عليهم ما كتبه الأستاذ حسن البنا[2] في بعض رسائله إذ قال: «وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم ﷺ، وكل ما جاء عن السلف رضوان الله عليهم موافقًا للكتاب والسُّنَّة قبلناه، وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع، ولكنا لا نعرض للأشخاص ـ فيما اختلف فيه ـ بطعن أو تجريح ونكلهم إلى نياتهم، وقد أفضوا إلى ما قدموا»[3].

## تقرير موقف الدكتور طه حسين من الصحابة وما شجر بينهم من خلاف:

كعادة الدكتور اجترأ ـ فيما ينبغي الإحجام فيه ـ إذ عمد إلى حكاية تاريخ الصحابة في ظل الخلافة الراشدة والحكم عليه من خلال روايات ذكرتها كتب التاريخ لم يتبين الدكتور ثبوتها من عدمه وهو كما

---

(١) أبو بكر ابن العربي: العواصم من القواصم. من مقدمة المحقق محب الدين الخطيب، ص٥.

(٢) حسن البنا: (١٩٠٦ ـ ١٩٤٩) ولد بالمحمودية بمحافظة البحيرة تخرج من دار العلوم، أسس جماعة الإخوان المسلمين وظل موجهًا لها حتى اغتيل في ١٢ فبراير سنة ١٩٤٩ (مقدمة مجموعة رسائل الإمام الشهيد).

(٣) حسن البنا: مجموعة الرسائل، رسالة التعاليم. دار التوزيع والنشر الإسلامية طبعة سنة ١٤١٢هـ، ص٣٥٧.

ونصوب من نصوب منهم من هذه الجهة وحدها دون أن نقضي في أمر دينهم بشيء، فإن الدين لله، ودون أن نستبيح لأنفسنا أن نقول كما يقول أنصارهم وخصومهم: هؤلاء مؤمنون وهؤلاء كافرون، وهؤلاء في منزلة بين بين، وهؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار، ذلك شيء لا نخوض فيه وليس لنا أن نخوض فيه، وإنما أمره إلى الله وحده، فأما الذي إلينا فهو أن نتبين من أعمالهم وأقوالهم وسيرهم ما يلائم الحق والعدل والصواب وما لا يلائمها؛ وهذا في نفسه كثير، ولكن لا بد مما ليس منه بد][1]».

وهذا الكلام فيه من التحايل لتبرير موقفه الشيء الكثير، فكأني به يقسم حياة الصحابة إلى قسمين: قسم لله وهو ما يتعلق بأمر الدين وهذا الجانب يعد بأنه سيعرض عنه ولا يدخل فيه، وقسم للدنيا وهي حق للجميع ومن هنا أعطى الدكتور لنفسه حق النقد والتأييد والتصحيح والمخالفة وهذا تحايل يشبه تحايل العلمانيين حين يهدفون إلى هدم رموز الإسلام من الصحابة والتابعين الذين نشر الله هذا الخير على أيديهم فيظهرونهم بصورة المنهزمين أمام ضرورات الحياة الدنيا من مأكل ومشرب أو بصورة الراغبين في متاعها من مال وخراج، وهذا الكلام بمفهوم آخر يوحي بأن الإسلام لم يشخَّص كواقع عملي في أناس يحملون تعاليمه بحق وحقيقة قولاً وعملاً في أي فترة من الفترات على امتداد التاريخ حتى في هذه القرون الأولى المفضلة من حياة المسلمين.

وحين يتعرض للخلاف في حياة الصحابة يزيد موقفه إيضاحًا

---

(١) طه حسين: الفتنة الكبرى ـ عثمان ـ المجموعة الكاملة ٢٣٥/٤، ٢٣٦ بتصرف.

يرون في أنفسهم، فهم كانوا يرون أنهم بشر يتعرضون لما يتعرض له غيرهم من الخطايا والآثام، وهم تقاذفوا التهم الخطيرة، وكان فريق منهم تراموا بالكفر والفسوق؛ فقد رُوي أن عمار بن ياسر كان يكفر عثمان ويستحل دمه ويسميه نعثل ورُوي أن ابن مسعود كان يستحل دم عثمان أيام كان في الكوفة... وما ينبغي أن نذهب مذهب الذين يكذبون أكثر الأخبار التي نقلت إلينا ما كان بينهم من فتنة واختلاف. فنحن إن فعلنا ذلك لم نزد على أن نكذب التاريخ الإسلامي كله منذ بعث النبي؛ لأن الذين رووا أخبار هذه الفتن هم أنفسهم الذين رووا أخبار الفتح وأخبار المغازي وسيرة النبي والخلفاء. فما ينبغي أن نصدقهم حين يروون ما يروقنا، وأن نكذبهم حين يروون ما لا يعجبنا. وما ينبغي أن نصدق بعض التاريخ ونكذب بعضه الآخر، لا لشيء إلا لأن بعضه يرضينا وبعضه يؤذينا][(١)].

بهذا الأسلوب يسخر الدكتور ممن يكبرون صحابة النبي ﷺ ويظنون بهم الخير، وممن يصدقون حديث النبي ﷺ في وصفه لصحابته بأنهم خير القرون، فيصفهم بأنهم ممن يقدسون السلف! وبأنهم رضوا بالكسل العقلي عن البحث والدرس والاستقصاء.

ويعيب في الوقت ذاته أصحاب التأويل التآمري الذين يرون كل مصيبة نزلت بالإسلام وأهله من صنع أعداء الإسلام من أهل الكتاب ومن غيرهم والباحث المنصف يرفض هذا الاتجاه ولا يرضاه ولكنه لا يهمل أن شيئًا من ذلك قد يكون، فللإسلام أعداء يكيدون له مكر الليل والنهار ولا يستبعد بل من اليقين أنه كانت لهم محاولات لتشويه

(١) طه حسين: الفتنة الكبرى ـ عثمان ـ المجموعة الكاملة ٣٦٥/٤ ـ ٣٦٧ بتصرف.

والأحداث والحكم بصحتها ووقوعها من مثل قوله: «وأكبر الظن» و«الشيء الذي لا شك فيه»، و«ليس من البعيد» وغيرها مما تفرد به الدكتور.

## نماذج من حديث الدكتور طه حسين عن الصحابة رضوان الله عليهم:

لو أردنا أن نقف مع الدكتور في حديثه عن الصحابة رضوان الله عليهم عند تأريخه لفترة الخلافة الراشدة لطال بنا المقام أكثر مما تحتاجه طبيعة البحث ولكن في هذا المبحث أكتفي بإشارات سريعات توضح الصورة المجملة لصورة الصحابة رضوان الله عليهم في فكر الدكتور طه حسين، وفي هذه الإشارات المجملة ـ إن شاء الله ـ دلالة على غيرها مما لم نرد ذكره.

### عثمان بن عفان رضي الله عنه الخليفة المفترى عليه:

لم ينل أحد من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ حظًا كبيرًا من الحديث في تعرض الدكتور للتاريخ الإسلامي مثلما حظي الخليفة الراشد عثمان بن عفان، ولو جرى الحديث مجرى البحث القائم على الدرس والاستقصاء وتمحيص الروايات لكان ذلك فضيلة تضاف للدكتور في تناوله لهذا الصحابي الكريم ولكن الدكتور اقتفى أثر السابقين وخاصة أعداء الإسلام فردد كل مفترياتهم وربما زاد عليها بإبراز بعض الأحداث التي لا يوثق بها والتي لم يسندها الدكتور نفسه وإنما كان يصدرها لقوله: «ويزعم الرواة» و«يتحدث الرواة» وغيرها من الألفاظ التي لا تفيد يقينًا، ثم علق على تلك الروايات تعليقًا يشي أنه مصدق لها مؤمن بوقوعها.

١٥ ـ وعلا على درجة رسول الله ﷺ، وقد انحط عنها أبو بكر وعمر.

١٦ ـ ولم يحضر بدرًا، وانهزم يوم أُحد، وغاب عن بيعة الرضوان.

١٧ ـ ولم يقتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان (الذي أعطى السكين إلى أبي لؤلؤة وحرَّضه على عمر حتى قتله).

١٨ ـ وكتب مع عبده على جمله كتابًا إلى ابن أبي سَرْح في قتل من ذكر فيه. اهـ.](١).

وقد فند القاضي أبو بكر ابن العربي هذه المفتريات ورد عليها ردًا قيمًا جاء في قرابة المائة صفحة من كتابه(٢).

---

(١) أبو بكر ابن العربي: العواصم من القواصم، ص٦١، ٦٢. وفيما يلي ذكر أماكن معالجة هذه الأحداث من الدكتور في كتابه الفتنة الكبرى ـ عثمان ـ طبقًا للأرقام الواردة بالمتن.

١ ـ الفتنة الكبرى ـ عثمان ـ المجموعة الكاملة ٣٦٢/٤.

٢ ـ ٣٥٦/٤ وغيرها.

٣ ـ ٣٧٦/٤ ـ ٣٧٩.

٤ ـ ٣٧٥/٤.

٥ ـ ٣٥٩/٤، ٣٦٠.

٧ ـ ٣٧٩/٤.

٨ ـ ٣٧٣/٤؛ ومرأة الإسلام ١١٩.

٩ ـ ١٢ ـ ٣٨٢/٤ تحت عنوان عثمان يولى الأحداث.

١٣ ـ ٣٨٨/٤.

١٦ ـ ٢٤٧/٤.

١٧ ـ ٣٧٠/٤.

(٢) من ص٦١ ـ ١٤٧ من الكتاب المذكور.

المال[1].

ومما ذكره الدكتور عن عثمان ولا تسيغه عقول آحاد الناس فضلاً عن أن يكون هذا منطق عثمان وعقله.

يذكر فهمه لطبيعة ولايته على المسلمين فيصفه بقوله:

[وأخرى يجب أن نلاحظها في تفسير السياسة المالية لعثمان، وهي أنه لم يكن يرى فيما يظن أن للمسلمين الحق في أن يراقبوه فضلاً عن أن يعاقبوه فهو قد أعطى العهد الذي أعطاه، وهو مسؤول عن هذا العهد أمام الله لا أمام الناس. يدل على هذا اقتناعه بأن الذين طلبوا إليه أن يخلع نفسه قد طلبوا إليه شيئًا عظيمًا وقوله لهؤلاء ولغيرهم: «ما كنت لأخلع قميصًا قمصنيه الله عز وجل» وقوله لهؤلاء ولغيرهم: «لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إلي من أن أنزع سربالاً سربلنيه الله عز وجل»[2].

---

(١) المصدر السابق ٣٨٥/٤ ـ ٣٩٢.

(٢) ولماذا لا يكون رفض عثمان ﷺ التنحي، لأنه تحقق له وعد رسول الله ﷺ الذي أورده الإمام أحمد في مسنده قال الإمام أحمد:

حدّثنا أبو المغيرة، حدّثنا الوليد بن مسلم، حدّثني ربيعة بن دريد عن عبدالله بن عامر، عن النعمان بن بشير، عن عائشة ﷺ قالت: أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان فجاء فأقبل عليه رسول الله ﷺ فلما رأينا إقبال رسول الله ﷺ على عثمان أقبلت إحدانا على الأخرى فكان من آخر كلمة أن ضرب منكبه وقال: «**يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصًا فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني**: ثلاثًا» فقلت لها: يا أم المؤمنين فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسيته والله ما ذكرته قال: فأخبرت معاوية بن أبي سفيان فلم يرض بالذي أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين أن اكتبي إلي به فكتبت إليه به كتابًا.

هذا الحديث أورده ابن كثير في البداية والنهاية ٢٩٩/٥ ـ ٣٠٠ وأخرجه الإمام أحمد في مسنده عن عائشة رقم الحديث (٢٤٩٢٠) ٤٢٩/٩، وانظر: (٢٥٢١٦) ٤٨٦/٩.

يسأل هذا الرجل الدكتور عن رأيه في الخليفة عثمان وللأمانة أنقل الكلام بنصه، يقول مرتضى الرضوي: وبعدها سألت الدكتور عن رأيه في الخليفة عثمان فقال:

كان عثمان يقاد كالثور[1](!!!!!).

الجرأة غير المحمودة يصف عثمان رضي الله عنه بهذا الوصف الذي تورع أن يصف به السكارى وأرباب السوء، ولو أنصف الدكتور وعرف لأهل الفضل فضلهم لما سقط هذه السقطة الشنعاء وذلك بعد قول النبي ﷺ فيما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه: «**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه**»[2].

## حديثه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

(افترى الدكتور على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، افتراء واسعًا، فقد تحدث طويلاً عن أنها كانت تخطب الناس وهي على جملها وتحرضهم على القتال في خيال ودعاوى باطلة، فهي لم تخرج إلى قتال)[3].

ومن كلامه غير اللائق بمقام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حين كان مرتضى الرضوي يحاوره وسأله عن أم المؤمنين عائشة فقال[4]: كان

---

(١) السيد مرتضى الرضوي: مع رجال الفكر في القاهرة، مطبوعات النجاح بالقاهرة، ط١ سنة ١٣٩٤هـ، ص١٦٠.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، باب تحريم سب الصحابة حديث رقم (٢٥٤٠) ٩٢/١٦.

(٣) أنور الجندي: محاكمة فكر طه حسين، ص٢٢٥.

(٤) السيد مرتضى الرضوي: مع رجال الفكر في القاهرة، ص١٦٠.

تفسير الأحداث وتأويلها. . . والأعجب في ذلك أن الكلام يتناول أمر أم من أمهات المؤمنين اللاتي وصفهن القرآن بقوله: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[1].

## اتهامه لابن عباس بالسرقة:

يروي الدكتور ذلك رواية من عاش الأحداث وعاينها فيقول عن ابن عباس الذي ولي البصرة في خلافة علي رضي الله عنه:

[رأى ابن عباس نجم ابن عمه في أفول ونجم معاوية في صعود، فأقام في البصرة يفكر في نفسه أكثر مما يفكر في ابن عمه وفي هذه الخطوب التي كانت تزدحم عليه، وكأنه آثر نفسه بشيء من الخير وسار في بيت المال سيرة تخالف المألوف من أمر علي ومن أمره هو، حين كانت الأيام مقبلة على ابن عمه وعليه وكأنه آنس من صاحب بيت المال في البصرة، وهو أبو الأسود[2] الدؤلي شيئًا من النكير فأغلظ له القول ذات يوم، وضاق أبو الأسود بما رأى وما سمع فكتب إلى عليّ: «أما بعد، فإن الله جعلك واليًا مؤتمنًا وراعيًا مسؤولًا. . . وإن عاملك وابن عمك قد أكل ما تحت يده بغير علمك ولا يسعني كتمانك ذلك فانظر رحمك الله فيما قبلنا من أمرك واكتب إلي برأيك إن شاء الله والسلام»[3]، وبعد أن يصم الدكتور ابن عباس بهذه

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.

(٢) أبو الأسود الدؤلي: شاعر من قبيلة ديل عاش في هذيل، شغل منصبًا هامًا في البصرة توفي سنة ٦٩هـ. دائرة المعارف ٣٠٧/١، ٣٠٨.

(٣) ردد المستشرق ركندورف في دائرة المعارف الإسلامية عند تعريفه لأبي الأسود الدؤلي نفس الزعم القائل باختلاس ابن عباس وأن أبا الأسود هو الذي دل عليًا على ذلك (دائرة المعارف الإسلامية ٣٠٧/١).

أنه ابن أبي سفيان الذي حارب النبي بعد بدر فأبلى في حربه أشد البلاء وأقواه، وأظهر في هذه الحرب قوة وقسوة وكيدًا ودهاء، ولم يُسلم إلا بآخرة حين لم ير من الإسلام بدًا، وحين لم يكن له إلا أن يختار بين الإسلام والموت. وقد ورث معاوية عن أبيه قوته وقسوته وكيده ودهاءه ومرونته كذلك.

ولم تكن أم معاوية بأقل من أبيه تنكرًا للإسلام وبغضًا لأهله وحفيظة عليهم، وهم قد وتروها يوم بدر، فثأر لها المشركون يوم أُحد، ولكن ضغنها لم يهدأ وحفظيتها لم تسكن حتى فتحت مكة فأسلمت كارهة كما أسلم زوجها كارهًا][1].

وواضح ما في أسلوب الدكتور من التحامل على معاوية ووالديه جميعًا ﭫ الذي حاكم ضمائرهم جميعًا وشكك في صدق إسلامهم فزعم أنهم أسلموا كارهين حين لم يروا من الإسلام بدًا، وهو ادعاء باطل يذهبه حسن بلاء الجميع بعد إسلامهم، ثم إن في الكلام إساءة للإسلام من طرف خفي وكأني به يزعم أن الإسلام مارس الضغط على الرقاب، إما الإسلام وإما الموت، وهذا نوع من الافتراء تكذبه وقائع التاريخ وأحداثه بعد نصوص الكتاب والسُّنَّة لقد كان تحامل طه على معاوية أظهر من أن يخفى على أي مطالع لكتابه عن الفتنة في عصر عليّ ﭬ حتى لقد لفت هذا التحامل نظر المستشرق الإيطالي ديلافيدا ـ رغم تحامله نفسه على الإسلام وعظمائه ـ فكان من أقواله في هذا الشأن:

---

(١) طه حسين: الفتنة الكبرى (٢) ـ علي بن أبي طالب ـ المجموعة الكاملة ٤/٤٨٤.

القاسي (وكأنه إسلامه ـ يعني المغيرة ـ لم يكن عميق الأثر في نفسه، فقد شهد عليه نفر بالزنى عند عمر، وأوشك عمر أن يقيم عليه الحد، لولا أن لجلج أحد الشهود وهو زياد. فأقيم حد القذف على الشهود الآخرين وعزل المغيرة عن البصرة. ولكن عمر ولاه الكوفة بعد ذلك وأقام عاملاً عليها حتى قتل عمر)[1].

فشكك الدكتور في إيمان المغيرة اعتمادًا على دعوى كاذبة رمى بها الصحابي كيدًا عليه من أعدائه وسياق الحادثة كما أوردها الدكتور يظهر براءة المغيرة مما رمي به فهو ينص على لجلجة أحد الشهود مما يشكك في صدق الحادثة إضافة إلى توليه عمر له على الكوفة بعد عزله عن البصرة ومعروف عن عمر رضي الله عنه شدة تحريه الحق وغيرته على حرمات الله ومصالح المسلمين ولو صح لديه ما يقدح في المغيرة ما ولاه الإمارة مرة أخرى.

ثم إن ابن كثير رحمه الله وهو يعرف بالمغيرة وعند تعرضه لتلك الحادثة قال بأسلوب التقرير: «... استنابه عمر على البصرة فلما شهد عليه بالزنى ولم يثبت عزله عنها وولاه الكوفة»[2].

## الصحابة أرباب دنيا:

ولئن أردنا أن نستقصي جميع الصحابة الذين تناولهم الدكتور طه بالطعن أو التجريح والغمز أو اللمز لطال بنا المقام مما ينافي طبيعة البحث، ولكن فيما ذكرته دلالة على غيره من جرأة الدكتور على الصحابة والحكم عليهم من خلال روايات لا يوثق بجلها. هذه الجرأة

---

(١) طه حسين: الفتنة الكبرى ـ علي ـ المجموعة الكاملة ٦٢٦/٤.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ٥٣٧/٥.

بالحسنى وهي الجنة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾(١) ولا يرفعونهم إلى ما لا يستحقون ولا يقصرون بهم عما يليق بهم وقلوبهم عامرة بحبهم وما صح فيما جرى بينهم من خلاف فهم فيه مجتهدون، إما مصيبون فلهم أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، وإما مخطئون فلهم أجر الاجتهاد وخطأهم مغفور، وليسوا معصومين بل هم بشر يصيبون ويخطئون ولكن ما أكثر صوابهم بالنسبة لصواب غيرهم، وما أقل خطأهم إذا نسب إلى خطأ غيرهم](٢).

وهذا ما وضحه الإمام النووي عند شرحه لكتاب فضائل الصحابة من كتاب صحيح مسلم حين تعرض لفترة الخلافات في حياة الصحابة(٣) قال:

(وأما عثمان فخلافته صحيحة بالإجماع وقتل مظلومًا وقتلته فسقة؛ لأن موجبات القتل مضبوطة ولم يجر منه ﵁ ما يقتضيه، ولم يشارك في قتله أحد من الصحابة، وإنما قتله همج رعاع من غوغاء القبائل وسفلة الأطراف والأرذال تحزبوا وقصدوه من مصر فعجزت الصحابة الحاضرون عن دفعهم فحصروه حتى قتلوه ﵁.

وأما علي ﵁ فخلافته صحيحة بالإجماع وكان هو الخليفة في وقته لا خلافة لغيره، وأما معاوية ﵁ فهو من العدول الفضلاء

---

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ١٠١، ١٠٢.

(٢) جمال عبد الهادي وآخرون. الزور والبهتان فيما كتبه طه حسين في الشيخان، ص١١٠، ١١١.

(٣) النووي: صحيح مسلم بشرح النووي ١٤٨/٥، ١٤٩.

وذلك أن أول هذه الأمة هم الذين قاموا بالدين تصديقًا، وعلمًا، وعملاً وتبليغًا، فالطعن فيهم طعن في الدين، موجب للإعراض عما بعث الله به النبيين][1].



(١) محب الدين الخطيب: مع الرعيل الأول، ص٥.

هذا الحكم الذي أطلقه الدكتور على القرن الثاني الهجري أسسه على تناوله لحياة بعض شعراء هذا القرن الذين اتسمت أشعارهم بالغزل والإباحة أمثال أبي نواس[1] وبشار[2] وغيرهم والذين ادعى الدكتور أنهم يمثلون عصرهم أصدق تمثيل وأعمقه.

ولقد رد كثير من العلماء والكتاب على الدكتور هذا الادعاء وقالوا له: [إنه قلد الأصفهاني[3] الذي لم يرسم للعصر العباسي إلا لوحة خلق معدنها من الكذب والتمويه وصبغت مباديها من الضلال والبهتان، والذي كانت شهوة الاطلاع في نفسه لاكتشاف الجوانب السيئة في حياة الشعراء والكتاب والتي خلقت في كتابه جوًا من المجون.

وقالوا: إن الدكتور يستقي أراءه في العصر العباسي من شيئين، **الأول**: كتاب الأغاني، **الثاني**: شعر الماجنين من الشعراء، أما الأغاني فيحدثنا صاحبه في المقدمة بأنه قصد في كتابه اللهو والتسلية قبل أن يقصد العلم والتاريخ، أما شعر الماجنين وحياتهم فلا ينهضان دليلاً على فساد عقيدة العصر العباسي وأخلاقه وقالوا له: إنك أخذت العصر بجريرة هؤلاء وحكمت بأن العصر عصر شك ومجون وأن تصبح طائفة

---

(١) أبو نواس: الحسن بن هانيء الحكمي أحد فحول شعراء العرب، ولد بالأهواز عام ١٣٠هـ أو ١٤٥هـ، غلب على شعره الخمريات والغزل وتحول إلى الزهد آخر حياته واختلف في ذكر وفاته كما اختلف في مولده على أقوال منها ١٩٠هـ، ١٩٥هـ وغيرها. (دائرة المعارف الإسلامية ٤١٣/١).

(٢) بشار بن برد: شاعر من شعراء العصر العباسي الأول عاش في البصرة وبغداد وهو من أصل فارسي. كان به جنوح إلى المجون والفكاهة قتل سنة ١٦٧هـ.. (دائرة المعارف الإسلامية ٦٤٨/٣).

(٣) الأصفهاني: علي بن الحسين بن محمد بن أحمد القرشي الأصفهاني مؤرخ عربي من نسل الأمويين ولد في أصفهان عام ٢٨٤هـ، أهم مصنفاته: كتاب الأغاني وتوفي سنة ٣٥٦هـ. (دائرة المعارف الإسلامية ٣٨٨/١).



# المبحث الخامس

## طه حسين وموقفه من الخلافة الراشدة

**تمهيد:**

من القضايا الأساسية التي برزت في تأريخ الدكتور طه حسين لحياة الخلفاء الراشدين قضية الحكم في الإسلام... بل أكاد أقطع بأن هذه القضية كانت الباعث الذي من أجله كتب الدكتور هذه المباحث والتي من خلالها استطاع أن يذكر ما استقر بخاطره تجاه هذا الموضوع الهام.

### توصيف نظام الحكم في العهد الأول لدعوة الإسلام:

عقد الدكتور طه حسين في كتابه الفتنة الكبرى ـ عثمان ـ فصلاً تحت عنوان: «نظام الحكم الإسلامي نظامًا عربيًا مبتكرًا» وكان هذا العنوان هو النتيجة التي انتهى إليها الدكتور في توصيفه لنظام الحكم في عهد رسول الله ﷺ وعهود الخلفاء من بعده.

استعرض الدكتور صور الحكم المختلفة وأشكالها وحاول المطابقة أو المقارنة بينها وبين نظام الإسلام ـ حسبما رآه وفهمه ـ

شيء آخر أهم من هذا كله وهو الاتصال بالنبي أيام حياته والإذعان لما كان يأمر به وينهى عنه في غير تردد ولا شيء يشبه التردد، والإبلاء بعد ذلك في سبيل الله في أوقات السلم والحرب جميعًا][1].

وهذا الرأي الذي انتهى إليه الدكتور لا يسلم له به ففيه من الأغاليط الظاهرة قدر غير قليل [فالدكتور حين وصف هذا النظام بأنه «عربي» سواء ـ أكان خالصًا أو غير خالص ـ قد يتضمن هذا الوصف الإشارة إلى معنى من معاني العنصرية، التي جاء الإسلام ليناهضها، والإسلام لا ينبغي أن ينظر إليه... إن أردنا الدقة العلمية إلا على أنه دين «إنساني عالمي»، ومن الناحية التاريخية كان النظام الإسلامي جديدًا، فلم يكن العرب يعرفون قبله إلا النظام الملكي أو القبلي، أو عدم النظام؛ أي: الفوضوية. فكيف؛ ولماذا ينعته إذن بأنه «كان عربيًا خالصًا» أو يقال: إن العرب «لم يسبقوا إليه، إلى غير ذلك».

ثم إن المؤلف ـ بعد البحث الطويل ـ لم يؤد بنا إلى نتيجة إيجابية فهو قد عرف النظام المقصود تعريفًا سلبيًا عن طريق النفي المتتابع، فجزم بأنه يخالف الثيوقراطية[2] والديمقراطية[3] وغيرهما، ولكنه حين جاء ليصف لنا طبيعة هذا النظام اكتفى بقوله: «بأنه لم يسبق إليه العرب ثم لم يقلدوا فيه بعد ذلك» ـ وهو ـ وإن كان قد ذكر

---

(١) طه حسين: الفتنة الكبرى ـ عثمان ـ المجموعة الكاملة ٢٢٧/٤، ٢٢٨ بتصرف.

(٢) الثيوقراطي: نظام يدعي فيه الحاكم أنه يحكم من قبل الله. راجع: النظريات السياسية والإسلامية، ص٣٦٦.

(٣) الديمقراطية: كلمة مشتقة من لفظتين يونانيتين Demos (الشعب) KRatos (سلطة) ومعناها الحكم الذي تكون فيه السلطة للشعب. (راجع: مذاهب فكرية معاصرة، ص١٧٨).

القهر والتسلط ولم يكن موافقًا لإرادة الأمة ومحققًا لمصلحتها، وفي أسلوب ملتوي عرّض الدكتور بنظام الشورى في الإسلام فأظهره في صورة أدنى من الديمقراطية الغربية إذ رد الشورى في جميع أحوالها إلى الحاكم ورغباته في الأخذ بمقتضى الشورى أو مخالفته، ولم يوضح الدكتور مجالات الشورى وفيما تكون. ثم إن نظام الشورى في الإسلام يفوق نظام الديمقراطية الغربية ويتميز عليه في أمور كثيرة[١].

[وإلى جانب ما تقدم، نلاحظ أيضًا أن المؤلف بعد أن قرر أنه لمح أو كاد يلمح، مشابهة قريبة أو بعيدة بين نظام الدولة الإسلامية والجمهورية، عاد فنفى وجود صلة بين النظامين، معللاً ذلك بأنه «لم يعرف في نظم الجمهورية نظامًا يتيح للرئيس المنتخب أن يبقى إلى الموت»! ونحن بدورنا نريد أن نسأل: إلى أي أساس استند في دعواه هذه أن الإسلام قرر أن يبقى الرئيس المختار إلى الموت؟ إننا لا نعرف أبدًا أن أحدًا من فقهاء الإسلام الدستوريين قد قال شيئًا من ذلك. . . وإنما الذي نعرفه ونحن به واثقون أنهم قالوا: إن الإمام يبقي ما بقى صالحًا؛ ثم إذا تغير يجب أن يزال ويبايع غيره. وهذا شيء غير التحديد الزمني. على أننا نقول أيضًا: إنه ما دام علماء الإسلام قد قرروا أن الإمامة أو الدولة تقام بمقتضى «عقد» وقرروا حرية التعاقد، فقياسًا على ما ساقوا من حديث بالنسبة لعقود أخرى، يكون من حق طرفي العقد أن يضيفا من الشروط ما يريانه ملائمًا. ما دامت الشروط لا تتنافى مع طبيعة العقد، وما دامت تحقق المصلحة العامة، وبناءً على ذلك، لا يكون هناك أي مانع من أن تشترط الأمة ـ إذا أرادت ـ

---

(١) راجع: عدنان علي رضا النحوي: الشورى لا الديمقراطية ـ بدون ن، ط١، ١٤٠٥، ص٢١ ـ ٥٣.

ونظامه السياسي، وإما الحقد الموروث الذي يحمل على الكيد للإسلام وأهله.

### الإسلام والمسيحية سواء في قضية الحكم:

«الإسلام رسالة روحية لا شأن لها بالحكم والسياسة»، و«الإسلام والمسيحية سواء في قضية الحكم» مقالتان بمعنى واحد وكل منهما تدل على الأخرى، لكن الدكتور آثر المقالة الأخيرة لما كانت أهدأ وقعًا على الآذان والأسماع، وأخف من المقالة الأولى التي تعتمد المباشرة والوضوح وعدم المواربة.

آثر الدكتور هذا العنوان ليثبت أن الإسلام لم يعن بالسياسة وتوجيهها، أو إقامتها وإنشائها، وإنما الإسلام جاء ليظهر بعض القيم العليا المثالية التي يتحدث بها في المساجد والزوايا وفي جلسات الوعظ دون أن تظهر تلك المثل في واقع الحياة، فهي مآثر يتغنى بها ويتفاخر ويشاد بها في تهذيب السلوك وتجميل الروح، أما واقع الحياة فلا شأن له بهذه القيم أو الأخلاق. فقوامه على الكذب والحيلة والمكر والخديعة، وبين هذه الرذائل وبين قيم الإسلام ومثله بعد ما بين السماء والأرض. استخدم الدكتور أسلوبه البياني الذي صبه في قالب اللف والدوران ليثبت ما عرضت آنفًا ـ أن الإسلام نظام روحي لا شأن له بالسياسة ـ يقول الدكتور:

[والذين يظنون أن نظام الحكم في هذا الصدر من حياة المسلمين كان إلهيًا يُخذعون عن رأيهم هذا بما يجدون في أحاديث الخلفاء وخطبهم، وفي أحاديث الناس عنهم وإليهم من ذكر الله وأمره وسلطانه وطاعته، يحسبون أن هذا كله يدل على أن نظام الحكم منزل من

تعلم أن الرسالة غير الملك، وأنه ليس بينهما شيء من التلازم بوجه من الوجوه وأن الرسالة مقام والملك مقام آخر، فكم من ملك ليس نبيًا ولا رسولاً، وكم لله جل شأنه من رسل لم يكونوا ملوكًا. بل إن أكثر من عرفنا إنما كانوا رسلاً فحسب.

ولقد كان عيسى ابن مريم عليه السلام رسول الدعوة المسيحية، وزعيم المسيحيين، وكان مع هذا يدعو إلى الإذعان لقيصر، ويؤمن بسلطانه. وهو الذي أرسل بين أتباعه تلك الكلمة البالغة «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله»][1].

وهذا الكلام ذاته هو الخط الذي يتبناه الاتجاه العلماني ويدعو إليه يقول فرج فودة[2] في هذا المحور بعد أن صال وجال وأرغى وأزبد موضحًا ضرورة فصل الدين عن السياسة، قال ملخصًا حديثه:

«دع عنك إذن حديث الساسة عن الدين والدولة وسلم معهم بالدين، أما الدولة فأمر فيه نظر، وحديث له خبيء، وقصد وراءه طمع وقول ظاهره الرحمة وباطنه العذاب»[3].

وهذه الأقوال جميعًا قائمة على المغالطة وتحريف الكلم عن مواضعه فكل عارف بالإسلام وهديه يدرك أن الإسلام يمتاز بأنه دين

(١) الشيخ علي عبد الرزاق: الإسلام وأصول الحكم ـ سلسلة كتاب التنوير ـ الهيئة المصرية للكتاب، ط١٩٩٣، ص٤٩.

(٢) فرج فودة: أحد دعاة العلمانية في مصر، من مواليد الزرقا ـ دمياط حاصل على دكتوراه الفلسفة في الاقتصاد الزراعي، عمل بالاستثمار، والكتابة الصحفية وألف بعض الكتب في مهاجمة الفكر الإسلامي اغتيل قبل عدة سنوات قلائل من نهاية القرن الماضي.

(٣) د. فرج علي فودة ـ قبل السقوط ـ بدون ن ـ بدون ت، ص١٩.

## الحكومات المتحضرة في نظر الدكتور طه حسين:

لكي يثبت الدكتور فكرته السابقة والتي زعم فيها أن الإسلام والمسيحية سواء في أمور الحكم والسياسة؛ أو بمعنى آخر أن الإسلام رسالة روحية لا شأن لا بأمور الدولة، عمد في أسلوب صريح مباشر إلى بيان الأسس التي تقوم عليها الحكومات المتحضرة فكان من ذلك قوله:

«إنما تقوم الحكومة الحديثة في أقطار الأرض المتحضرة الآن على أساس سياسي خالص من المنفعة الاقتصادية والمدنية لا أكثر ولا أقل. وقد فرغ الناس من هذا وأصبحوا لا يفكرون في أن الحكومة تقوم على الدين أو لا تقوم عليه. فإن فكروا في صلة بين الدين والحكومة ـ وهذا قليل نادر ـ فإنما يفكرون في طبيعة الموقف الذي يجب أن تقفه الحكومة الحرة الصالحة من دين الكثرة والقلة أتعترف بهذه الديانات أم تنكرها أو تجهلها في غير اعتراف ولا إنكار»[١].

ومن هنا رأى الدكتور أن في الدستور المصري خطأ عظيم حين نص في صراحة أن دين الدولة هو الإسلام، لأنه يرى أن هذا النص مصدر فرقة لا بين المسلمين وغيرهم وإنما بين المسلمين وبعضهم؛ ففريق المستنيرين الذي ينتمي الدكتور إليه (فهم النص على أنه إرضاء لعاطفة السواد وطمأنة للشيوخ فهو لا يضر، وأكبر الظن أنه قد يفيد)[٢] يعني أن هذا النص بمثابة مسكن تخدع به مشاعر الناس وحقيقته أنه في الواقع ديكور لا غناء فيه ويفهمونه كذلك (أنه لا يزيد على تقرير الواقع

---

(١) طه حسين: من بعيد، المجموعة الكاملة ١٧٢/١٢.

(٢) المرجع السابق ١٧٤/١٢.

بقوله: «ولكن الشيوخ فهموا هذا النص فهمًا آخر، أو قل: إنهم فهموه كما فهمه غيرهم، ولكنهم تكلفوا أن يظهروا أنهم يفهمونه فهمًا آخر، واتخذوه تكأة وتعلة يعتمدون عليها في تحقيق ضروب من المطامع والأغراض السياسية وغير السياسية وفهموا أن الإسلام دين الدولة، أي: أن الدولة يجب أن تكون دولة إسلامية بالمعنى القديم حقًا»[(١)].

**الخلافة الإسلامية تجربة فاشلة:**

نتيجة انتهى إليها الدكتور طه حسين حين أرخ للخلفاء الراشدين ولا أستبعد أن تكون هذه النتيجة الهدف الأساسي الذي من أجله أرخ الدكتور لتلك الفترة.

يقول الدكتور: «أكاد أعتقد أن الخلافة الإسلامية، كما فهمها أبو بكر وعمر، إنما كانت تجربة جريئة توشك أن تكون مغامرة، ولكنها لم تنته إلى غايتها، ولم يكن من الممكن أن تنتهي إلى غايتها، لأنها أجريت في غير العصر الذي كان يمكن أن تجري فيه، سبق بها هذا العصر سبقًا عظيمًا»[(٢)].

فخلافة أبي بكر وعمر اللتان أشاد الدكتور بهما في أكثر من موضع هما في نظره ضرب من المغامرة، ولم تؤديا الغرض الذي قامتا من أجله، ولذلك يتابع الدكتور كلامه قائلاً:

«سلكت الإنسانية في سبيل الحكم الصالح كل الطرق، وجربت كل النظم، فلم تنته إلى غاية، وما زالت تشكو الظلم والجور، وتضيق

---

(١) المرجع السابق ١٢/١٧٤ ـ ١٧٥.

(٢) طه حسين: الفتنة الكبرى ـ عثمان ـ المجموعة الكاملة ٤/٢٠٠.

## المستشرقون يرددون الدعوى نفسها:

ردد المستشرقون الدعوى القائلة بأن الإسلام فشل كنظام للحكم ولم يتحقق كواقع مشاهد يطابق الواقع النظري في أي فترة من فترات التاريخ، وكأن الهدف من إثارة هذا الكلام الإيحاء بأن المبادئ الإسلامية غير قابلة للتطبيق لأنها مثالية.

وبهذا يشترك الدكتور طه حسين مع نفر من المستشرقين في هذه النتيجة وإن اختلفوا في توصيف نظاما الحكم في الإسلام، فبينما يراه كثير من المستشرقين **نظامًا ثيوقراطيًا** يحكم بنظرية الحق الإلهي، يراه **الدكتور نظامًا عربيًا تأثر** بالإسلام قليلاً أو كثيرًا إلا أنهم اتفقوا في الحكم على تجربة الحكم الإسلامي في حياة المسلمين فرآها الدكتور تجربة فاشلة لم تنته إلى شيء ورآها المستشرقون كذلك.

**يقول جوستاف جرونيباوم عن تقييمه لنظام الخلافة:**

[لم يكن التناقض بين الأحلام المثالية للمشرعين واقع الحياة أصرح ولا أجرح لشعور المجتمع في أي وضع منه في محيط التنظيم السياسي، فليس بين مظاهر الحضارة الإسلامية مظهر أصرح دلالة على فشل المسلمين المستتر وراء أبراد الأبهة والجلال من إخفاقهم في إقامة التوازن بين الآمال والأعمال، إذ عجزوا عن القيام في قدر معقول من الكفاية بوضع دستور بالمبادىء التي أنزلها الوحي في شأن الدولة والتي اشتد تلهف المشرعين إليها وتعقبوها تعقبًا لا يمت إلى الواقع بأدنى سبب. ولكن الأمر تناهى إلى أن صارت شقة الخلف بين الواقعي والمثالي شيئًا مضحكًا وغير مطاق ويوجب إطراح المثالي دون الاحتفاظ بشيء إلا بقية يسيرة يتعلل بها ضمير المجتمع الذي ظل على رأيه بأنه



# المبحث السادس

## رأي طه حسين في الفتوحات الإسلامية

**تمهيد:**

من الأمور المهمة التي طالما شغلت الكثير من الباحثين موضوع الفتوحات الإسلامية، وهو الموضوع الذي استغله المتسشرقون على وجه الخصوص لإثارة الدعايات الكاذبة على الإسلام والنيل منه ومن تاريخه المشرق، فتارة يرمون حركة الفتوحات بأنها كانت حركة دينية لفرض عقيدة الإسلام بالسيف! وتارة يقولون: إن الدافع المادي والاقتصادي هو الذي حرك المسلمين لغزو العالم من حولهم لنهب خيراته وسلب ثرواته!!، وزعم ثالث بأنها كانت دفاعًا عن قومية العرب وتحرير سلطانهم من الفرس والروم!!، وآخرين يزعمون أن ضعف فارس والروم إبان نشأة الخلافة الإسلامية أغرى المسلمين أن يغزوا تلك البلاد وينالوا من ثرواتها، وهذه الشبهات انطلت على كثير من الباحثين من العرب والمسلمين فراح بعضهم يرددها بوعي أو مجرد عنه، ويتحدثون عن ذلك بالألفاظ الصريحة أو بالتعريض والإشارات الخفية... ولما كان للدكتور طه حسين نصيب من ذلك آثرت أن

ونتيجة لهذا الخلط يعرف ماكدونالد[1] الجهاد بأنه «نشر الإسلام بالسيف»[2] ويقول معقبًا: «وهو فرض كفاية على المسلمين، وكاد الجهاد أن يكون ركنًا سادسًا من أركان الدين أو فرض عين»[3].

ولأن هذا الكلام منافي للصواب ومجافي للحقيقة فإني أعقبه بإيراد كلمات لنفر من المستشرقين أيضًا يردون على إخوانهم في ذهابهم هذا المذهب.

يقول توماس كارليل[4] في كتابه الأبطال وهو يتحدث عن رسول الله ﷺ: «اتهامه بالتعويل على السيف في حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم، إذ ليس مما يجوز في الفهم أن يشهر رجل سيفه ليقتل به الناس أو يستجيبوا لدعوته، فإذا آمن به من يقدرون على حرب خصومهم فقد آمنوا به طائعين مصدقين وتعرضوا للحرب من أعدائهم قبل أن يقدروا عليها»[5].

ويقول غوستاف لوبون[6] في المعنى نفسه: «لم ينشر القرآن بالسيف بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحده اعتنقته الشعوب التي قهرت العرب مؤخرًا كالترك والمغول وبلغ القرآن من الانتشار في الهند

---

(١) سبق ترجمته، ص٣٥٧.

(٢)(٣) دائرة المعارف الإسلامية ١٨٨/٧.

(٤) توماس كارليل (١٧٩٥ ـ ١٨٨١) من آثاره: الأبطال (١٨٤٠) وقد عقد فيه فصلًا رائعًا عن النبي ﷺ نقله إلى العربية علي أدهم العقيلي. المستشرقون ٥٣/٢.

(٥) نقلًا عن: عباس محمود العقاد: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، الهيئة العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ١٩٩٩م، ص١٦٦.
ولقد راجعت الأبطال لكارليل بترجمة محمد السباعي فوجدت العبارات مقاربة لما نقل الأستاذ العقاد ولعله رجع إلى ترجمة الأستاذ علي أدهم.

(٦) سبق ترجمته، ص١٩٩.

وإنما كان يكتفي بإشارات تدل على ما في قلبه وعقله، ولم يذكر هذه الإشارات مرة أو بعض مرة إنما أكثر من ترديدها لا سيما وهو يعالج تاريخ الخلفاء الراشدين.

ففي مقدمة كتاب «الشيخان» وهو يمهد للحديث عن أحداث الردة يعرِّض أن النبي ﷺ أكره العرب على الإسلام في حياته ولذا لا لوم عليهم ولا عتب إذا خلعوا رداء الإسلام عقب وفاته ﷺ، يقول وهو يتحدث عن العرب وسلطان الإسلام: [. . . ورأوا هذا السلطان يعلن الحرب على كل عربي في الجزيرة يستمسك بشركه ولا يذعن لهذا الدين الجديد، ورأوه يحول بين المشركين وبين المسجد الحرام بمكة ويعلن إليهم قول الله عز وجل في سورة براءة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾[1]، ورأوا لهذا السلطان من القوة والبطش، ورأوا فيه من السعة والإسماح ما رهبهم ورغبهم، فأعلنوا إذعانهم لهذا الدين الجديد طائعين أو كارهين][2].

والدكتور يصر على ترديد هاتين الكلمتين ليلبس على القارئ ويفهمه أن للإكراه دور في اعتناق كثير من العرب للإسلام، لقد ردد نفس المعاني حين أرخ لتاريخ الإسلام على عجل في «مرآة الإسلام» فلما وصل إلى فتح مكة وصفه بقوله: [وأسلمت قريش، منهم من أسلم طائعًا، ومنهم من أسلم لأنه لم يجد من الإسلام بدًا!!][3].

ثم يقول: [عاد الإسلام إلى مكة واستقر فيها ظافرًا منصورًا ودخلت فيه قريش طوعًا أو كرهًا. . .][4].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٨.

(٢) طه حسين: الشيخان، ص١١، ١٢.

(٣) (٤) طه حسين: مرآة الإسلام، ص١١٨، ١١٩.

## ثانيًا: الفتوحات والعامل الاقتصادي:

رأى بعض المستشرقين أن الفتوحات الإسلامية إنما كان باعثها الحصول على الغنائم والأموال واستبدالهم أرضهم الصحراوية الشاقة بأرض زراعية معتدلة المناخ غنية بثرواتها.

[وقد استدلوا على آرائهم بنصوص من أقوال المؤرخين المسلمين تخيروها من بين النصوص الكثيرة التي تؤكد عكس ما يستنتجون، وهي نصوص قيلت في عبارات حماسية أدلى بها بعض القادة... أو ترغيبية من أجل جمع القوات الإسلامية.... أو استفزازية كانت ردًا على عدو قائم أو حاكم][1].

يقول ول ديورانت[2] عن وصف العربي: ـ [وكان يدفع ملل الحياة الرتيبة وسآمتها بالحب والحرب وكان يسرع كما يسرع الإسباني ـ الذي ورث عنه سرعة غضبه ـ إلى الانتقام لما عساه أن يوجه إليه أو إلى قبيلته من إهانة وأذى، وكان يقضي جزءًا كبيرًا من حياته في الحرب التي تستعر نارها بين القبائل المختلفة، ولما أن فتح بلاد الشام وفارس ومصر وإسبانيا، لم يكن عمله هذا إلا توسعًا منه في غارات النهب، التي كان يشنها في أيام الجاهلية وإن اختلف الغرض في هذه عن تلك][3].

---

(١) د. جميل عبدالله المصري: الفتوحات بين دوافعها الإسلامية ودعاوى المستشرقين ٢٧١ مجلة المنهل عدد ٤٧١، ص٧٦، ٧٧.

(٢) ول ديوارنت: (١٨٨٥ ـ ١٩٨١) مؤلف أمريكي ـ صاحب قصة الحضارة ـ المورد، ص٢٧.

(٣) قصة الحضارة ١٢/٢ نقلاً عن. أ. ناصر محمد السيد: دوافع الاستشراق وموازين البحث عند المستشرقين بين الماضي والحاضر، رسالة ماجستير بقسم الأديان والمذاهب بكلية الدعوة، ص٢٧٠.

في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: **«من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»**[1].

ولذا كان المسلمون يدخلون المعركة وكلهم إخلاص لله، وحب الشهادة لديهم يفوق حبهم للسلام والعافية.

فعن أبي هريرة ؓ قال: انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ: **«قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض»** قال عمير بن الحمام: بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ: **«ما يحملك على قولك: بخ بخ؟»** قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها قال: **«فإنك من أهلها»** قال: فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: **«لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي إنها لحياة طويلة،** فرمى ما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل» رواه مسلم[2].

ومما يؤيد ما ذكرناه عن حال الصحابة ما رواه شداد بن الهاد ؓ: أن رجلاً من الأعراب جاء فآمن بالنبي ﷺ ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه، فكانت غزاة غنم فيها النبي ﷺ شيئًا فقسم وقسم له فقال: ما هذا؟ فقال: **«قسمته لك»**، فقال: ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أرمى إلى ههنا ـ وأشار بيده إلى حلقه ـ بسهم فأموت فأدخل الجنة قال: **«إن تصدق الله**

---

(١) الحديث متفق عليه [البخاري (٢٨١٠) ـ مسلم (١٩٠٤)] راجع: الإمام النووي رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ـ تحقيق: علي عبد الحميد أبو الخير ـ مكتبة الكوثر ـ الرياض، ط١ سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص١١.

(٢) انظر: المنذري: الترغيب والترهيب ـ كتاب الجهاد فصل الترغيب في الغزو في سبيل الله، ٢٦، ١٧٦/٢ ـ ١٧٨، بدون ط، بدون ت.

الأرض حتى انتزعوا منه الإذن في ذلك انتزاعًا...][1].

يذكر ذلك على أنه حقيقة واقعة وأنه يقرر حال المسلمين ويجعل هذه الرغبة نتيجة لأمور سبقتها من تحفيز عمر للمسلمين في أول خلافته على الغزو ووعده لهم بالمال والعطاء الكثير فيذكر قوله: [وكان العرب يكرهون لقاء الفرس ويؤثرون الجهاد في الشام ولكن عمر يأبى عليهم إلا العراق وربما رغب بعضهم بالمال بعد الفتح...][2].

ولا يذكر الدكتور القرشيين الذين أسلموا بأخرة ـ على حد تعبيره ـ إلا شكك في إسلامهم ثم شكك في حياتهم وجهادهم وأذكر هنا مقالة واحدة من تلك المقالات التي طالما نال منهم فيها يقول: [هؤلاء الشيوخ والفتيان الذين لم يسلموا عن رغبة ولا رضا وإنما أسلموا إما طمعًا حين تبينوا أن كفة الإسلام راجحة، وإما قهرًا حين دُخلت عليهم مكة من أقطارها، وأولئك وهؤلاء لم ينظروا إلى الإسلام على أنه دين يتصل بالقلوب والضمائر، وترعى فيه حرمات الله وحقوقه، وإنما نظروا إليه على أنه صفقة خطيرة من تلك الصفقات التي كانوا يباشرونها، ومغامرة جريئة من تلك المغامرات التي كانوا يغامرونها داخل بلاد العرب وخارجها، وقد ذكروا حين أسلموا أو حين هموا بالإسلام أن النبي قد وعد قريشًا حين دعاها إلى الدين الجديد ملك الدنيا وثواب الآخرة ودفعهم هذا التفكير إلى أن يسلموا ثم إلى أن يحتملوا من أثقال الجهاد والفتح ما احتمل غيرهم من الناس أو أكثر مما احتمل غيرهم من الناس.

(١) طه حسين: الشيخان، ص١٥٧، ١٥٨.

(٢) المرجع السابق، ص١٤٩.

نيل مرضاة عمر!! وأنهم كشأن أرباب الدنيا يتنابزون بالألقاب! ولا أدري من أي مرجع استقى الدكتور قصة خالد مع عكرمة فهو كما عودنا في بحثه العلمي لا يذكر مراجع لما يكتب اللَّهم إلا بعض المراجع يذكرها في نهاية كتابه أو في بعض نهايات من كتبه.

وأختم هذا المبحث بكلمة لمستشرق فرنسي ـ من الطائفة الذين يعجب الدكتور بطريقتهم في البحث ـ يتحدث فيها عن الفتوحات الإسلامية فيقول: [إن القوة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن، فقد ترك العرب المغلوبين أحرارًا في أديانهم، فإذا حدث أن اعتنق بعض الأقوام النصرانية الإسلام، واتخذوا العربية لغة لهم فذلك لما رأوا من عدل العرب الغالبين ما لم يروا مثله من سادتهم السابقين ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم يعرفوها من قبل][(١)].

وساق الرجل بحثًا رائعًا عن طبيعة الفتوح العربية واصفًا ما كان عليه الفاتحون من تقوى وإخلاص ومراعاة للحقوق وصيانتهم للحرمات[(٢)].

فلم يكن هدف الفتوحات إكراه الناس على الإسلام ولا سلب أموالهم ونهب ثرواتهم إنما كان الدافع والمحرك نشر هداية الله في العالمين وإزالة الطواغيت والعقبات التي تحول بين الناس وبين أن تصلهم دعوة الإسلام.



---

(١) غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص١٢٧، ١٢٨.

(٢) المرجع السابق: من ١٣١ ـ ١٤٧.

والقرامطة إبان الخلافة العباسية حركات تقدمية تمثل العدل الاجتماعي في الإسلام وأنها حركات قامت تنشد العدل والخير في مواجهة بغي الحكام وظلمهم وممن ذهب إلى ذلك موير في كتابه الخلافة كما نقل عنه حسن إبراهيم حسن في كتابه تاريخ الإسلام السياسي (٣/ ٢١٠).

وكذلك رأى لويس ماسينيون[1] الرأي نفسه في حركة الزنج إذ يقول عنهم: [أدرك هؤلاء التعساء بوحي من احتكاكهم بأسيادهم المسلمين أن لهم حقًا في أن يعيشوا وأن ينالوا ولو قسطًا ضئيلاً من العدل والإنصاف... وقد وجد هؤلاء التعساء زعيمًا صمم على أن يضع حدًا لتعاستهم وكان هذا الزعيم رجلاً علويًا من مدعي الخلافة وفي نسبته إلى علي موضع جدل.... وكان يعاونه في ذلك شخص يدعى رشيدًا القرماطي ـ ولعله يتصل بدعوة القرامطة التي كانت في ذلك الوقت قد ظهرت وشيكًا ـ طحان وبائع شراب، وكان عبيده الأباق يؤدون له الطاعة بالحلف بالطلاق على الطريقة القرمطية... ورفع علي بن محمد راية العصيان في السابع من رمضان سنة ٢٢٥هـ

= تدعو إلى الشيوعية في المال والجنس أحدثت قلاقل كثيرة إبان الخلافة العباسية حتى أنهم نزلوا مكة عام ٣١٧هـ يوم التروية وقتلوا الحجاج في المسجد الحرام واقتلعوا الحجر الأسود الذي بقي بحوزتهم حتى عام ٣٣٥هـ، استمرت دولة القرامطة في الإحساء حتى عام ٤٦٦هـ حيث قضى عليها عبدالله بن علي من بني عبد القيس وكان القضاء عليهم عسكريًا أما أفكارهم وعقائدهم فقد خالطت طائفة الإسماعيلية والنصيرية وغيرها من الفرق الباطنية.

راجع: عبدالله محمد الغريب ـ وجاء دور المجوس ـ طبعه سنة ١٩٨٣، ص٦٩ ـ ٧٢.

د. محمد عبدالله عنان ـ دولة إسلامية شيوعية في القرن الرابع الهجري ـ مجلة الكاتب المصري ١/ ٢٢٢ ـ ٢٢٧.

(١) سبق ترجمته، ص١١٥.

### رأي الدكتور طه حسين في حركتي الزنج والقرامطة:

يرى الدكتور طه حسين في أمر الزنج والقرامطة ما رآه المستشرقون في أمرهما لقد ذكر الدكتور خلاصة رأيه في أمر الفئتين في نهاية مقال كتبه بمجلة الكاتب المصري بعنوان: «ثورتان»[١] جاء فيه: «كانت البصرة ضحية ثورة الزنج ثم صارت الكوفة ضحية ثورة القرامطة، ألم يكن هناك سبب بين هاتين الثورتين؟ بلى قد كان هناك سبب أي سبب، طابعهما واحد هو الخروج على النظام السياسي والاجتماعي والانتساب إلى آل علي، وغايتهما واحدة هي تحقيق العدل في الأرض بعد أن أفسدها الظلم والجور»[٢]، وكلف الدكتور نفسه في مقاله المشار إليه عناء الدفاع عن صاحب ثورة الزنج واتهم المؤرخين القدامى بالتزيد على الرجل بالروايات غضًا منه وتشهيرًا به لا لشيء إلا لأنه لم يكتب له النجاح وتساءل عما لو كتب لصاحب هذه الثورة النصر والنجاح بماذا كان المؤرخون يصفونه حينئذٍ[٣].

ولم يكتف الدكتور طه في دفاعه عن الزنج والقرامطة بهذا المقال الطويل[٤] إنما أشاد بهم بالأوصاف نفسها حين أراد أن يكتب كتابًا خاصًا عن الإسلام فقال في «مرآة الإسلام» واصفًا حركة الزنج ومطالبها بأنها كانت «مطالبة بالحقوق الاجتماعية وجهادًا في تحقيق العدل وشيء من المساواة»[٥] وواصفًا ثورة القرامطة بأنها ثورة «دعت إلى شيء من العدل والمساواة»[٦] ولعل الدكتور في وصفه لهاتين الثورتين في هذا

---

(١) نظم المؤلف هذه المقال بعد ذلك في كتابه ألوان الذي صدر عام ١٩٥٢م.

(٢) طه حسين: ثورتان، مجلة الكاتب المصري ٥٥٣/٢.

(٣) المرجع السابق ٥٧٣/٢.

(٤) كتب هذا المقال ونشر بالكاتب المصري في مايو سنة ١٩٤٦.

(٥) (٦) طه حسين: مرآة الإسلام، المجموعة الكاملة ٣٥١/٧، ٣٥٢.

الفاطميين، فلم تكن ثورة اجتماعية كما يزعم المستشرقون ومن تابعهم إنما كانت مؤامرة سياسية أذكى نارها التشيع ومؤازرة الفكر الباطني.

**ثالثًا**: من خلال المطالعة الدقيقة لسيرة أتباع الثورتين بان أنهم دعاة إفساد وتدمير لا دعاة إصلاح وبناء!! فأي إصلاح في ترويع الآمنين وقتلهم ونهب الثروات وسرقتها وهتك الأعراض والاعتداء عليها وإشاعة المبادئ الشيوعية في المال والجنس مما ترفضه الفطر السليمة وتأباه الطباع المستقيمة.

**رابعًا**: (عجزت هذه الدعوة أن تحقق لمجتمعاتها أي قدر من العدل أو الخير وكانت نهايتها نهاية كل فرقة، وظل الإسلام بأصوله الكبرى وعقيدته الواضحة ومنهجه الحضاري هو الإسلام وبقيت روحه هي روحه في أركانه وملامحه ومجتمعه واتجاهاته العامة، ولم تفعل هذه الفرق إلا وضع العراقيل في طريق الركب السائر الجاد تحاول أن تصده وتريد أن تنحرف به)[(١)].

وعلى الرغم مما سطره التاريخ لهاتين الطائفتين من مآس ومظالم جاء من أمة الإسلام من يحاول الإعلاء من شأنهم ويدعو الأدباء والكتاب أن يتخذوا من تاريخ هاتين الطائفتين مادة لقصصهم ورواياتهم وكتاباتهم حتى يعرفوا الناس بهم، كما فعل الدكتور طه عندما تحدث عن ثورة الرقيق في إيطاليا في القرن الأول قبل المسيح وما أثارته لدى

---

= حتى الوقت الحاضر وحقيقتها تخالف العقائد الصحيحة وقد مالت إلى الغلو والتشدد لدرجة أن الشيعة الاثني عشرية يكفرون أعضاءها، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ٣٨٦/١.

(١) أنور الجندي: مقدمات العلوم والمناهج، التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة، ص٢٨٨.



# المبحث الثامن

## رأي طه حسين في قضية عبدالله بن سبأ

### عبدالله بن سبأ بين الحقيقة والخيال:

أمر عبدالله بن سبأ الملقب «بابن السوداء» ودوره في أحداث الفتنة الكبرى ما يزال موضع بحث وجدال بين العلماء فمنهم المصدق الموقن بوجوده وهم السواد الأعظم من العلماء من أهل السُّنَّة والجماعة ومن الشيعة على السواء بل رأى كثير من المستشرقين الرأي ذاته في أمر هذا الرجل فلم يشكوا ولم يرتابوا.

ومن العلماء من شك في أمر الرجل[1]، ومنهم من تذبذب بين الإنكار تارة والإقرار تارة أخرى[2].

ومنهم من غالى في هذه القضية فأنكر واشتد في النكير وكان من

---

(١) أمثال د. علي سامي النشار في: نشأة الفكر الفلسفي، ص٢٨، ود. محمد عمارة في: الخلافة ونشأة الأحزاب السياسية: نقلاً عن مجلة البيان، المنتدى الإسلامي لندن عدد ٣١ سنة ١٤١١هـ، ص٥١.

(٢) أمثال د. جواد علي، المرجع السابق.

الإله، فنفاه إلى المدائن، زعموا أنه كان يهوديًا فأسلم، وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون: وصي موسى ﷺ مثل ما قال في عليّ رضي الله عنه...)[1].

وتحدث عنه الإمام أبو حنيفة بقوله: «عبدالله بن سبأ كان يهوديًا فأسلم أيام عثمان، وهو الذي حمل أهل مصر على قتل عثمان وأظهر الميل إلى علي وكان خبيث الباطن»[2].

وذكره ابن عساكر[3] في تاريخه فقال: «لما بويع علي رضي الله عنه خطب الناس فقام إليه عبدالله بن سبأ فقال له: أنت دابة الأرض، فقال له: اتق الله، فقال له: أنت الملك، فقال له: اتق الله، فقال له: أنت خلقت الخلق وبسطت الرزق فأمر بقتله»[4].

ولئن ذهبنا نذكر الذين تحدثوا عن ابن سبأ من أهل السُّنَّة قديمًا وحديثًا لطال بنا المقام ولما وسعنا الجهد ولكن فيما ذكرناه غنية ودلالة على ما قصدنا إليه من أن أمر ابن سبأ مشهور ومعروف لدى سلف هذه الأمة من العلماء المحققين.

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق: أمير علي مهنا، علي حسن فاعور، دار المعرفة بيروت ٢٠٤/١، ط٥، سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

(٢) مسند الإمام الأعظم، ص١٥٨ نقلاً عن: د. محمد يوسف النجرامي: الشيعة في الميزان بدون ط، بدون ت، ص٤٣.

(٣) ابن عساكر: علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم ثقة الدين الشافعي ولد بدمشق سنة ٤٩٩هـ، ودرس ببغداد ثم بأمهات مدن فارس، أهم مصنفاته: تاريخ دمشق توفي سنة ٥٧١هـ، دائرة المعارف الإسلامية ٢٣٧/١.

(٤) تاريخ ابن عساكر ٤٣٠/٧ نقلاً عن الشيعة في الميزان، ص٤٤.

حدثت في عهد الأمير[1] رضي الله عنه بإغراء عبدالله بن سبأ اليهودي الصنعاني)[2].

(وبالنسبة للشيعة المعاصرين فأغلب ما كتبوه عن ابن سبأ إنما هو إنكار لوجوده، فهو عند بعضهم أقرب إلى الوهم منه إلى الوجود.

أمثال علي الوردي في كتابه وعاظ السلاطين ـ وعند البعض الآخر أقرب إلى الخيال والأسطورة منه إلى الواقع ـ أمثال كامل الشيبي في كتابه الصلة بين التصوف والتشيع)[3].

## عبدالله بن سبأ في كتابات المستشرقين:

لم يكتف المستشرقون في تناولهم لتاريخ الفرق الإسلامية بذكر عبدالله بن سبأ وإنما عنوا بتحليل أفكاره ودراسة حياته والدوافع التي كانت تحركه للجهر بما دعا إليه.

يكتب عنه وليم موير[4] ـ المعروف بعداوته للإسلام وأهله وكان محافظًا على ولاية شمال الهند أيام احتلال الإنجليز لها ـ فيقول ابن سبأ المعروف بابن السوداء: كان من سكان جنوب الجزيرة العربية وكان يهوديًا وأشهر إسلامه ولكن ظهرت الحقيقة بأنه كان يحمل الأفكار الثورية ضد الحكومة المعاصرة في ذلك الوقت. . . .»[5].

(١) يعني عليًا بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) شاه عبد العزيز الدهلوي، مختصر التحفة الاثني عشرية، تحقيق: محب الدين الخطيب، بدون ط، بدون ت، ص٦.

(٣) د. محمد آمحزون: ابن سبأ في كتابات المعاصرين، مجلة البيان، ص٥١، عدد ٣٤ سنة ١٤١١هـ.

(٤) سبق ترجمته، ص٢٨٠.

(٥) د. محمد يوسف النجرامي: الشيعة في الميزان، ص٤١.

من القدماء والمحدثين مصدرًا لما كان من الاختلاف على عثمان»[1] وبعد أن ذكر القصة علق بقوله: «ويخيل إليَّ أن الذين يكبرون من أمر ابن سبأ إلى هذا الحد يسرفون على أنفسهم وعلى التاريخ إسرافًا شديدًا وأول ما نلاحظه أنا لا نجد لابن سبأ ذكر في المصادر المهمة التي قصّت أمر الخلاف على عثمان فلم يذكره ابن سعد[2] حين قص ما كان من خلافة عثمان وانتقاض الناس عليه ولم يذكره البلاذري في أنساب الأشراف وهو فيما أرى أهم المصادر لهذه القصة وأكثرها تفصيلاً، وذكره الطبري[3] عن سيف بن عمر، وعنه أخذ المؤرخون الذين جاؤوا بعده فيما يظهر»[4].

وفي الحقيقة فإن كلام الدكتور يحتاج إلى كثير من التحقيق فلقد بدأ حديثه بقوله: «هذه قصة أكبر الرواة المتأخرون من شأنها» وهذا اللفظ فيه إيهام شديد (فإن الطبري الذي روى قصة ابن سبأ ليس من الرواة المتأخرين فقد ولد عام ٢٢٥هـ (٨٢٩م) ومات عام ٣١٠هـ فهو معاصر للبلاذري ومن طبقة تلاميذ ابن سعد صاحب الطبقات، وأن سيف بن عمر[5] الذي روى عنه الطبري هذا الخبر هو من كبار

(١) طه حسين: الفتنة الكبرى (١) عثمان ـ المجموعة الكاملة (الخلفاء الراشدون) المجلد الرابع، ص ٣٢٦.

(٢) ابن سعد: هو محمد بن سعد المتوفى ٢٣٠هـ نزيل بغداد، كاتب الواقدي، صاحب الطبقات، أحد الحفاظ الكبار. من مقدمة المحقق للطبقات الكبرى، طبعة دار الفكر بيروت سنة ١٤١٤هـ.

(٣) سبق ترجمته، ص٣٥٠.

(٤) المرجع السابق نفسه، ص٣٢٧.

(٥) سيف بن عمر: مؤرخ عربي، ألف كتابين هما: كتاب «الفتوح الكبير والردة» وكتاب «الجمل ومسير عائشة وعلي» ولم يصل إلينا هذين الكتابين، استفاد منه الطبري واعتمد عليه في التأريخ للغزوات ومرحلة الردة، دائرة المعارف الإسلامية ٦/١٣.

ياسر أو في ترجمة محمد بن أبي بكر أو أي رجل ممن اشترك في الأحداث)[1].

ثم إن إخراج الصهاينة للكتاب يلقي ظلالاً من الشك حوله فربما أعملوا فيه شيئًا من التحريف بالنقص أو الزيادة مما يخدم مصالحهم ويؤيد أفكارهم، ولم يكتف الدكتور بنفي القصة وتكذيبها إنما رمى خصوم الشيعة ـ يعني أهل السُنَّة ـ باختلاق القصة،وعلل هذا الكيد بأن أهل السُنَّة يحاولون أن يوجدوا صلة بين اليهود والشيعة يقول الدكتور يقرر هذه الأحكام: (إن أمر السبئية وصاحبهم ابن السوداء إنما كان متكلفًا منحولاً قد اخترع بأخرة حين كان الجدال بين الشيعة وغيرهم من الفرق الإسلامية، أراد خصوم الشيعة أن يدخلوا في أصول المذهب عنصرًا يهوديًا إمعانًا في الكيد لهم والنيل منهم)[2]، وما ذكره الدكتور يرده ما سبق ذكره من أن الشيعة المتقدمين ذكروا ابن سبأ في كتبهم ونصوا عليه، ويحاول الدكتور أن يذكر تبريرًا آخر لرده للقصة وهو تبرير قائم على الظن وإن عبر الدكتور. . . عنه بأسلوب اليقين فقال في تعقيبه على القصة: [ولست أدري أكان لابن سبأ خطر أيام عثمان أم لم يكن ولكني أقطع بأن خطره إن كان له خطر ليس ذا شأن وما كان المسلمون في عصر عثمان ليعبث بعقولهم وآرائهم وسلطانهم طارىء من أهل الكتاب، أسلم أيام عثمان، ولم يكد يسلم حتى انتدب لنشر الفتنة وإذاعة الكيد في جميع الأقطار][3] وهذا التبرير مبني على أنه [يكبر الصحابة بأن يستطيع مثل ابن سبأ أن يفعل ما فعل، فليس هذا

(١) أنور الجندي محاكمة فكر طه حسين، ص٢١٧، بتصرف.
(٢) طه حسين: الفتنة الكبرى (٢) ـ علي وبنوه ـ ص٥١٨.
(٣) طه حسين: الفتنة الكبرى (١) ـ عثمان ـ ص٣٢٧.

# الفصل السابع

## طه حسين والفقه الإسلامي

**ويحتوي على مبحثين:**

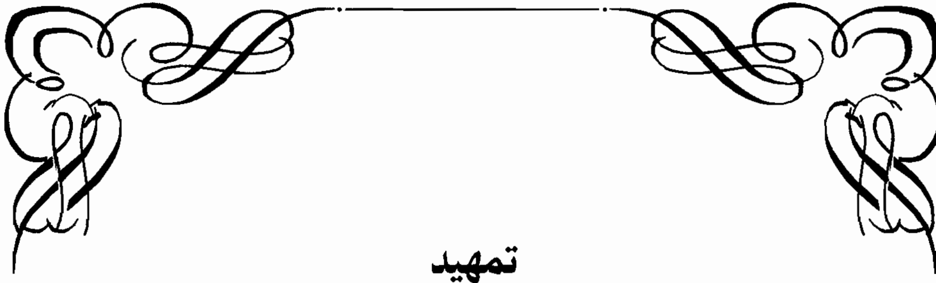
**المبحث الأول**: رأي طه حسين في دعوى تأثر الشريعة الإسلامية بالقانون الروماني.

**المبحث الثاني**: رأي طه في قضية الرجم للزاني المحصن.









# تمهيد

لم يشغل الدكتور طه حسين بقضايا الفقه الإسلامي نظرًا لاهتمامه العظيم بقضايا الأدب وتاريخه... ولكنه مع ذلك تحدث في قضيتين من قضايا الفقه تحتاج ممن يتحدث فيهما أن تكون له قدم راسخة في هذا المجال، وأن يكون اتصاله بكتب الفقه ومباحثه شديدًا؛ ومع ذلك تحدث الدكتور في هاتين القضيتين غير مبال لقلة بضاعته في بابها، مما أوصله إلى نتائج خالف فيها إجماع المسلمين، ووافق قوله مقال طائفة من المستشرقين.

أما القضية الأولى: فهي قضية الدعوى بأن الشريعة الإسلامية تأثرت بالقانون الروماني.

أما القضية الثانية: فهي قضية شرعية حكم الرجم بالنسبة للزاني المحصن.

وفي الصفحات التالية عرض لهاتين القضيتين.



فهذا القانون هو المصدر الذي أقام فقهاء المسلمين على أساس من قواعده الكيان القانوني للشريعة الإسلامية، [وفي ذلك يقول شيلدون آموسى: «إن الشرع المحمدي ليس إلا القانون الروماني للإمبراطورية الشرقية معدلاً وفق الأصول السياسية في الممتلكات العربية» ويقول: «إن القانون المحمدي ليس سوى قانون جوستنيان(1) في لباس عربي»...

أما الفريق الثاني فقد اعتدل في رأيه وقال بتأثر التشريع الإسلامي في بعض أحكامه بالقانون الروماني ونجد على رأس هذا الفريق غالبية الكتاب الفرنسيين والمستشرق الهولاندي دي بور(2)](3).

ولقد خفف بعض من المستشرقين من غلوائهم خاصة من كان منهم يرى أن الفقه الإسلامي مستمد من القانون الروماني فرجع بعضهم عن هذا الرأي بالكلية ومنهم من قال بالتأثر البسيط، ومن هؤلاء الذين جرت منهم هذه المراجعة الفكرية جولدزيهر فقد كتب في كتابه «العقيدة والشريعة في الإسلام»: [وليس غريبًا أن تكون التعاليم الفقهية والتفصيلات المستعملة قد تأثرت كذلك بثقافات أجنبية، كما أن المعارف الفقهية الإسلامية تحمل على سبيل المثال ـ كما حقق ذلك

---

(1) قانون جوستنيان: مدونة في الفقه الروماني ألفها فقيه القياصرة في قسطنطينية الإمبراطور جوستنيان، عربها عبد العزيز فهمي باشا ونشرتها دار الكاتب المصري في أواخر الأربعينيات من القرن الماضي، راجع: مجلة الكاتب المصري، المجموعة الكاملة ٦/٦٧٥.

(2) دي بور مستشرق هولاندي (١٨٦٦هـ/١٩٤٢م) من أساتذة الفلسفة في جامعة أمستردام، له آثار عديدة في الفلسفة الإسلامية، العقيقي، المستشرقون ٢/٣١٧.

(3) صوفي أبو طالب: بين القانون الروماني والشريعة الإسلامية، ط دار النهضة العربية، ١٩٩٠م، ص٢٥٨ وما بعدها بتصرف.

قوية في حياة الشعوب التي خضعت لها، وأن تتكون من هذه الآثار الحياة الاجتماعية لهذه الشعوب والعرب لم يهدموا كل شيء، وإنما صبغوا أكثر الأشياء التي وجدوها بالصبغة الإسلامية، فليس غريبًا بل ليس من شك في أن كثيرًا من أحكام الفقه الروماني قد اصطبغت بالصبغة الإسلامية دون أن يشعر الفقهاء بذلك فنحن نحسب هذه الأحكام إسلامية خالصة حين هي إسلامية رومانية. لا يغضب العلماء فأنا أذكر الفروع لا الأصول، ولعلهم لا ينكرون أن الفقهاء يعتبرون العرف في كثير من مسائل الفقه، وأن هذا العرف إنما يكون من النظام الروماني واليوناني والفارسي، هذه النظم التي تعاقبت على الشام ومصر والجزيرة، وإذن فهناك تأثير خفي، قد يكون أشد وأقوى من التأثير الواضح الذي تحدثه الأمم بعضها في بعض][1].

ولما أراد الدكتور أن يقارن بين العقل المصري والعقل الأوروبي ذكر رأي بول فاليري[2] في مكونات العقل الأوروبي والتي ردها إلى عناصر ثلاثة هي: (حضارة اليونان وما فيها من أدب وفلسفة وفن، وحاضرة الرومان وما فيها من سياسة وفقه، والمسيحية وما فيها من دعوة إلى الخير وحث على الإحسان)[3] ثم حلل الدكتور العقل

---

(١) طه حسين: من بعيد، المجموعة الكاملة، الشركة العالمية للكتاب بيروت، ب. ت ٨٩/١٢.

(٢) فاليري (بول) (١٨٧١هـ/١٩٤٥م) كاتب وشاعر فرنسي، متخرج في الحقوق، شاعر كبير متعدد المواهب، غني الفكر، عميق الشاعرية اشتهر بمذهبه في الشعر الصافي. د. محمد الكتاني: الصراع بين القديم والجديد ١٢٩٤/٢.
وانظر: علي عبد الفتاح: أعلام في الأدب العالمي: مركز الحضارة العربية مصر، ب. ت، ص٢١٩.

(٣) طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، المجموعة الكاملة، دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢م، ٣٩/٩ بتصرف.

فهذه الاقتباسات جميعًا تدل أن الدكتور مفتون بما عند الرومان حتى إنه يجعل الفقه الروماني أصلاً والفقه الإسلامي تابعًا!!

### الرد على هذه الدعوى:

لو كان هناك اتفاق بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني في المنابع والغايات، أو تشابه في الحقوق والواجبات، أو تقارب في المبادئ والعقوبات لعذرنا الدكتور ومن قبله المستشرقين فيما ذهبوا إليه [أما والشريعة الإسلامية تناقض القانون الروماني في القيم الخلقية والاجتماعية وتخالفه مخالفة واسعة الأمد في النظرة إلى الإنسان، وإلى الحياة كلها، فإن القول باستفادة الفقه الإسلامي من الرومان قول بين البطلان... ولم توجد في الحضارات القديمة أمة كتبت في الفقه، واشتغلت بالشؤون التشريعية إلى حد الإسراف مثل ما أثر ذلك عن الحضارة الإسلامية والأمة الإسلامية...

إن الفقه الروماني لا يعدو أن يكون تنظيمًا ضيقًا خطؤه أكثر من صوابه، لمجتمع تحكمه علاقات فوق البدائية حينًا ودونها حينًا آخر، فالقول بأن التشريع الإسلامي نقل عنه كالقول في زماننا هذا بأن أمريكا نقلت حضارتها عن الكونغو أو أن البحر الأبيض يأخذ مياهه من بحيرة مريوط][1].

سارت مشرقة وسرت مغربًا     شتان بين مشرق ومغرب

إن هذه القضية ـ استقلال الفقه الإسلامي بذاته ـ شهد بها

---

(١) الشيخ محمد الغزالي: دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، ص٨٦.

بموجب قرار جوستنيان السابق، وهذا القرار كان قبل الفتح الإسلامي الذي تم في عام ٦٤١م وروما لم يفتحها المسلمون، والقسطنطينية لم تفتح إلا في عام ١٤٩٣م ومدرسة بيروت قد اندثرت قبل الفتح الإسلامي لها بحوالي ثلاثة أرباع القرن][1].

أما حديث الدكتور طه عن العرف واعتباره عند فقهاء الإسلام فليس يحسب له فعلماء الأصول حين يعتبرون العرف من بين مصادر التشريع وأدلة الفقه [لا يقصدون بذلك أن العرف ينشئ أحكام الشرع أو يظهرها، كنص الكتاب والسُّنَّة، بل يقصدون أن نصوص الشرع وعبارات المتعاملين تفسر وفقًا لعرف الخطاب أو التأمل دون الوقوف عند ما تدل عليه الألفاظ من معان في أصل وضع اللغة. . . ومن ناحية أخرى، فإن ما تعارف الناس عليه من أوجه المعاملات والتصرفات يحكم بشرعيته وصحته، طالما أنه لا يخالف نصًا من كتاب ولا سُنة، وأساس هذه المشروعية ومصدر ذلك الحل عند التحقيق ليس هو العرف، بل النصوص الشرعية التي تقرر أن الأصل في الأشياء الإباحة وفي التصرفات والأفعال الحل، فما لم يرد فيه نهي من الشارع من التصرفات والأفعال يعد حلالاً بمقتضى هذا الأصل][2].

وعرف الرومان واليونان لم يكن في يوم من الأيام من مصادر الأحكام الفقهية للمسلمين في أي قطر من الأقطار التي نزل المسلمون بها.

---

(١) د. صوفي أبو طالب: تطبيق الشريعة الإسلامية نقلاً عن التبصير بمكائد الاستشراق والتبشير، ص٢٣٤، بتصرف.

(٢) د. حسين حامد حسان: المدخل لدراسة الفقه الإسلامي، طبعة خاصة بالمؤلف ١٩٨١م، ص٢١٣، ٢١٤ بتصرف.

سن الرشد أصبح مستقلاً بشخصه وماله عن سلطة الأب، وإذا كان الابن لا يزال قاصرًا فماله وديعة لدى وليه، والمرأة إذا ما تزوجت لا تفقد حقها في مالها الخاص ولا يمنعها زواجها حق الإرث من أهلها وليس لزوجها سلطان على مالها، بل يظل ملزمًا بالإنفاق عليها، ولو كان لها مال، وليس لزوجها سلطان عليها سوى ما له عليها من الحقوق المترتبة على الزواج. وبدهي لو أن الشريعة الإسلامية قد أخذت أحكامها من التشريع الروماني، لكان نظام سلطة رب الأسرة أول ما تأخذه منه][1].



(١) الشيخ الغزالي: دفاع عن العقيدة والشريعة، ص٨٧، ٨٨.

نكالاً من الله...» فغير صحيح، كذلك ما يقال من أن الرجم ثبت بالسُّنَّة، وهو حكم باقٍ فغير صحيح أيضًا؛ لأن آية الجلد نسخت ما فعله الرسول][1].

ومقالة الدكتور هذه تثبت ـ من وجهة نظره ـ عدة أشياء هي:

**الأول**: أخذ الدكتور عقوبة الزنا للمحصن وغيره من القرآن وهي عقوبة الجلد وهو اكتفاء بآية النور والتي يقول الله عز وجل فيها: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ...﴾ الآية[2].

وأغفل الدكتور الأحاديث الصحيحة التي تنص على الرجم للمحصن!.

**الثاني**: يثبت الدكتور أن جلد الرسول وأصحابه للزناة كان مرحلة متقدمة في تشريع عقوبة الزنا وأن الحكم الأخير جاء بآية الجلد بسورة النور التي نسخت الرجم والأحكام السابقة!!

**الثالث**: يزعم الدكتور أن الرسول أخذ الرجم من شريعة عيسى ويقول ذلك قولاً مرسلاً بغير دليل ولا برهان.

**الرابع**: ينكر الدكتور أن كانت هناك آية للرجم نسخ لفظها وبقي حكمها.

**وللرد على تلك الدعاوى أقول وبالله التوفيق:**

بالنسبة للادعاء الأول أن حكم الزنا بإطلاق الجلد فيه نفي أن يكون للسُّنَّة دور في التشريع وهذه دعوى عريضة لو سلمنا لأصحابها

---

(١) د. محمد الدسوقي: أيام مع طه حسين، ص١٢٤، ١٢٥.

(٢) سورة النور، الآية: ٢.

(٢) وما رواه ابن شهاب قال: أخبرني عبيد الله بن عبدالله بن عتبة أنه سمع عبدالله بن عباس يقول: قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر رسول الله ﷺ: «إن الله قد بعث محمدًا ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل عليه آية الرجم قرأناها ووعيناها وعقلناها فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله وإن الرجم في كتاب الله حق على مَنْ زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف» مسلم (١٦٩١).

(٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رجلٌ من المسلمين رسولَ الله ﷺ وهو في المسجد فناداه فقال: يا رسول الله إني زنيت فأعرض عنه فتنحى تلقاء وجهه، فقال: يا رسول الله زنيت فأعرض عنه فتنحى تلقاء وجهه، فقال: يا رسول الله إني زنيت فأعرض عنه حتى ثنى ذلك عليه أربع مرات فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه رسول الله ﷺ فقال: «**أبك جنون؟**» قال: لا. قال: «**فهل أحصنت؟**» قال: نعم فقال رسول الله ﷺ: «**اذهبوا به فارجموه**».

قال ابن شهاب: فأخبرني من سمع جابر بن عبدالله يقول فكنت فيمن رجمه بالمصلى فلما أذلقته[1] الحجارة هرب فأدركناه بالحرَّة فرجمناه. مسلم (١٦٩٢).

(٤) وعن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني أنهما قالا: إن رجلاً

---

(١) أذلقته الحجارة: هو بالذال المعجمة وبالقاف، أي: أصابته بحدها. قاله النووي في شرح صحيح مسلم ١١/١٩٤.

﴿مِّنكُمۡۖ﴾ أي: من رجالكم المؤمنين العدول: ﴿فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ﴾ أي: احبسوهن عن الخروج الموجب للريبة وأيضًا فإن الحبس من جملة العقوبات ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ﴾ أي: هذا منتهى الحبس ﴿أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾ أي: طريقًا غير الحبس في البيوت فهذه الآية ليست منسوخة فإنما هي مغياة إلى ذلك الوقت. فكان الأمر في أول الإسلام كذلك حتى جعل الله لهن سبيلاً وهو رجم المحصن والمحصنة وجلد غير المحصن والمحصنة][1].

ويرى الأستاذ سيد قطب الرأي نفسه ويعقب بقوله: [وقد ورد عن السُّنَّة العملية في حادث ماعز والغامدية كما ورد في صحيح مسلم أن النبي رجمهما ولم يجلدهما، وكذلك في حادث اليهودي واليهودية اللذين حكم في قضيتهما فقضى برجمهما ولم يجلدهما، فدلت سنته العملية على أن هذا هو الحكم الأخير][2].

ومما يؤكد انتهاء حكم الزاني المحصن على الرجم [فعل صحابة النبي من بعده فهم أعلم الناس بالقرآن والسُّنَّة يقول ابن قدامة ـ وجوب الرجم على الزاني المحصن رجلاً كان أو امرأة ـ: هذا قول عامة أهل العلم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء الأمصار في جميع الأعصار ولا نعلم فيه مخالفًا إلا الخوارج فإنهم قالوا: الجلد للبكر والثيب لقول الله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ﴾[3].

---

(1) عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص١٣٦.
(2) الأستاذ سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط١٠، سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ١/٥٩٩.
(3) سورة النور، الآية: ٢.

ومما يبرهن على استقرار حكم الرجم وبقائه كحكم نهائي قول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه عبدالله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه، المفارق للجماعة**»[1].

والحديث نفسه هو الذي استدل به عثمان بن عفان رضي الله عنه على خطأ من ثاروا عليه وعزموا على قتله فقد روى أبو أمامة سهل بن حنيف رضي الله عنه أن عثمان بن عفان أشرف يوم الدار فقال: «أنشدكم بالله، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: زنا بعد إحصان، أو كفر بعد إسلام، أو قتل نفس بغير حق، فيقتل به؟**» فوالله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام، ولا ارتددت منذ بايعت رسول الله ﷺ ولا قتلت النفس التي حرم الله. فبم تقتلونني»[2].

ـ أما الادعاء الثالث بأن رسول الله قضى بالرجم أخذًا من شريعة عيسى عليه السلام فيهدمه ما سبق أن قررناه من أن الرجم لم يكن تشريعًا أوليًّا من الناحية الزمنية وإنما هو التشريع الأخير في الحكم.

ولعل الدكتور قد خانه التعبير حين نسب الرجم إلى الإنجيل وشريعة عيسى إذ هو بشريعة التوراة ألصق ونسبته إلى شريعة عيسى

---

(١) رواه البخاري ١٢/١٧٦ في الديات، باب قول الله تعالى: ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾، ومسلم رقم (١٦٧٦) في القسامة، باب ما يباح به دم المسلم، وأبو داود رقم (٤٣٥٢) في الحدود، باب الحكم فيمن ارتد.

(٢) رواه الترمذي رقم (٢١٥٩) في الفتن، باب ما جاء: «**لا يحل دم امرئ إلا بإحدى ثلاث**...» والنسائي ٧/٩٢ في تحريم الدم، باب ذكر ما يحل به دم المسلم، وأبو داود رقم (٤٥٠٢) في الديات، باب الإمام يأمر بالعفو في الدم.

أبيها ويرجمها رجال مدينتها بالحجارة حتى تموت، لأنها عملت قباحة في إسرائيل بزناها في بيت أبيها»[1].

ومن هنا يسقط الادعاء جميعه أن حكم الرجم مأخوذ عن شريعة عيسى أو شريعة موسى كما ادعى الدكتور، وكما شاركه في الادعاء المستشرق الألماني شاخت[2] كما سيأتي.

أما إنكار الدكتور أن كانت هناك آية للرجم نسخ لفظها وبقي حكمها فيرده ورود السُّنَّة بذلك في حديث ابن عباس وهو في صحيح مسلم، ولا ندع السُّنَّة الثابتة لظن يراه الدكتور ومن حذا حذوه.

إن هذه الادعاءات مجتمعة تتوافق مع ما قاله المستشرق الألماني شاخت حين كتب بحث مادة الزنا بدائرة المعارف الإسلامية إذ قال من ضمن ما قال: (.... ويقال: إنه كانت في القرآن أول الأمر آية كالآية التي يعترف بها عمر بن الخطاب وتسمى: «آية الرجم»: إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البته نكالاً من الله) ومن المستبعد أن تكون هذه الآية صحيحة ومن البين أن الأحاديث المتعلقة بها وذكر اسم عمر بصددها. كل ذلك لا يخلو من غرض.

ومهما يكن من شيء فإن الروايات التي تقول: إن النبي طبق حكم الرجم لهي أيضًا روايات غير جديرة بالثقة. وعقوبة الرجم هذه،

---

(١) تثنية: ٢٠، ٢١، ٢٢.

(٢) شاخت، جوزيف (١٩٠٢ ـ ١٩٦٩) مستشرق ألماني تخرج من جامعة برسلاو وعين أستاذًا في جامعة فرايبورج (١٩٢٧) وفي الجامعة المصرية (١٩٣٤) وله آثار عديدة. المستشرقون ٤٦٩/٢ وما بعدها.

# الفصل الثامن

## طه حسين والتعليم

ويحتوي على تمهيد ومبحثين:

التمهيد.

**المبحث الأول**: طه حسين والتدريس.

**المبحث الثاني**: طه حسين والتعليم الأزهري.









# طه حسين والتعليم

## تمهيد

ارتبط طه حسين بالتعليم ارتباطًا وثيقًا؛ ارتبط به عالمًا ومتعلمًا ففي مراحل الطلب الأولى كان طه محبًا لدور العلم ومؤسساته مقبلاً على المعرفة تواقًا إليها، وكان ارتباطه بالمؤسسات التعليمية ارتباط العارف بآثارها وثمارها مما كان يدفعه إلى النقد والتحليل وربما إلى المواجهة والتجريح وعدم التحفظ في إبداء الرأي مما أحدث بينه وبين بعض تلك المؤسسات فجوات دامت آثارها إلى نهاية حياته.

لقد كان طه حريصًا على معرفة الأثر من كل مرحلة من مراحل تعليمه وطلبه وكان متطلعًا إلى البروز حريصًا عليه واستطاع أن يتغلب على الآفة التي ابتلي بها وأن يلفت الأنظار إليه كما أراد.

«وقد مارس طه حسين التربية والتعليم كنشاط تطبيقي في مختلف جوانب العملية التعليمية، معلمًا ومفتشًا وموجهًا ومؤلفًا للكتب المدرسية ومستشارًا لوزارة المعارف ثم وزيرًا لها»[١].

ولقد كان للدكتور طه حسين رؤية واضحة في مسيرة التعليم يتفق

(١) د. كمال حامد مغيث: طه حسين مصادره الفكرية... ص١٢٥.

أما التلميذ فركز الدكتور على أن الهدف من تعليمه بناء ذاته وثقافته ليستطيع استقبال الحياة والتأثير فيها، وأنكر أن يكون الهدف من التعليم تخريج موظفين ليعملوا في الدواوين الحكومية كما هدف إلى ذلك الإنجليز حين احتلوا مصر[١].

ونادى بأشياء عدة لإصلاح العملية التعليمية منها تخفيض عدد التلاميذ بالفصول الدراسية[٢]، وإعادة النظر في أمر الامتحانات[٣]، وتوجيه التلاميذ إلى القراءة الحرة[٤]، والاهتمام بالتربية البدنية لما لها من فوائد عديدة[٥].

إلى غير ذلك من النقاط الذي يصعب حصرها في هذا المقام.

أما مواطن الخلاف فأساسها وحجر الزاوية فيها ما نادى به من وجوب الصراحة والجراءة في الأخذ بأسباب الحضارة الأوروبية في كل نواحي الحياة[٦] هذه النتيجة التي رتبها على مقدمات منها أن العقل المصري ليس عقلاً شرقيًا وإنما هو عقل متأثر بالعقل اليوناني الذي هو أصل الحياة الغربية وأن المصريين لم يتأثروا بالإسلام كما تأثروا بالعقلية اليونانية والفلسفة اليونانية[٧].

لقد كانت هذه النتيجة الخاطئة أساسًا لغيرها من الأخطاء التي

---

(١) طه حسين: مستقبل الثقافة، ص٢٢٢.
(٢) المرجع السابق فصل ٢٤، ص١٥٨.
(٣) المرجع السابق فصل ٢٧، ص٢٠٠ وما بعدها.
(٤) المرجع السابق فصل ٢٨، ص٢١٠ وما بعدها.
(٥) المرجع السابق فصل ٤٠، ص٣٢٣ وما بعدها.
(٦) المرجع السابق فصل ٩، ص٥٤.
(٧) المرجع السابق الفصول ٢ ـ ٨، ص١٦ ـ ٥٣.

علمي صحيح وهي تعرف جهود المستشرقين في الدراسات الإسلامية»[1].

وكأني بالدكتور يوجه القائمين على أمر التعليم «إلى استبعاد الأزهر من القيام بوظيفة تعليم الدين، لأن مناهجه لا تحقق للدارسين فيه عمق الثقافة وحرية الفكر»[2].

ولعل كتاب مستقبل الثقافة هو الميثاق الذي جمع فيه طه حسين أراءه في قضية التعليم والتي أصاب في بعضها وجانب الصواب في بعضها.



---

(١) المرجع السابق، ص٤٣٠.

(٢) د. محمد محمد حسين: حصوننا مهددة من داخلها، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٥، ١٩٧٨م، ص٢٦١.

فكانت إجابة الدكتور على من نقدوه أن قال:

«إن فهم التاريخ المصري خاصة والتاريخ الإسلامي عامة موقوف على فهم التاريخ اليوناني، فما ينبغي لأحد أن ينسى ما كان للحضارة اليونانية من التأثير الظاهر في حضارة العالم كله ومنه البلاد الإسلامية»[١].

ولم يكن هذا الكلام من الدكتور خاطرًا عارضًا سنح له فأجاب به معارضيه وناقديه وإنما كان يمثل لديه عقيدة راسخة وإيمانًا مستكنًا في صدره ولذا نراه في كثير من كتبه ومقالاته [يردد فكرة تأثير الفلسفة اليونانية والنظم اليونانية في الحضارة الإسلامية فنجده يقول تارة: «الدولة الإسلامية ورثت سياسة اليونان والفرس وحضارتهم»[٢].

ويقول تارة أخرى: «لقد كانت فلسفة أرسطاطاليس[٣] أساس النهضة العربية الأولى»[٤].

وثالثة يقول: «فلسفة أرسطاطاليس كان لها الأثر الأكبر في تكوين العقل العربي الإسلامي»[٥].

ويقول في الرابعة: «المسلمون أخذوا بأسباب الحضارة الفارسية واليونانية»[٦].

---

(١) سامي الكيالي: مع طه حسين، ص٤٤.
(٢) طه حسين: ألوان، المجموعة الكاملة ٦/٤٠٠.
(٣) أرسطوطاليس: (٣٨٤، ٣٢٢ ق.م) ولد ونشأ في مدينة ستاجيرا المقدونية غرب أثينا. كان أبوه طبيبًا في بلاط أمينتاس ملك مقدونية وجد الإسكندر. أعلام الفكر الأوروبي ١/٣٠.
(٤) طه حسين: حديث الأربعاء (٣)، المجموعة الكاملة ٢/٦٣٧.
(٥) طه حسين: قادة الفكر، المجموعة الكاملة ٨/٢٦٠.
(٦) طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، المجموعة الكاملة ٩/٦٥، ٦٦.

الدكتور دروسه من خلاله، (يصف ألبير برزان سكرتير طه حسين «الذي التقى به في أواخر عام ١٩٢١م وعمل معه فترة عشرة سنوات تقريبًا» عمله في الجامعة فيقول: كان عملي مقتصرًا على قراءة «كتاب تاريخ العرب في إسبانيا»[(١)] وغيره باللغة الفرنسية وجريدة الطان، وكانت قراءة الكتاب المذكور هي العمل الأساسي في تحضير محاضراته بالجامعة المصرية، وفي المساء يتوجه إلى الجامعة فيلقي محاضراته باللغة العربية النقية وكان يقرأ ما سمع في الصباح لا تخونه الذاكرة في سرد أدق بيان من وقائع التاريخ ولا في الأسماء التي مرت على سمعه وقت القراءة)[(٢)].

ولم يكتف الدكتور طه حسين بتدريس الأفكار المتأثرة بالفكر الاستشراقي حتى عمد إلى استقدام المستشرقين للتدريس بالجامعة - وذلك حين مكن له بها - وكان ممن دعاهم للتدريس أستاذه كازانوفا الذي درس له بالكوليج دي فرانس ولما عورض في هذا رد على معارضيه بقوله:

[أريد أن يعلم الناس جميعًا أن الجامعة المصرية حين تدعو أساتذة من أوروبا لإلقاء الدروس فيها لا تأتي بدعًا من الأمر وإنما تتبع في ذلك نهج الجامعات الأوروبية والأمريكية، وهذا الرجل الذي دعته الجامعة ليس رجلاً عاديًا وإنما هو أستاذ حقًا[(٣)]، ولقد أريد أن يعلم

---

(١) وهو للمستشرق الهولاندي دوزي (١٨٢٠ - ١٨٨٣) الذي يعده المستشرقون فاتح الدراسات الأندلسية. راجع: المستشرقون ٣٠٨/٢ - ٣١٠.

(٢) أنور الجندي: طه حسين حياته وفكره في ضوء الإسلام، ص٥٨، ٥٩.

(٣) هذا الأستاذ الحق في رأي الدكتور هو الذي قال عن القرآن: «إني أؤكد أن مذهب محمد الحقيقي إن لم يكن قد زيف فهو على الأقل ستر بأكثر العنايات وأن الأساليب البسيطة التي سأشرحها فيما بعد هي التي حملت أبا بكر أولاً ثم=



# المبحث الثاني

## طه حسين والتعليم الأزهري

لئن كان الدكتور طه حسين اعترف بفضل الأزهر عليه مرارًا وتكرارًا وأنه قد أفاد من الأزهر «الحرص الشديد على التعمق في فهم النصوص وتجنب السطحية»[1].

وأنه مدين للأزهر بحياته العقلية فنشأته الأولى كانت في رحابه وعن أهله أخذ أصول المعرفة وتكونت من خلاله ثقافته الأولى[2].

فقد خاض الدكتور مع الأزهر والأزهريين معارك عديدة بدأت من أيام الدرس في مرحلة الصبا وامتدت مع حياة الدكتور كلها. تلك المعارك التي كان الدكتور حريصًا على أن يوضح أن باعثه على خوضها «حبه للأزهر وحرصه على أن يؤدي الأزهر واجبه على أحسن وجه ممكن»[3].

---

(١) فؤاد دواره: عشرة أدباء يتحدثون، دار الفكر، ط٢ بدون ت، ص١٧.

(٢) إبراهيم عبد العزيز: أوراق مجهولة للدكتور طه حسين، دار المعارف، سلسلة إقرأ عدد ٦٢٢، ص١٠٨.

(٣) المرجع السابق نفسه.

لقد كتب الدكتور مقالات فيها نصح وإرشاد لإصلاح التعليم الأزهري ظنها كثير من علماء الأزهر هجومًا على الأزهر ورجاله وتنقصًا لمكانتهم ومقدارهم.

من تلك المقالات مقالته التي نشرتها السياسة تحت عنوان: «وجه الصواب في إصلاح الأزهر» والتي جاء فيها:

[يخيل إلي أن الغرض الأساسي لإنشاء الأزهر أو لوجود الأزهر في هذه الأيام، إنما هو إيجاد طائفة من العلماء يفهمون الإسلام كما ينبغي أن يفهم وينشرونه كما ينبغي أن ينشر، يذيعون منافعه بين المسلمين وغير المسلمين ويذودون عنه خصومه الطاعنين فيه والناعين عليه. هذا هو الغرض الذي يوجد الأزهر من أجله ويقيننا أن الأزهر لا يحقق هذا الغرض وأن أشياء كثيرة تنقص العلماء وتحول بينهم وبين تحقيق هذا الغرض.

هم غير قادرين على أن ينشروا الإسلام كما ينبغي، لأنهم يجهلون لغات الإسلام، هم ضعاف في اللغة العربية ضعفًا شديدًا وهم يجهلون الفارسية والتركية والهندية وغيرها من لغات المسلمين. هم ضعاف في العربية فهم عاجزون عن الوعظ والإرشاد في البلاد العربية، وهم يجهلون اللغات الأخرى الإسلامية فهم عاجزون عن الوعظ والإرشاد ونشر الدين في البلاد الإسلامية الأخرى ثم هم عاجزون عن أن يذودوا عن الدين ويردوا عنه كيد خصومه من أهل الديانات الأخرى ومن الذين يجحدون الديانات جميعًا.

هم عاجزون عن ذلك لأنهم يجهلون الديانات الأخرى ويجهلون حجج أهلها ويجهلون فيها مواضع الضعف ومواضع القوة ويجهلون الفلسفة الحديثة وما عسى أن يكون بينها وبين الدين عامة والإسلام

السماوية أو الوضعية، وأن تدرس فيه الفلسفة الحديثة ولا سيما ما كان منها متصلاً بالدين.

وأما القسم الثاني فكان ينبغي أن تدرس فيه اللغة العربية وآدابها درسًا عاليًا ومفصلاً يبيح للطالب أن يتخصص حقًّا في فرع من فروعها وكان ينبغي أن يدرس مع اللغة العربية غيرها من اللغات الإسلامية درسًا يمكن الطالب من أن يتكلمها ويفهمها ويقرأ ما كتب فيها قراءة منتجة)[1].

ثم يعقب الدكتور بقوله: (لو نحا علماء الأزهر هذا النحو لكانوا قد أتوا أمرًا نافعًا حقًّا، جديدًا حقًّا، أمرًا يضمن للأزهر أن يؤدي واجبه العلمي والديني على وجهه، ويضمن لمصر ثانيًا أن تحتفظ بتفوقها وزعامتها للبلاد الإسلامية...)[2].

وهذه الأمور التي دعا إليها الدكتور من الحق المحض والخير الظاهر وأصبحت الآن ـ بفضل الله ورحمته ـ حقيقة واقعة في مناهج الأزهر وتوجهاته بعد أن كانت آمالاً وأمنيات تمناها الدكتور في بداية القرن الماضي ولم يقتصر موقف الدكتور من الأزهر على النصح المشوب بالنقد والهجوم بل امتد ذلك إلى الإشادة والتقدير لجوانب رأى الدكتور في وجودها بالأزهر الخير الكثير رغم قدمها وتوارثها، من ذلك إشادته بنظام الدراسة بالأزهر في ذلك الوقت بقوله:

(وقد كان الأزهر أخصب البيئات المصرية وأحسنها استعدادًا لقبول الثقافة الحديثة الصحيحة التي تمتاز بالسعة والعمق؛ لأن الدرس

(١) السياسة ١٩٣٢/٨/٣١م.

(٢) جريدة السياسة الصادرة في ١٩٢٣/٨/٣١م.

زعم شيئًا كهذا فقد زعم سخفًا)[1].

ولطالما ردد الدكتور هذا الكلام بمعانٍ مختلفة كقوله: (لن يكون إصلاح الأزهر حقيقة واقعة مثمرة إلا إذا قام الإصلاح على هذه القاعدة التي لا قوام للإصلاح بدونها، وهي أن الدين لا ينبغي أن يحول بين أهله وبين ضروب النشاط المختلفة للعقل والشعور والجسم، بل لن يستطيع الدين أن يحيا آمنا إلا إذا أباح لأهله أن يأخذوا بحظوظهم من هذا النشاط على اختلافه وتنوعه)[2].

وهذا الكلام الأخير للدكتور يشعر بأن المراد ليس تحديث الأزهر بمعنى أن يجمع رجاله بين علوم الدين وعلوم الدنيا كما صرح أكثر من مرة، وإنما مراده أن يكون التحديث في فهم الدين وطبيعته، فيكون فهم الأزهريين موافقًا لفهم الأوروبيين للدين وحركته في الحياة، ولقد استخدم الدكتور كلمات فضفاضة تحتمل معاني متعددة وترك القراء يعملون عقولهم في كلامه ويفهم كل منهم ما تؤهله له قدراته وتهديه إليه ثقافته، وفي كلمته السابقة: «الدين لا ينبغي أن يحول بين أهله وبين ضروب النشاط المختلفة للعقل والشعور والجسم...» كثير من الإبهام فهي من الكلمات التي تحمل الخير والشر في وقت واحد.

## فهم المستشرقين لتطوير الأزهر:

تحديث الإسلام ليتوافق مع نظرة الأوروبيين إلى الإسلام هي سبيل تطوير الأزهر في نظر المستشرقين يقول فولرز (K.vollers)[3]: «إذا

(١) إبراهيم عبد العزيز: أوراق مجهولة من طه حسين، ص١١١، ١١٢.
(٢) طه حسين: رحلة الربيع والصيف، المجموعة الكاملة ٢٣٩/١٤.
(٣) من كتاب دائرة المعارف الإسلامية.

إلقاء الدروس وإقامة الصلاة هي كل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هم مكلفون أن يشتركوا في جميع أعمال الخير، هم مكلفون أن يحتملوا ألوان العناء في كشف الضر عن البائسين، هم مكلفون ألا تخلو منهم جماعة خيرية، هم مكلفون ألا تخلو محلة في مصر من آثارهم الخيرية. هم مكلفون أن يتصوروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تصورًا صحيحًا واسعًا يجعلهم عضوًا نافعًا في الجماعة»[(١)].

ويهتم الدكتور بعقد المقارنات بين جهود القساوسة والرهبان وجهود العلماء المسلمين، وذلك لكي يؤكد ذهول العلماء عن واجبهم أو ضعفهم عن أداء دورهم، ومن أقواله في هذا السبيل:

(اذهب إلى أصغر قرية وأحقرها من قرى أوروبا، وتبين عمل القسيس في هذه القرية تجده عظيمًا شديد التشعب فهو يؤدي قبل كل شيء واجبه الديني المعقد في الكنيسة، يقيم هذه الصلوات الكثيرة المتنوعة، ويتقبل اعترافات المؤمنين إلى غير ذلك من أعمال الكنيسة وهو يعني بكنيسته عناية مادية، فيشرف لا على أن تكون نظيفة حسنة النظام بل على أن تزدان بما استطاع أن يزينها به من آثار الفن، ثم هو بعد ذلك أستاذ ديني لأطفال القرية جميعًا يختلفون إليه في كل يوم يأخذون عنه مبادئ الدين وأصوله، ثم هو موسيقي بحكم عمله الديني وهو أستاذ للموسيقى في قريته، ثم هو متغلغل في حياة القرية لا يفلت من يده مولود ولا ميت، يتلقى المولود ليعمده ويزور المحتضر ليصلي عليه ويلهمه كلمة الدين وهو يجود بنفسه ويودعه إلى قبره، ثم بعد هذا كله مكلف بحكم الدين أن يبحث عن الضعفاء وذوي الحاجة

(١) طه حسين: من بعيد، المجموعة الكاملة ١٢/١٢٦.

وهبَّ بعضهم للرد على الدكتور في الجمهورية التي نشرت مقال الدكتور وأخرج الأزهر عددًا خاصًا[1] من مجلته للرد على الدكتور في دعواه إلى توحيد التعليم في مراحله الأولى؛ إذ فهموا من هذه الدعوة أنها دعوة لإلغاء التعليم الأزهري، لأنه دعا إلى توحيد التعليم على الأساس المدني.

فكتب الدكتور في جريدة الجمهورية[2] مقالاً آخر تحت عنوان: «إنها تعبئة ضد الخطوة الثانية» تعجب فيه من ثورة العلماء ضده، وشرح ما يقصده من دعوته إلى توحيد التعليم فقال:

(... لقد طالبت بتوحيد التعليم العام في الدولة ولم أعرض عن قرب أو بعد لتعليم الدين في الأزهر لا في كلياته العالية ولا في معاهده الابتدائية والثانوية فضلاً عن أن أكون قد أردت إلى إغلاق الأزهر أو إلغاء تعليم الدين وإهمال حفظ القرآن... وإنما طالبت بتوحيد منهج مشترك من التعليم بين المصريين جميعًا ووسائل هذا التوحيد عندي يسيرة جدًا يمكن إيجازها في سطور قليلة:

**أولاً**: يظل التعليم الابتدائي والثانوي جزءًا من الأزهر كما هو.

**ثانيًا**: يوضع منهج مطابق لمنهج التعليم العام في وزارة التربية والتعليم ويفرض على المعاهد الابتدائية والثانوية الأزهرية.

**ثالثًا**: تؤلف هيئة مشتركة من الأزهر ووزارة التربية والتعليم للإشراف من قرب على تنفيذ هذا المنهج وتتخذ وزارة التربية والتعليم وسائلها للتثبت من تنفيذه بالتفتيش والمشاركة في الامتحان.

---

(١) صدر في شهر نوفمبر سنة ١٩٥٥م.

(٢) يوم السبت ٣ ديسمبر ١٩٥٥م.

ما وجد إلى ذلك سبيلاً. . .)[1].

غير أننا في محل آخر من الكتاب نراه يتراجع قليلاً عن تعبير الإسراف الذي استعمله في هذا المقام لأنه يقول: «أصبح الأزهر مسرعًا إلى هذه الحضارة يدفعه إسرافه إلى شيء يشبه الإسراف إن لم يكن هو الإسراف»[2]، كما أننا نراه في محل آخر يتناسى كل ذلك فيقول:

إن الأزهر بحكم تاريخه وتقاليده وواجباته الدينية بيئة محافظة تمثل العهد القديم والتفكير القديم، أكثر ما تمثل الحديث والتفكير الحديث. . .»[3].

وفي الأخير عندما ينتقل إلى بحث المنافسة القائمة بين الأزهر وبين الجامعة لا يتحرج في إبداء رأي يناقض رأيه الأول مناقضة صريحة إذ يقول: (يقتضي أن يعدل الأزهر عدولاً تامًّا عما دأب عليه من الانحياز إلى نفسه والعكوف فيها والانقطاع عن الحياة العامة. وقد يقال: إن الأزهر قد أخذ يترك هذه السيرة ويتصل بالحياة العامة ويأخذ بحظوظ حسنة من الثقافات الحديثة على اختلافها وهذا صحيح في ظاهره ولكنه في حقيقة الأمر غير صحيح فالأزهر ما زال منحازًا إلى نفسه مستمسكًا بهذا الانحياز حريصًا عليه)[4].

وعلى كل حال فلقد كان للدكتور فضل السبق حين أراد للأزهر أن يزاوج بين التعليم الديني والتعليم المدني ولعل هذا الأمر أصبح

---

(١) طه حسين: مستقبل الثقافة، المجموعة الكاملة ٩/٤٤.
(٢) المرجع السابق ٩/٦٩.
(٣) المرجع السابق ٩/٩٨.
(٤) طه حسين: مستقبل الثقافة، المجموعة الكاملة ٩/٤٤٤.

# الفصل التاسع

## طه حسين وقضايا المرأة

ويشتمل على تمهيد وأربعة مباحث:

**التمهيد**

**المبحث الأول**: طه حسين وحجاب المرأة المسلمة.

**المبحث الثاني**: طه حسين وقضية الاختلاط.

**المبحث الثالث**: طه حسين وقضية المساواة بين الرجل والمرأة.

**المبحث الرابع**: تقييم آراء طه حسين في قضايا المرأة.









# طه حسين والمرأة

## تمهيد

لا يستطيع الباحث في حياة طه حسين وفكره وأدبه أن يغفل الجانب الاجتماعي منها وأخص نواحي هذا الجانب صورة المرأة وموقعها من حياة الرجل وفكره.

[ولا سبيل إلى أن تكون صورة حياة قوم، في مجتمع ما، صادقة ما لم يكن للمرأة في هذه الصورة مكان وأي مكان.. ولا سيما حينما تكون هذه الصورة نتاج وجدان أديب كان منذ نُعومة أظفاره شديد الحاجة إلى المرأة، بل أشد حاجة إليها من الكثرة الغالبة من الناس بسبب: «ظروفه المعينة»... فهي العشيرة والأنيس والمعين والصديق الذي لا يكاد يكون له عنها غنى... إن كان لسواه من الناس غنى عنها بحال من الأحوال][1].

وليس من مغالاة في وصف المرأة ومنزلتها من الدكتور طه حسين فهو يراها: «قالب النوع الإنساني يفرغه الله فيه ويصوغه على

(١) صوفي عبدالله: المرأة في أدب طه حسين، بحث ضمن كتاب (طه حسين كما يعرفه كتاب عصره)، ص٢١٤.

**بداية أصيلة:**

لقد صدر طه حسين في نظرته للمرأة من نظرة أصيلة كانت المرجعية الأولى فيها للقرآن والسُّنَّة، ولقد تزامنت هذه النظرة مع فترة الدراسة بالأزهر؛ الأمر الذي كان له دور رئيس في استقامة آرائه وحسن توجهه في هذه الفترة.

ولقد صور طه حسين منطلقه الذي يصدر عنه في تلك الفترة بقوله: [إن لكل كاتب في أي مسألة من المسائل حدًّا يجب أن لا يتعداه، ومدى يجب أن ينتهي إليه، وحدنا في هذه المسألة (نظرة المسلم إلى المرأة) إنما هو دين الله الذي أنزله شفاء ودواء للأفراد والأمم وإصلاحًا للفاسد من أمورهم فعلينا أن نقف عنده ولا نتعدى حده، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون وعلى هذا الأصل نقول: إن رقي المسلمين رهين بأن يرجعوا إلى أصول دينهم الذي أهملوه، وكتابهم الذي أغفلوه فيتمسكوا بأسبابها ويتعلقوا بأهدابها وعلى غير ذلك لا تقوم لهم قائمة ولا يصلح لهم جيل][1].

ولذا نراه في محاولات شعرية ينكر على الناس تقليدهم للغرب من غير وعي، وهجرهم لهدي الإسلام في الاجتماع والسلوك فكان من قوله:

أيها الناس أين علمكمو القا ... صر من عالم عداه القصور

عالم الغيب والشهادة لا ... يعزب عنه قبل الصغير كبير

قد أبحتم لنا الخنا وحظرتم ... كيف هذا المسوغ المحظور

أنفذوا حكمه على كل جان ... لا ينلكم من دون ذاك فتور

---

(١) السيد تقي الدين: طه حسين آثاره وأفكاره، ص٣٩.

رديء، ذهبت مقوماتنا وضعفت أنفسنا، وزالت مميزاتنا الجنسية، وأصبح من اليسير أن تندمج طباعنا في طباع غيرنا من الأجانب، بل أصبح تقليدنا للفرنج أمرًا محببًا إلى نفوسنا مستحسنًا منها، فنحن نقلدهم في الحسن والقبح ونقفوا أثرهم في النافع والضار، وليس لنا من قوة الأنفس والأخلاق ما يكفينا شر التقليد، فإن أحدنا يفتن بكل شيء صدر عن الفرنج. لا يبالي صدر عن رجل أم امرأة، عن كبير أو صغير، فلا شك عندي في أنه يجب علينا أن نحتاط كل الاحتياط في استعمال هذا الحكم، أي: إباحة تزوج المسلم بالكتابية، ولست أرى عليَّ من بأس إن قلت: إنه الآن حرام ممقوت][1].



(١) مجلة الهداية عدد شهر مارس سنة ١٩١١م.

كان منها عن طريق الدين، أو ما جاء من غير طريقه، ولا يقبل إلا ما يقوم عليه دليل تجريبي أو واقعي على حسب المنهج الذي يسلكه باحثو الاجتماع الأوروبيون الملاحدة وهو ما يسمونه بالمنهج العلمي][(١)].

ولم يكن طه حسين بعيدًا عن هذا الجو فهو الذي سطر في سيرته الذاتية أنه أثناء مرحلة الطلب الأولى كان يتابع كتابات رواد الحركة الثقافية آنذاك. خاصة في فترات الإجازة الصيفية التي كانت فرصة لقراءة كتب قاسم أمين وكثير من آثار الأستاذ الإمام[(٢)].

ولا شك أن طه حسين تأثر بهذه القراءات مما حدا به لتغيير وجهته الأولى التي كان تفكيره فيها مقاربًا أو ومنسجمًا مع دراسته الأزهرية، فإذا به يكتب رأيه في قضية الحجاب والسفور متأثرًا بما كتبه قاسم أمين وغيره ممن تأثروا بالغرب وحاولوا محاكاته وتقليده.

**يقول طه حسين:**

[إننا يجب أن نفرق بين نظامنا ونظام الأمم الغربية، هناك أمم قد استرسلت مع أهوائها وشهواتها، لم يزعها دين صحيح، وهنا أمة لا تريد من الحرية إلا ما أباح لها دينها الحنيف، وشتان بين المذهبين، إذا كنا نخشى من السفور شرًا فلنعلم قبل كل شيء أن هذا الشر ليس لازمًا «ذاتيًا» للسفور وإنما هو نتيجة لازمة لفساد النفوس، تقع في السفور وتحت الحجاب على السواء، وليس لها من دواء إلا أن نتوخى

(١) محمود محمد الجوهري: الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية، دار الوفاء، ط٢، سنة ١٤٠٩م، ص٨٨.

(٢) راجع: طه حسين، الأيام ١٧٦/١.

حرة في أعمالها وأقوالها يستحيل أن تقوم بما يجب عليها حق القيام.

لذلك لم يأت الدين الإسلامي بما يقيد هذه الحرية أو يقص جناحها، وإنما جاء بما يجعل هذه الحرية صالحة نافعة يقوم بها أمر المرأة، وتنتظم أحوالها][1].

فطه في كلامه سالف الذكر يركز على قضية تربية المرأة على معاني العفاف والطهر إذ جعل ذلك بمثابة الأساس قبل التركيز على قضية اللباس والزينة وهذا حق لا مراء فيه، ولكن عرض الكلام على هذا النحو فيه تغرير وخداع، إذ أنه يوحي أنه لا حرج على المرأة من السفور إذا كانت عفيفة صالحة النفس!!

ثم إن كلامه عن حرية المرأة كلام مرسل فيه كثير من الغموض فهو يريد لها حرية مطلقة! ولا ندري ماذا يريد بها؟ ثم هو يجعل من المنفعة مقياسًا لحدود هذه الحرية من خلال حكم العقل والعادة والدين! فالدين متأخر على حكم العقل والعادة! والشأن في الدين ـ في تصور المسلم ـ أن يكون له الحكم الأول، ويكون المقياس الذي يزن الإنسان به أموره هو نصوص الدين المتمثلة في القرآن والسُّنَّة.

ثم يعود الدكتور طه فيتسائل [ما الذي فرضه الإسلام على المرأة؟ وما الذي أمرها به؟ (ثم يجيب) فرض عليها العفة كما فرضها على الرجل وأمرها أن تتجنب سبيل الظنة كما أمر بذلك الرجل.

عرف أن في المرأة وجمالها فتنة للرجل هي مظنة الفسوق فنهاها عن أن تبدي من زينتها ما تستطيع إخفاءه، وهو غير الوجه واليدين فقد

(١) السيد تقي الدين: طه حسين آثاره وأفكاره، ص٤٠، ٤١.

وما المراد بالفريضة إذا لم يكن هناك إلزام بلباس تراعي فيه الحشمة والوقار وذلك بأن يكون سابغًا واسعًا فضفاضًا، إن الدكتور يركز على أن العفة شيء مصاحب للنفس لا يرتبط بزي ولا مخالفة له في هذا، لكن ليس هذا كل الحق [فقد يبدو لبعض المخدوعين أن الزي الإسلامي عرض خارجي لا يرتبط بأعماق الإنسان ولا بجوهره، والحقيقة أن هناك علاقة تفاعل بين شكل الشيء ومضمونه، وهذه قاعدة مضطردة تجري على الأشياء والإنسان... وعليه يكون كل مظهر من حياة الناس مرتبطًا بعلاقة تفاعل وتأثير بصميم روحه، فملابس الشجاعة تبث في الرجل روح الشجاعة، وملابس الخنوثة تعطيه التخنث والميوعة، وملابس العفة تبث في المرأة روح العفة، وملابس المجون والخلاعة تصبغها بالمجون والخلاعة](1).

ومن هنا نعلم أن القول بأنه لا حرج على المرأة أن تلبس ما شاءت طالما تحمل بين جنبيها نفسًا متعففة إنما هو ضرب من الخداع والتغرير، والحق أن الأمرين متلازمان لإيجاد المرأة المسلمة الملتزمة بتعاليم دينها والمراد تطابق الشكل الظاهري مع الحقيقة الخلقية الباطنة.



(١) محمود محمد الجوهري: الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية، ص١٤١ بتصرف.

مظنونة التحقيق، والمظنة مبنى الأحكام في الأديان والشرائع قديمًا وحديثًا، ومن اختبر النساء، وابتلى طبيعتهن عرف أن المرأة مهما كانت طاهرة الذيل نقية الجيب عفيفة النفس، فإنها مظنة الانخداع بأماني الرجال ووعودهم ولا سيما إذا قرنت إلى الثناء»[1].

ثم دلل بأمر السفر ليؤكد مشروعية الاختلاط وكأني به يقول: إن الاختلاط بالأجنبي فيما دون الخلوة والسفر مباح لا حظر فيه وكان مما قاله في نفس السياق: «عرف الإسلام ضعف المرأة عن المقاومة البدنية والنفسية فحظر عليها أن تسافر إلا مع زوج أو محرم يدفع عنها ختل الخاتل، وشر القائل»[2].

ولئن كان الدكتور طه لجأ إلى الأسلوب غير المباشر في الدعوة إلى الاختلاط في بدايات كتاباته الصحفية[3]؛ فإنه لم يتحرّج من المباشرة والمصارحة حين رفع طلاب كلية الآداب (التي كان الدكتور يتقلد عمادتها آنذاك) مذكرة إلى مدير الجامعة طالبوا فيها بتدريس الدين كمادة أساسية في جميع الكليات وتوحيد زي الطلبة، وتوحيد زي الطالبات ثم تحديد دراسة خاصة بالطالبات في كلية الآداب[4].

وكان المطلب الأخير بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير أو بمثابة الشرارة التي أشعلت أوار معركة ضارية بين المحافظين والمجددين كما يحلو للبعض أن يسمي طرفي النزاع بذلك.

---

(١) (٢) السيد تقي الدين: طه حسين آثاره وأفكاره، ص٤١، ٤٢.

(٣) كان ذلك على صفحات مجلة الهداية في مارس سنة ١٩١١م.

(٤) راجع: نص المذكرة في كتاب وثائق قضايا طه حسين ١/٢٩١.

وأنت إذا فرقت بين الفتيات والفتيان في الجامعة ومعاهد العلم، لم تستطع أن تضمن التفريق بينهم خارج الجامعة ومعاهد العلم، فهم يلتقون في الملاعب، وهم يلتقون في دور السينما، وهم يلتقون في قاعات المحاضرات، وهم يلتقون في ألف مكان ومكان، وليس الخير في أن تثير لهم هذه الشبهات فتلفتهم إليها، وتحملهم على التفكير فيها وتضطرهم إلى المقاومة، وإلى ما قد يكون أكثر من المقاومة، وإنما الخير في أن تخلي بينهم وبين الحرية السمحة النقية، التي ليست من الحظر بحيث يظن المتحرجون الذين يتخيلون الأخطار ويختلقونها في أنفسهم ثم يظنون أنها واقعة. ومهما يقل القائلون فأنا حسن الظن جدًّا بأخلاق الشباب المصريين فتيات وفتيانًا لا أسيء الظن إلا حين تدعو القرائن القوية إلى ذلك ولم يقع في الجامعة ما يحمل على سوء الظن.

**رابعًا**: إن الذين يدعون إلى التفريق بين الفتيات والفتيان في الجامعة لا يريدون بالطبع أن يحرموا التعليم الجامعي على الفتيات، وإذًا فهم يريدون أن تنشأ جامعة خاصة للفتيات كما تنشأ لهن مدارس ثانوية، ولكنهم يرسلون الكلام إرسالاً، ولا يفكرون فيما يقولون، فليس إنشاء الجامعات بالشيء الذي يكون بين عشية وضحاها، وإنما هو يحتاج إلى كثير جدًّا من الاستعداد وأيسر ما يحتاج إليه المال؛ وما أظن مصر مستعدة الآن؛ بل ما أظنها قادرة على أن تجد المال لإنشاء جامعة ثانية، مع أنها تتكلف جهدًا غير قليل لتنفق على جامعتها الوحيدة.

وأنا أقول مخلصًا: إن وزير المالية إذا كان يستطيع أن يوفر في ميزانية الدولة أموالاً تكفي لإنشاء جامعة للفتيات، فإني أنصح له ألا يسمح بهذه الأموال لهذا الغرض، فليس في حياتنا ما يدعو إليه وليس

والمنتديات[1]، وأن السُّنَّة النبوية قد جاءت بنص صريح في ذلك فقد ورد في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قالت النساء للنبي ﷺ، غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يومًا من نفسك، فوعدهن يومًا لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن[2]، وهو حديث مقطوع بصحته متنًا ورجالاً.

أما تبريره الثاني فردوا عليه بأن عدم معرفة العميد بشيء يخيف الفتنة كما يقول لا يقتضي أن يقف الدكتور في وجه رغبات الأشراف الذين يبغون للأسرة المصرية حياة مملوءة بالشرف والسعادة والدعة والهدوء، حياة تديّن، حياة معرفة بأصول الإسلام وقواعد الدين[3].

وأما تبريره الثالث بأن الحياة الحديثة تقتضي بأن يشتد الاتصال بين الرجال والنساء فرده عليه زميل له ممن شاركه في الدراسة في الغرب والاتصال به[4] حين أعلن: «أن طلبة الجامعة حين يرغبون في إيجاد مكان خاص لدراسة الطالبات لا يطلبون بعملهم هذا أكثر من أن يكونوا كالطلبة الإنجليز، ففي إنجلترا كليات عليا كثيرة للتعليم، وهذه الكليات جعلت للطلبة أمكنة غير أمكنة الطالبات»[5].

---

(١) من رد فضيلة الشيخ عبد الرزاق سليمان، المنشور بجريدة المصري الصادرة في غرة المحرم سنة ١٣٥٦هـ الموافق ١٤ مارس سنة ١٩٣٧م. نقلاً عن وثائق قضايا طه حسين ٣١٣/١، ٣١٥.

(٢) رواه البخاري ١٧٥/١ في العلم، باب هل يجعل للنساء يومًا على حدة في العلم، ومسلم رقم (٢٦٣٣) في البر والصلة، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه ١٨١/١٦.

(٣) وثائق قضايا طه حسين ٣١٥/١.

(٤) هو الدكتور منصور فهمي.

(٥) وثائق قضايا طه حسين ٣٠١/١.

سخيفة كهذه. فقد قلت وما زلت أقول: إنني لا أعرف في كتاب الله عز وجل ولا في سُنّة رسوله ﷺ نصًّا يحرم على الفتيات والفتيان أن يجتمعوا في حلقات الدرس حول أستاذ يعلمهم العلم والأدب والفن»[1].

ولأن الدكتور أكد على أنه لا يعرف في القرآن والسُّنَّة نصًّا يحرم على الفتيات والفتيان أن يجتمعوا في حلقات الدرس أسوق رأي الفقهاء في هذه النقطة على الخصوص.

[جاء في «المفصل في أحكام المرأة» ما نصه: هل يباح الاختلاط لغرض التعليم، فتجلس الإناث مع الذكور في غرفة واحدة لتلقي الدرس، كما يجري الآن في الكليات؟ أم لا بد من الفصل بين الذكور والإناث وتعليم كل صنف على حدة، في غرفة مستقلة به؟

**والجواب**: لا بد من الفصل وتعليم النساء على حدة، وتعليم الرجال على حدة، والدليل على ذلك الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: قالت النساء للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يومًا من نفسك. فوعدهن يومًا لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن، فكان مما قاله لهن: «**ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كانوا لها حجابًا من النار**، فقالت امرأة: واثنين؟ قال: واثنين»[2]، ومعنى: «غلبنا عليك الرجال» أن الرجال يلازمونك كل الأيام ويسمعون العلم وأمور الدين، ونحن نساء ضعفة لا نقدر على

(١) نشر هذا الرد في جريدة «المصري» يوم الأربعاء ٣ من ذي الحجة سنة ١٣٥٥هـ الموافق ١٣ مارس سنة ١٩٣٧م. نقلاً عن وثائق قضايا طه حسين ١/٣٠٣، ٣٠٤.

(٢) سبق تخريجه.

البنين والبنات بعد البلوغ أمر غير مشروع، بل يرقى إلى درجة المحظور سدًّا للذرائع إلى الفساد، لا سيما في سن المراهقة التي تتغلب فيها الرغبات الجامحة على العقل، وفي ظل انعدام الالتزام بآداب الإسلام في الملابس وفي الحديث والمخالطة)[(١)].



(١) الشيخ جاد الحق علي جاد الحق: حول اتفاقية القضاء على أشكال التميز ضد المرأة من المنظور الإسلامي ـ هدية مجلة الأزهر، شهر صفر سنة ١٤١٦هـ يوليو سنة ١٩٩٥م، ص٤٤.

يتحقق فيها هذا المعنى كما يتحقق في الرجل وعلى هذا إذا بلغت الأنثى وكانت عاقلة صارت مكلفة بتكاليف الشريعة ومخاطبة بأحكامها، وثبتت لها الحقوق ووجبت عليها الواجبات التي تقررها هذه الأحكام، ثم إن خطابات الشارع وأحكامه الموجهة إلى الرجل موجهة كذلك للمرأة)[1].

لكن الذي يحدث للأسف أن بعض المترجلات من النساء يريد أن يشتط في طلب ما ليس له كمطالبة بعضهن بأن يتساوين مع الرجل في الميراث أو أن يباح لهن تعدد الأزواج كما يباح للرجل تعدد الزوجات أو أن تساوي شهادتها بشهادة الرجل أو أن يكون لها حق القوامة كما هو حق للرجل.

وفي المقابل يقوم بعض القساة من الرجال بظلم المرأة وهضم حقوقها.

«إن الذي يتدبر القرآن الكريم يحس المساواة العامة في الإنسانية بين الذكور والإناث، وأنه إذا أعطي الرجل حقًّا أكثر فلقاء واجب أثقل، لا لتفضيل طائش»[2].

«لما كان الرجل بعيدًا عن مشاغل الحيض والنفاس والحمل والرضاع كان أجلد على ملاقاة الصعاب، ومعاناة الحرف المختلفة، وكان الضرب في الأرض ابتغاء الرزق ألصق به هو، ومن ثم فقد كلفه الإسلام بالإنفاق على زوجته وعلى قرابته الإناث الفقيرات، وتبع ذلك

---

(١) د. عبد الكريم زيدان: المفصل في أحكام المرأة ١٧٥/٤ بتصرف يسير.

(٢) الشيخ محمد الغزالي: قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة سنة ١٩٩٩م، ص٣٥.

وعن أسماء بنت يزيد[1] الأنصارية من بني عبد الأشهل رسول النساء إلى النبي ﷺ أنها أتت النبي ﷺ وهو بين أصحابه فقالت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله. أنا وافدة النساء إليك، إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة. فآمنا بك بإلهك، وإنا معشر النساء مقصورات، قواعد بيوتكم، ومقْضَى شهواتكم، وحاملات أولادكم وإنكم ـ معشر الرجال ـ فُضِّلتم علينا بالجُمع والجماعات، وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل، وإن الرجل إذا خرج حاجًّا أو معتمرًا أو مجاهدًا، حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا أثوابكم، وربينا أولادكم. أفما نشارككم في هذا الأجر والخير؟

فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال:

**«هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مساءلتها في أمر دينها من هذه؟»**.

فقالوا: يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا، فالتفت النبي ﷺ فقال: **«افهمي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته، يعدل ذلك كله»** فانصرفت المرأة وهي تُهلِّل)[2].

---

(١) جعلها أحمد بن حنبل وأبو عمر ابن عبد البر هي وأسماء بنت يزيد بن السكن شخصية واحدة وميَّز بينهما أبو عبدالله بن منده وأبو نعيم الأصفهاني. ذكره ابن الأثير في أسد الغابة ١٩/٦.

(٢) ذكره ابن الأثير في أسد الغابة في ترجمة أسماء بنت يزيد الأنصارية ١٩/٦، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد بلفظ مقارب وعلق عليه بقوله: رواه البزار وفيه رِشدين بن كُريب وهو ضعيف. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٥٦٠/٤، ٥٦١. وله أسانيد أخرى فيها ضعف عند البيهقي في: الشعب (٢٨٨٠)، وأبي نعيم: في معرفة الصحابة (٢٥٨٥)، وابن عساكر: تاريخ دمشق (٢٢٥٨)، (١٠٤١٢) وهو حسن بمجموع الطرق.

**رابعًا**: منع الزواج بأكثر من واحد.

**خامسًا**: إباحة الزواج بين المسلمات والأقباط)[1].

ومن غير المنكور أن هذه الأفكار استقاها أصحابها من الغرب عن طريق الدراسة بجامعاته أو عن طريق المتابعة لأفكار الغرب وآثاره بقراءة كتبه ودورياته. وليس ينكر كذلك الدور الخطير الذي قام به المبعوثون للدراسة في أوروبا بعد عودتهم إلى بلادهم، إذ عمدوا على نقل ما رأوه وشاهدوه مما يمثل الجانب الاجتماعي للغرب إلى بلاد المسلمين.

فرجل مثل رفاعة الطهطاوي[2] (يمجد المسرح الفرنسي ويعجب به ويتكلم عن الطلاق الذي لا يتم عند الفرنسيين إلا أمام المحكمة بناءً على دعوى الفاحشة، كما يتكلم عن عاداتهم في اختلاط الرجال بالنساء وينفي أن يكون الاختلاط والتبرج داعيًا إلى الفساد أو دليلاً على التساهل في العرض ويؤكد أن السفور والاختلاط بين الجنسين ليس داعيًا إلى الفساد وأن مرد الأمر كله إلى التربية)[3].

وهذه الأفكار بذاتها هي التي رددها قاسم أمين ـ الذي درس في فرنسا أيضًا ـ في كتابيه «تحرير المرأة، والمرأة الجديدة». خاصة الكتاب

---

(١) محمد بن أحمد إسماعيل المقدم: عودة الحجاب، دار العقيدة مصر، ط١٤، سنة ١٤٢٠هـ، ٢٨/١، ٢٩ بتصرف، أنور الجندي: حركة تحرير المرأة في ميزان الإسلام، دار الأنصار سلسلة على طريق الأصالة الإسلامية عدد ١٥، ص٢٦.

(٢) سبقت ترجمته، ص٤٩.

(٣) د. عبد الفتاح بركة: دور الاستشراق في تغريب المرأة المسلمة، هدية مجلة الأزهر، المحرم ١٤٠٦، ص٤٦، ٤٧.

العرب سماه «المرأة في الشرق»[1] كان رائده الحق والإنصاف في كتابته فمدح الإسلام في نظرته للمرأة فكان من كلامه المجمل بعد أن ذكر قضايا المرأة بإسهاب وإعجاب:

«وهنا نستطيع أن نكرر، إذن قولنا: إن الإسلام، الذي رفع المرأة كثيرًا، بعيدٌ من خفضها، ولم نكن أول من دافع عن هذا الرأي فقد سبقنا إلى مثله كوسان دوبرسفال[2] ثم مسيو بارتيلمى سانت هيلر[3]، ولم يقتصر فضل الإسلام على رفع شأن المرأة، بل نضيف إلى هذا أنه أول دين فعل ذلك، ويسهل إثبات هذا ببياننا أن جميع الأديان والأمم التي جاءت قبل العرب أساءت إلى المرأة»[4].

على حين نجد رجلاً مثل «غوستاف فون جرونيباوم» ـ المعروف بحقده على الإسلام والذي صنفه بعض الباحثين[5] على أنه من المتطرفين من المستشرقين ـ يحاول أن يظهر بمظهر الإنصاف فيخلط الحق بالباطل ويقع في شيء من الاضطراب والتخبط، فمن أقواله في هذا الشأن:

---

(١) جاء هذا الفصل في الصفحات (٣٩٧ ـ ٤١٥).

(٢) كوسين دوبرسفال، جان جاك (١٧٥٩ ـ ١٨٣٥) فرنسي درس في معهد فرنسا وعين أستاذًا للعربية فيه سنة ١٧٨٤ ثم انتدب أمينًا للمخطوطات العربية في دار الكتب الملكية من (١٧٨٧ ـ ١٧٩٠) وانتخب عضوًا في مجمع الكتابات والآداب (١٨١٦)، العقيقي. المستشرقون ١/١٦٥.

(٣) بارتيلمي سانت هيلر (١٨٠٥ ـ ١٨٩٥) فرنسي، وهو كاتب سياسي بحث أديان الشرق في كتب بديعة، منها: محمد والقرآن (١٨٦٥)، بوذا الهندي (١٨٥٩)، العقيقي: المستشرقون ١/١٨٣.

(٤) غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص٤٠٤ ـ ٤٠٦.

(٥) الدكتور محمد البهي في كتابه الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص٤٤٩.

كان يشرك في مهتماته ومسراته الذهنية طائفة من النساء منفصلة انفصالاً تامًّا عن أولئك اللواتي كان يشاطرهن حياته العائلية][1].

فكلام المستشرق آنف الذكر مفعم بالأخطاء الكثيرة فهو بعد أن يقرر أن الإسلام جعل للمرأة ذمة مالية خاصة[2]، وأن الإسلام حسّن مركزها من ناحية الميراث (!!) ولا أدري لماذا استخدم لفظ التحسين أهو نوع من الخداع ليوهم قراءه أنه قصد الإنصاف؟ وما فعل! فإذا كان الإسلام قد حسَّن فقط مركز المرأة في الميراث فماذا كان فعل الشرائع الوضعية أو فعل أتباع الديانات السماوية من قبله.

(وما الذي جاءت به القرون بعد القرون من زيادة للمرأة على نصيبها من عدل الإسلام؟

خير ما لها في الإسلام لم يدركه خير ما لها في العصر الحديث، وشر ما يصيبها من الإسلام ـ إن جاز القول بهذا ـ رحمة ونعمة بالقياس إلى الشر الذي يسلمها العصر الحديث إليه، ولا تزال فضائل العصر الحديث في حاضرها ومآلها دعوى لم يؤيدها ثبوت من حوادث الواقع ولا من مبادئ النظر.

فأما حوادث الواقع فشكوى المرأة منها في بيتها وفي دنياها كأسوأ ما كانت في عهد من العهود، وأما مبادئ النظر فلا خير للمرأة أن تكون على مبدأ القرون الوسطى شيطانًا يسلم الإنسان ما سلم منه،

---

(١) غوستاف فون جرونيباوم: حضارة الإسلام، ص٢٢٤، ٢٢٥ بتصرف.

(٢) يضيف المستشرق عمل الشارع إلى رسول الله وما أدري أقصد من ذلك القول ببشرية الوحي أم قصد المجاز باعتبار الرسول ﷺ المبلغ عن الله.

# الفصل العاشر

## طه حسين والحضارات

**ويحتوي على تمهيد وثلاثة مباحث:**

**التمهيد:**

**المبحث الأول:** طه حسين والحضارة الغربية.

**المبحث الثاني:** طه حسين والحضارة المصرية القديمة.

**المبحث الثالث:** طه حسين والحضارة الإسلامية.









# طه حسين والحضارات

## تمهيد

قبل الخوض في حديث الدكتور طه حسين عن الحضارات المختلفة يجدر بنا أن نقف على المعنى اللغوي والاصطلاحي للحضارة.

[ولكن قبل الدخول في تعريف الحضارة هناك قضيتان:

١ ـ أجد في بعض التعاريف نوعًا من الرغبة في الإكثار والتعدد لدرجة كبيرة، فالدولة مثلاً، وهي مؤسسة قد يزيد اليوم عمرها عن سبعة آلاف عام، نجد لها أكثر من (١٤٥) تعريفًا، وفي الحضارة نجد أكثر من (١٦٥) تعريفًا، وهذه الكثرة الكاثرة أمر بات معروفًا يصعب قبوله.

٢ ـ لدينا في اللغة العربية عدة مصطلحات متقاربة، مثل:

**حضارة، وثقافة ومدنية**، يقابلها في الإنجليزية على سبيل المثال (civilization - Culture) والذين اشتغلوا بالترجمة لم يلتزموا نمطًا واحدًا، فمرة ترجموا (Culture) بالثقافة ومرة بالحضارة وفعلوا ذات الشيء في

القطامي[1]:

فمن تكن الحضارة أعجبته فأي رجال بادية ترانا

كما أنشد أبو الطيب[2]:

حسن الحضارة مجلوب بتطرية ومن البداوة حسن غير مجلوب

**الحضارة اصطلاحًا:**

(الحضارة في الاصطلاح يعود أصلها الغربي إلى المدينة، وهنا يطابق الأصل العربي (الحاضرة) بمعنى المدينة، والمتحضر ساكن الحضر، وشاع في العربية: سكان الحواضر، وأهل الحواضر في مقابل البادية وأهل البادية، لكن الاستعمال الغربي للحضارة لم يتبلور قبل القرن الثامن عشر)[3].

ونظرًا لأن هناك خلطًا بين الثقافة والحضارة كان لا بد من بيان المراد بكل منهما وبيان العلاقة التي تربط بينهما.

(الثقافة في أدنى مستوياتها هي مجموع الاستجابات والمواقف التي يواجه بها شعب من الشعوب ـ بحسب عبقريته ـ ضرورات وجوده الطبيعي من مأكل وملبس وتناسل.

---

(١) القطامي: عمير بن شييم بن عمرو بن عباد من بني جشم بن بكر التغلبي الملقب بالقطامي (أبو سعيد) شاعر، كان من نصارى تغلب في العراق وأسلم. من آثاره: ديوان شعر، توفي عام ١٣٠هـ. معجم المؤلفين ٢/٥٨٦.

(٢) أبو الطيب المتنبي: (٣٠٣ ـ ٣٥٤هـ/٩١٥ ـ ٩٦٥م) أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي، الكوفي المعروف بالمتنبي (أبو الطيب) شاعر، حكيم، ولد بالكوفة فاق أهل عصره في الشعر، من آثاره: ديوان شعر. معجم المؤلفين ١/١٢٦.

(٣) د. نعمان عبد الرزاق السامرائي: نحن والحضارة والشهود ١/٦٢.

التقدم المادي مثل الألمان... وهناك من يجعله شاملاً لكل أبعاد التقدم مثل الفرنسيين... وفريق ثالث يحصر التقدم بما هو خاص بالفرد، ورابع يجعله شاملاً للفرد والجماعة... وهناك فريق خامس حاول أن يجعل من مصطلح (civilization) مفهومًا عالميًا، أي: هناك حضارة واحدة، تساهم المجتمعات فيها كل بنصيب ـ كما قدمنا ـ.

ـ أما الثقافة فهي خاصة بكل شعب وهناك فريق سادس يعكس القضية فيجعل الثقافة عامة والحضارة خاصة)[1].

ولئن كان الأوروبيون في تعريفهم للحضارة قد حصروها في مشتملاتها من معتقدات وفنون وآداب وقوانين وعادات يكتسبها الإنسان بصفته عضوًا في مجتمعه فإن لها في التصور الإسلامي تعريفًا أقوم وأهدى.

## الحضارة في المنظور الإسلامي:

الحضارة في المنظور الإسلامي: [هي الحضور والشهادة بجميع معانيها، التي ينتج عنها نموذج إنساني، يستبطن قيم التوحيد والربوبية وينطلق منها كبعد غيبي، يتعلق بواحدنية خالق الكون، وواضع نواميسه وسننه والمتحكم في تسييره، ومن ثم فإن دور الإنسان ورسالته هي في تحقيق الخلافة عن خالق هذا الكون في تعمير أرضه وتحسينها، وتزجية معاش الناس فيها، وتحقيق تمام التمكين عليها والانتفاع بميزاتها، وحسن التعامل مع المسخرات في الكون، وبناء علاقة سلام معها، لأنها مخلوقات تسبح الله، أو رزق لا بد من حفظه وصيانته. كذلك

---

(١) المرجع السابق، ص٦٦، ٦٧ بتصرف.



# المبحث الأول

## طه حسين والحضارة الغربية

كانت قراءات طه حسين الصيفية وهو في مراحل الطلب الأولى بمثابة النافذة الأولى على الثقافة الغربية إذ اطلع على بعض الكتب والقصص المترجم.

وكانت اختلافه إلى الجامعة المصرية واختلاطه بطائفة «المطربشين» كما أسماها خطوة ثانية في سبيل افتتان طه حسين بأوروبا والحضارة الأوروبية... [فقد ألقى الشيخ عبد العزيز جاويش في روعه فكرة السفر إلى أوروبا وإلى فرنسا خاصة.... والغريب أن هذه الفكرة مازجت نفسه، وأصبحت جزءًا من حياته، وجعلته ينظر إليها لا على أنها حلم يداعبه نائم أو يقظان. بل على أنها حقيقة يجب أن تكون][(١)].

[وتظهر لنا انهزامية طه حسين الفكرية والنفسية واضحة جلية أمام صاحبه الأديب الذي صار عضوًا في البعثة إلى أوروبا، وصاحبه متزوج بامرأة وفيّة، وأنه لن يقاوم الحياة الأوروبية وآثارها في نفسه كما ينبغي

(١) طه حسين: الأيام ٤٧/٣ بتصرف.

الصغيرتين ثقل السنين التي توارثها الأجيال أثناء ثلاثة عشر قرنًا.

أأقول الحق أم أخفيه؟ وما لي لا أصطنع الشجاعة ولا أحمل نفسي على بعض ما تكره... لقد استحييت من صاحبي واستحييت حتى انتهيت إلى الخزي وأحسست كأن رأسي ذاب في عمامتي وكأن هذه العمامة لم تكن تستقر على شيء، وأخذت أتضاءل في جبتي وقفطاني حتى خيّل إلي أنهما يستقران على هذا الكرسي لا يملؤهما شيء][1].

ولما كان هذا الزي الأزهري يذكره ويحثه على أن يأخذ نفسه بمسلك أهله من استقامة الرأي واعتداله حرص طه أن يزيح عن نفسه هذا الرداء في أقرب فرصة.

ولذا لما تهيأت له أسباب السفر (وصعد الفتى ـ طه ـ إلى «أصبهان» يتعثر في جبته وقفطانه.. ولم يكد يبلغ غرفته في الدرجة الثانية ويسمع الجرس المؤذن بقرب إقلاع السفينة حتى خرج من جبته وقفطانه وتخفف من عمامته ودخل في الزي الأوروبي)[2].

تنازل عن زيه الأزهري ولما يغادر مصر بعد، وهو الذي طالما أهاب بالشرقيين ألا يبدلوا زيهم الشرقي بالزي الأوروبي ففي مقال له بجريدة «الجريدة» يقول:

(مخطىء كل الخطأ صاحب الزي الشرقي الجميل يستبدله بالزي الغربي مرضاة لهوى كاذب وشهوة خادعة. إن للشرق زيًا تدعو إليه

---

(١) د. عبد المجيد المحتسب: طه حسين مفكرًا، ص٦٦، ٦٧، طه حسين: أديب، ص٨٨، ٨٩.

(٢) طه حسين: الأيام ٣/٧٦.

(ليس لي ماضي أنعم بذكره، ولا مستقبل ألهو بالتفكير فيه، ولكن لي حاضرًا يهيج في قلبي ألوانًا من الحزن، ويغري بنفسي فنونًا من الأسى ذلك الحاضر هو هذه الساعة، أذكر في هذه الساعة ثلاثة أيام يوم ولدت، ويوم سافرت إلى أوروبا، وهذا اليوم... في مثل هذا اليوم ولدت منذ ست وعشرين سنة، وفي مثل هذا اليوم سافرت إلى أوروبا منذ سنة واحدة، وأنا الليلة في القاهرة أرجو ألا يصبح علي الغد إلا وقد رحلت إلى حيث لا يرجع ظاعن ولا يرجى لمرتحل إياب. لا تصبح أيها الليل عن هذا الغد... تلك الأشهر التي أمضيتها في فرنسا هي التي جعلت ليوم ميلادي في نفسي قيمة ما)[1].

وفي مقالة أخرى[2] يقول: (ما أكثر ما زار الناس أوروبا وما أكثر ما سعدوا بزيارتها وشقوا بفراقها، ولكن ما أسرع ما تسلوا عنها وعادوا من حياتهم القديمة إلى ما كانوا فيه غير ضجرين، ولا والهين، ولكني أقسم ما تطاولت الأيام على أوبتي إلا أذكى تطاولها في نفسي اللوعة والحسرة وضاعف في قلبي الهم والأسى).

وخلال دراسة طه حسين بأوروبا اتصل اتصالاً وثيقًا بالثقافة اليونانية واللاتينية الأمر الذي كان له تأثير كبير في حياته الثقافية والعملية.

---

(١) السفور الصادرة في ١٤ نوفمبر سنة ١٩١٦م. نقلاً عن: أنور الجندي: صفحات مجهولة من حياة طه حسين (بحث ضمن كتاب: طه حسين كما يعرفه كتاب عصره)، ص٥٩، ٦٠.

(٢) السفور الصادرة في ٢٤ نوفمبر سنة ١٩١٥م نقلاً عن أنور الجندي: المصدر السابق، ص٦٠.

ضروب التطور وألوان الاستحالة والرقي حتى انتهى إلى حيث هو الآن»[1].

ويذهب طه حسين إلى أن أشد الشعوب تأثرًا بالعقل المصري أولاً وتأثيرًا فيه بعد ذلك هو العقل اليوناني[2].

يقول طه مصورًا هذه العلاقة (فلما كان فتح الإسكندر[3] للبلاد الشرقية واستقرار حلفائه في هذه البلاد، اشتد اتصال الشرق بحضارة اليونان واشتد اتصال مصر بهذه الحضارة بنوع خاص، وأصبحت مصر دولة يونانية أو كاليونانية، وأصبحت الإسكندرية عاصمة من عواصم اليونان الكبرى في الأرض، ومصدرًا من مصادر الثقافة اليونانية للعالم القديم)[4].

هذا الكلام السابق جاء إجابة على سؤال قدمه طه حسين نصه: (هل العقل المصري شرقي التصور والإدراك والفهم والحكم على الأشياء أم هل هو غربي التصور والإدراك والفهم والحكم على الأشياء؟ وبعبارة موجزة جلية: أيهما أيسر على العقل المصري: أن يفهم الرجل الصيني أو الياباني، أو أن يفهم الرجل الفرنسي أو الإنجليزي)[5] وعلى ضوء الإجابة السابقة انتهى إلى حكم نهائي (أنه مهما نبحث ومهما نستقص فلن نجد ما يحملنا على أن بين العقل الأوروبي ـ الذي قام

---

(١) د. كمال حامد مغيث: طه حسين ومصادره الفكرية، ص٤٥.

(٢) المرجع السابق، ص٤٦.

(٣) الإسكندر المقدوني من أصل إغريقي كانت له غزوات حربية في بلاد الشرق مات سنة ٣٢٤م. راجع: و.ج. دي بورج: تراث العالم القديم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة سنة ١٩٩٩، ص٢١٠.

(٤) طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، ص٢٩.

(٥) مستقبل الثقافة، ص١٧.

واحتملنا في سبيلها ضروب المحن والآلام][1].

وكأن الدكتور طه قدَّر خطورة ما يدعو إليه فأراد أن يخفف من وقع حديثه على النفوس فقال:

[فإذا دعونا إلى الاتصال بالحياة الأوروبية ومجاراة الأوروبيين في سيرتهم التي انتهت بهم إلى الرقي والتفوق، فنحن لا ندعو إلى آثامهم وسيئاتهم، وإنما ندعو إلى خير ما عندهم وأنفع ما في سيرتهم][2].

وعلى الرغم من هذا الاستدراك فإن كلمة الدكتور الأولى والتي دعا فيها إلى أخذ الحضارة الغربية بحلوها ومرها إنما كانت تعبر حقيقة عن توجهه وسيرته العملية.

إن كتابات طه حسين وصداقاته للكثيرين من أهل الغرب تدل دلالة قاطعة على هيام حسين طه بالحضارة الغربية وشدة تعلقه بها.

فمنذ عودته من فرنسا بعد مرحلة الطلب وهو لم يكف عن الكتابة عن أوروبا والإشادة بها، ولقد كان حريصًا على أن يقضي الإجازات الصيفية في باريس وغيرها من المدن الأوروبية، وكان لهذه الزيارات النتاج الظاهر؛ فكتب «صوت باريس»[3]، وهو عبارة عن قصص تمثيلي لكتاب فرنسيين وكتب «لحظات»[4] في جزأين وهو كسابقه في موضوعه وإن فاقه في أنه يصور عددًا من القصص الداعر، ولعل أسماء القصص فقط توحي بمضمونها وما انطوت عليه، فتقرأ في

(١) المرجع السابق، ص٤٦.

(٢) المرجع السابق، ص٦٣.

(٣) طه حسين: صوت باريس (٢/١)، الأعمال الكاملة المجلد ١٣.

(٤) طه حسين: لحظات (٢/١)، الأعمال الكاملة المجلد ١١.

أندريه جيد وسارتر وكافكا هو توجه حضاري ثقافي تمليه اعتبارات الجيرة الروحية على شواطىء البحر المتوسط. . .

أما الآلات والماكينات فربما كانت اليابان والصين أكثر حذقًا من الأوروبيين في هذا الصدد، ولكن الحضارات الآسيوية لا تستطيع أن تؤثر في عقلي وروحي وإن بنت لي أعلى العمارات وشيدت لي أرفع أجهزة اللاسلكي][(١)].

إن الادعاء بأن مصر لها رابطة بالغرب ودول البحر المتوسط وأن العقل المصري هو عقل يوناني استمد ثقافته من فلسفة اليونان القديمة ولهذا فهو وثيق الصلة بالعقل الأوروبي دعوة خطيرة لها أهداف أشد خطورة من الدعوة ذاتها. إنها تهدف إلى (عزل مصر عن العرب والعالم الإسلامي وإدخالها في الحلف اللاتيني الذي أنشأته إيطاليا وفرنسا وإسبانيا بوصفها دول البحر المتوسط ـ وكانت فرنسا هي التي تقود هذه الدعوة ـ والنظرية تقوم على أساس أن مصر قطعة من أوروبا)[(٢)].

وهذا المعنى هو الذي ردده طه حسين كثيرًا وركز عليه في كتابه «مستقبل الثقافة» فهو يقول صراحة في نهاية فصل «سماه مستقبل الثقافة بمصر مرتبط بماضيها البعيد»: (إن العقل المصري منذ عصوره الأولى عقل إن تأثر بشيء، فإنما يتأثر بالبحر الأبيض المتوسط وإن تبادل المنافع على اختلافها فإنما يتبادلها مع شعوب البحر الأبيض المتوسط)[(٣)].

---

(١) د. عبد المجيد المحتسب: طه حسين مفكرًا، ص٢٠٣، ٢٠٤ نقلاً عن مجلة الثقافة العربية: العدد التاسع، هكذا تكلم طه حسين لآخر مرة، حوار بقلم غالي شكري، ص٤٥.

(٢) أنور الجندي: محاكمة فكر طه حسين، ص٣٣١.

(٣) طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر: ٢١.

## طه حسين وفولتير[1]:

«إن طه حسين يشبه فولتير في غالب أمره. . . في رأيه باستحالة التوافق بين العلم والدين والقول بالصراع بينهما، فولتير هاجم رجال الكهنوت، وطه حسين هاجم رجال الأزهر، طه لا يؤمن بأن الإسلام دين ودولة تأثرًا بالمفكر الفرنسي وفولتير كان يؤمن بأن الدولة يجب أن تتخلص من نير السلطان الديني وأن تتحرر من ربقة الكهنوت لتصبح دولة علمانية.

ـ يؤمن طه بما يؤمن به فولتير من أن الدين يرتبط بالعاطفة والخيال وأن العلم يرتبط بالعقل والمنطق، وأن الدين جامد يعذب الإنسان في صراعه ضد غرائزه ورغباته».

## طه حسين ودوركايم[2]:

تأثر طه حسين بدوركايم إذ قال كل منهما بتقديس الجماعة والإيمان بالجبر التاريخي المطلق. ولقد كان هذا الفيلسوف مشرفًا على

---

(١) فولتير: فرانسوا (١٦٩٤ ـ ١٧٧٨) فيلسوف ومفكر فرنسي، نشأ في باريس، وتعلم في كلية لويس الأكبر اليسوعية، عوقب بالسجن أحد عشر شهرًا في الباستيل، ثم سجن مرة أخرى لاتهامه بإهانة أحد النبلاء، ثم رحل إلى إنجلترا وأعجب بأفكار نيوتن ولوك، ثم أصبح مؤرخًا بالبلاط الملكي، وعضوًا بالأكاديمية الفرنسية، وكرس حياته للدفاع عن ضحايا رجال الدين، والسياسة، اشترك في دائرة المعارف الفرنسية، ودفن في مقبرة العظماء والبانثيون. الموسوعة العربية الميسرة ١٣٣٧/٢.

وانظر: أليكس جورافسكي: الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، ترجمة: د. خلف محمد الجراد، دار الفكر، دمشق سوريا سنة ٢٠٠٠، ص٩٨.

(٢) سبق تعريفه، ص٦٧.

استطاع أن يتخذ من الرذيلة والضعف البشري موضوعًا للفن وكان متأثرًا بأندريه جيد كشخصية متمردة على كل شيء بدرجة كبيرة ومن قوله: أنه يحب أندريه جيد ويترسم خطاه وأنه يصور نفسه من خلال شخصيته][١].

## طه حسين وبول فاليري[٢]:

تأثر به طه حسين في الافتتان بالعقل وتقديره، ففاليري كما يقول طه نفسه: «يسميه الفرنسيون شاعر العقل، ونستطيع أن نسميه عقل الشعر؛ فهذان الوصفان يصورانه أصدق تصوير»[٣].

**يقول طه عن تأثره به:**

«عرفت بول فاليري حين فجأ مجده الناس في أعقاب الحرب الماضية، وظلت معرفتي له تتقدم شيئًا فشيئًا حتى أصبح أحب المعاصرين إليّ من أدباء فرنسا وآثرهم عندي، وحتى أصبح الوقت الذي أنفقه مع كتبه أعز الأوقات إليّ وأكرمها عليّ وحتى اتخذت لنفسي منه صورة غريبة رائعة فيها كثير جدًّا من التواضع وكثير جدًّا من الكبرياء وفيها كثير جدًّا من السماحة وكثير جدًّا من الامتياز»[٤].

ومن هنا نستطيع القول بأن توجه طه إلى الحضارة الغربية إنما كان وليد عن التأثر بفكر أبنائها وليس غريبًا أن يقف المستشرق

---

(١) لخصت ذلك عن كتاب طه حسين وحياته وفكره في ضوء الإسلام للجندي من ص٢٤، ٤٧.

(٢) سبق ترجمته، ص٤٧٧.

(٣) طه حسين: «ألوان»: المجموعة الكاملة ٦/٤٣٣.

(٤) طه حسين: «ألوان» المجموعة الكاملة ٦/٤٤٤.

ومعلوم أن التصور الصحيح لعلاقتنا بالحضارة الغربية أن نأخذ منها ما ينفعنا في دنيانا دون مساس بثوابتنا العقدية ومرجعيتنا الإسلامية (فخير للعالم الإسلامي اليوم أن يأخذ من المدنيَّة الغربية كل علمها وتجاربها في الصناعة والزراعة والتجارة والطب والهندسة وسائر العلوم من غير قيد ولا شرط ثم يحتفظ مع ذلك بروحانيته التي يقوم بها هذا العلم، فتجعله موجهًا لخير البشرية لا لغلو في كسب مال، ولا لإفراط في نعيم، ولا للقوة والغلبة ولكن للخبر العام)[١].

وهذا ما اصطلح العلماء عليه بالجمع بين الأصالة والمعاصرة، أن يكون للمسلمين ثوابتهم التي يصدرون عنها ويحكمونها في نظرتهم لواقعهم وحياتهم، ثم المشاركة في صنع الحاضر والمستقبل وعدم الغياب أو الانعزال عن واقع الحياة وأساليب النهضة الحديثة.

## الدكتور يتراجع عن رأيه:

- ولعل الدكتور طه حسين ثاب إلى رشده في تلك النقطة في آخريات حياته، وذلك حين كتب بحثه «مرآة الإسلام» الذي ختمه ببيان سبل النهضة للعرب والمسلمين فكان من مقالته:

(ليعلموا أن الطريق بينهم وبين الرقي الصحيح طويلة شديدة الطول شاقة عظيمة المشقة وأنهم قد أتيح لهم الآن شيء من يقظة تمكنهم من أن يختاروا بين اثنتين:

**إحداهما**: أن يظلوا كما هم الآن أيقاظًا كالنيام ونيامًا كالأيقاظ،

(١) حسين أحمد أمين: موقف المسلمين العرب من الحضارة الغربية، مجلة العربي الكويتية العدد ٤٠٢ مايو سنة ١٩٩٢م.

ما دعا إليه الدكتور ليس هذه النظرة التوفيقية التي قوامها (مراعاة الشيئين دون الوصول إلى أمر ثالث والتي مثلتها دعوة الإمام محمد عبده في دعوته إلى المصالحة بين القديم ممثلاً في الحضارة العربية وبين الجديد ممثلاً في الحضارة الأوروبية)[١].

ما دعا إليه الدكتور في كلامه الأخير إنما هو مقام الوسطية أو مقام الكمال (ذلك الذي يجاور بين الاثنين ـ الماضي والحاضر ـ من أجل صيغة ثالثة يحتفظ الاثنان فيها بخصائصهما ولا يندمجان ولكن يحدث بينهما ارتباط من نوع دقيق)[٢].

هذا المقام الذي أطلق عليه بعض المفكرين[٣] مسمى «مرحلة الثقة والنضج» والتي هي مرحلة وسط بين تيار الرافضين للحضارة الغربية الحديثة بأسرها، وتيار المهرولين إليها المسارعين فيها الداعين إلى أخذها جميعًا حلوها ومرها وما يحمد منها وما يعاب.

مرحلة الثقة والنضج التي تتطلب القيام بموقفين جديدين يكمل أحدهما الآخر.

(**أولهما**: تجاوز مرحلة (الدفاع) ـ أي: عن الذات ـ إلى مرحلة (نقد الحضارة الحديثة) في أصولها الفكرية والأخلاقية ـ ليس بقصد التبغيض فيها لرفضها ولكن لبعث الثقة في الإنسان المسلم وحضارته

---

(١) د. عبد الحميد إبراهيم: نحو وسطية معاصرة حلًا للأزمة، مجلة المنهل العدد ٤٩٥ شوال وذو القعدة ١٤١٢هـ أبريل ومايو ١٩٩٢م، ص٣٣ ـ ٣٥ بتصرف.

(٢) المرجع السابق، ص٣٤.

(٣) هو: الدكتور عبد الحليم عويس: موقف الفكر الإسلامي المعاصر من الحضارة الحديثة، مجلة المنهل العدد ٤٩٥ شوال، ذي القعدة سنة ١٤١٢هـ أبريل ومايو سنة ١٩٩٢م، ص٢٠.



# المبحث الثاني

## طه حسين والحضارة المصرية القديمة

(دعا الدكتور طه حسين إلى الإقليمية المصرية مع إعلائها والدعوة إلى الفرعونية وإنكار رابطتها العربية والإسلامية، والادعاء بأن لها رابطة بالغرب ودول البحر المتوسط وأن العقل العربي هو عقل يوناني استمد ثقافته من الفلسفة اليونانية في القديم؛ وهو عقل غربي في الحديث استمد ثقافته من أوروبا)[(١)].

وهذا الكلام كثيرًا ما ردده الدكتور في كتابه «مستقبل الثقافة» ولكن الأمر الأعظم من ذلك هو ما ادعاه الدكتور من أن تأثير الحضارة الفرعونية في المصريين أقوى وأبقى من تأثير الإسلام يقول الدكتور موضحًا لهذا المعنى:

[وكانت مصر من أسبق الدول الإسلامية إلى استرجاع شخصيتها القديمة التي لم تنسها في يوم من الأيام. فالتاريخ يحدثنا بأنها قاومت الفرس أشد المقاومة وبأنها لم تطمئن إلى المقدونيين حتى فنوا فيها،

(١) أنور الجندي: محاكمة فكر طه حسين، ص٣٣١.

افتتحها العرب لم تلبث أن استغرقت فاتحيها، ولكن هؤلاء أبقوا لها أهم عناصر الحضارة وهي الدين واللغة والفنون»[1]، فالقاسم المشترك بينهم جميعًا قولهم بأن مصر أفنت المغيرين في نفسها أو ردتهم عنها وأنها حين أفنتهم فيها طبعتهم بطابعها، وأثرت فيهم ولم يؤثروا فيها بما فيهم الإسلام، وإن كان لوبون قد أنصف المسلمين في آخر كلامه بأنهم منحوا المصريين عناصر مهمة من أصول الحضارة هي الدين واللغة والفنون.

وطه يؤكد هذا المعاني حين يكثر من طرقها ففي رده على أحد الكتاب[2] «الذين كتبوا عن المصريين القدماء أنهم فكروا في الموت كثيرًا وتحدثوا عنه كثيرًا حتى ماتت الأمة المصرية موتًا لم تمته أمة أخرى ففقدت استقلالها ألفي عام».

كان من رد طه: «أعتقد أن الأمة المصرية لم تمت قط وهي لم تفقد استقلالها ألفي عام ولئن كانت فقدته حينًا أو أحيانًا إنها لم تنسه قط... لم تمت الأمة المصرية وآية ذلك أنها لا تزال حية تشعر وتحس وتفكر وتناضل في سبيل الحياة، ولم تنس استقلالها يومًا منذ دالت دول الفراعنة؛ وآية ذلك أن الأجانب الذين تسلطوا عليها قد اضطروا دائمًا إلى إحدى اثنتين فإما أن يتجنسوا بجنسيتها ويندمجوا فيها، وإما أن يأخذوا مصر بشيء من العنف والقهر يشبه الأحكام العرفية... لم تمت الأمة المصرية ولم تنس استقلالها ومتى ماتت هذه الأمة؟ أكانت ميتة حين أساغت الفلسفة اليونانية وطبعتها بطابعها الخاص؟

---

(١) د. عبد المجيد المحتسب: طه حسين مفكرًا، ص٢٢٢، ٢٢٣.

(٢) هو الأستاذ سلامة موسى.

مما نعرف نحن المصريين[1].

هذا الأمر ـ معرفة الغربيين بحضارة المصريين القدماء وآثارهم: الذي أثار غيرته فتمنى أن لو عرفت طوائف الشعب جميعًا تلك الآثار البائدة، ولما سمع من قسيس غربي محاضر في الجغرافية تمنى أن لو وجد من مشايخ المسلمين من يضم إلى علمه الشرعي علمه بالآثار المصرية خاصة الآثار الإسلامية[2].

فتدريس الآثار، المصرية القديمة نقطة أولاها طه كثير من الاهتمام منذ عودته من أوروبا وتعرفه على اهتمام الأوروبيين بالآثار فكتب في الصحف مؤكدًا على هذا الأمر في جريدة السياسة اليومية ومجلة «الكاتب المصري» التي كان يشرف على تحريرها.

يقول طه بمقال بمجلة الكاتب المصري ـ وهو يعلق على كتاب صدر للدكتور سليم حسن بعنوان: «الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة»: (إذا كان لي أن أتمنى شيئًا فهو أن تشد عناية المصريين بهذا اللون من التراث المصري القديم وأن تشيع العناية به في الجامعات وفي معاهد العلم حتى في المدارس الثانوية نفسها فمن أخطر الواجبات على المصريين أن يتعمقوا العلم بتراثهم القديم)[3].

ومن الجدير بالذكر أن مجلة الكاتب المصري هذه عنيت

---

(١) طه حسين: مستقبل الثقافة، المجموعة الكاملة ٤٩٣/٩، طه حسين: حديث المساء تحقيق محمد سيد كيلاني، ص١٨٩.
(٢) طه حسين: من بعيد: المجموعة الكاملة ٩٤/١٢.
(٣) طه حسين: صدر حديثًا باب حرره طه، مجلة الكاتب المصري ٢٧٩/١ ـ ٢٨١.

وآخر يكتب مقالاً بعنوان: «آثار حضارة الفراعنة في حياتنا اليومية» يستعرض فيه أوجه الشبه بين حياة المصريين القدماء والمعاصرين ختمه بقوله:

(فنحن، كما رأينا، نعيش في نطاق تركة خلَّفها لنا القدماء، تشدنا إليها سلسلة من التقاليد والعادات ومختلف الأشياء التي تربطنا بها ربطًا وثيقًا لا نجد إلى قصم عروته سبيلاً، فنحن كما كنا وسنظل دائمًا أبناء الفراعنة، وإنا بهذه التركة بكل ما فيها من محاسن وعيوب لجد فخورين)[1].

وثالث يكتب عن العناصر المكونة للقومية المصرية فيجعل الوجود المستمر للجماعة المصرية أول هذه العناصر ويعنى به تأثر المعاصر بالقديم، وانتفاعه بتاريخ أجداده ومما قاله تحت هذا العنوان: (وإن التاريخ ليدحض دعوى المتحاملين على القومية المصرية، ويفند مفتريات القائلين بأننا قوم طال عهدنا بسيطرة الغزاة والخضوع لحكم الطغاة حتى فقدنا قوميتنا، واستحلنا مجموعة من أفراد متعددة عناصرهم متنافرة مواردهم ومصادرهم.

فما هبط وادينا شعب، مستوطنًا أو فاتحًا، إلا طويناه وتمثلناه وطبعناه بطابعنا وصغناه في قالبنا، وأدمجناه في قوميتنا.

صنعنا هذا بالهكسوس والأثيوبيين والفرس واليونان والرومان والعرب والأتراك واحتفظنا بأشكالنا وسحننا ومعظم تقاليدنا وعاداتنا.

---

(١) محرم كمال: آثار حضارة الفراعنة في حياتنا اليومية، مجلة الكاتب المصري، المجموعة الكاملة ٣/٣١٢.

تحول دون تحقيق هذا التغريب)[١].

ومما قاله هذا المستشرق في الموضوع ذاته:

(وقد كان من أهم مظاهر فرنجة العالم الإسلامي تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة التي ازدهرت في البلاد المختلفة التي يشغلها المسلمون الآن، فمثل هذا الاهتمام موجود في تركيا وفي مصر وفي إندونيسيا وفي العراق وفي فارس وقد تكون أهميته محصورة الآن في تقوية شعور العداء لأوروبا، ولكن من الممكن أن يلعب في المستقبل دورًا مهمًا في تقوية الوطنية الشعوبية وتدعيم مقوماتها)[٢].

[إن الإسلام لا يمنع المسلم من العناية بتاريخ بلده القديم، بل أمره أن يسير في الأرض لينظر في آثار من سبق وكيف كان عاقبة أمرهم. قال الله تعالى آمرًا المؤمنين بالنظر والاعتبار في التاريخ السابق: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٩﴾[٣]، وغيرها كثير تأمر بالاعتبار وأخذ العلوم النافعة من التاريخ القديم بما فيها من خير وعز، وكذلك الاعتبار بأولئك الأقوام الذين اتخذوا أندادًا من دون الله مع أنهم كانوا أصحاب حضارة وعلم فما أغنت عنهم

---

(١) د. مانع الجهني: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، بالرياض، ط٣ سنة ١٤١٨هـ ٧١٢/٢.

(٢) محمد بن عبدالله الهبدان: تعظيم الآثار رؤية شرعية، مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، لندن، العدد ١٦٢ صفر سنة ١٤٢٢، ص٩.

(٣) سورة الروم، الآية: ٩.

الطارئة على طرائق الحياة والتفكير الإنساني عبر التاريخ ولا ريب أن في هذا خيرًا كثيرًا من شأنه أن يوسع آفاق النظر التاريخي، ولكن الإسلام لا يرضى من المؤمن أن يقف من الآثار القديمة عند هذا الحد وحده؛ إنه يحضه على السياحة والتأمل في آثار القدامى ضمن منطقه الرباني الذي نتبينه من قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[1].

فالهدف من سياحة المسلم إذن هو التأمل في عواقب الأمم والأحداث ليزود قلبه بالعبرة التي تستبقي علاقته بالله حية متوهجة)[2].

«فالإسلام لا ينكر خواص الأمم والشعوب فهو يعترف بأن لكل شعب ميزاته وقسطه من الخلق والفضيلة وأن العرب لهم من ذلك النصيب الأوفى... ولكن المسلم الحق ينكر اعتبار هذه المميزات القومية مصدرًا عقديًا ومؤهلاً فكريًا يصرف العرب ويغنيهم عن رسالة الإسلام»[3].

فحين يراد إحياء التاريخ القديم وبعثه للإيمان بما فيه من وثنية بعد أن منَّ الله علينا بنعمة الإسلام، فإن ذلك ولا شك أمارة على سوء نية الداعين إليه وأنهم يهدفون إلى قطع الأواصر التي تربط الأمة بدينها واستبدال الوحدة الإسلامية بقوميات ضعيفة.

ومن هنا يمكن القول بأن الدكتور طه حسين لم يكن موفقًا في دعوته إلى الفرعونية وإحيائها.

---

(١) سورة الروم، الآية: ٩.

(٢) د. جمعة علي الخولي: تاريخ الدعوة، دار الطباعة المحمدية، ط١ سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ١/١٢٩، ١٣٠.

(٣) فتحي يكن: الإسلام فكرة وحركة وانقلاب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١ سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٦٥ بتصرف.

وإنما ورثت حضارتهم أيضًا، وورثت معها ما كان عند هذه الأمم من ثقافات متباينة، نقلتها كلها إلى اللغة العربية وصبتها كلها في القالب العربي، بحيث يمكن أن يقال: إن الحضارة الإنسانية التي كان يغلب عليها الطابع اليوناني قد غلب عليها الطابع العربي في القرون الأربعة الأولى للهجرة)[1].

فالدكتور طه حسين يرى الحضارة اليونانية أصل الحضارات جميعًا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والحضارة الإسلامية ورثت الحضارة اليونانية ويترتب على هذا وجود تشابه بين العقل الإسلامي والعقل الأوروبي.

ولما تحدث الدكتور عن العقل الأوروبي ذكر أن الكاتب الفرنسي بول فاليري شخّصه وردّه إلى عناصر ثلاثة: (حضارة اليونان وما فيها من أدب وفلسفة وفن، وحضارة الرومان وما فيها من سياسة وفقه، والمسيحية وما فيها من دعوة إلى الخير وحث على الإحسان) ثم يقول: (فلو أردنا أن نحلل العقل الإسلامي في مصر وفي الشرق القريب أفتراه ينحل إلى شيء آخر غير هذه العناصر التي انتهى إليها تحليل بول فاليري؟

خذ نتائج العقل الإسلامي كلها. فستراها تنحل إلى هذه الآثار الأدبية والفلسفية والفنية، والتي مهما تكن مشخصاتها فهي متصلة بحضارة اليونان وما فيها من أدب وفلسفة وفن، وإلى هذه السياسة والفقه اللذين مهما يكن أمرهما فهما متصلان أشد الاتصال بما كان

(١) طه حسين: «ألوان»، المجموعة الكاملة ٦/٤٠٠، ٤٠١.

**ثانيًا**: إنه لا يمكن لأمة ما ـ ولم يحدث في التاريخ مطلقًا ـ أن أخذت مناهج حضارة أخرى كاملة، وإنما هو الاقتباس للأصول العامة الصالحة واستبقاء الأصول الأساسية الذاتية لكل أمة وكل حضارة][1].

ومع إغراق الدكتور في مدح حضارة اليونان فقد أقر للحضارة الإسلامية والعربية ببعض المزايا لم تتوافر لغيرها من الحضارات يقول الدكتور عن ذلك: [ففي أقل من أربعين سنة اجتمع هذان العالمان ـ الفرس والروم ـ تحت راية واحدة وهي الراية الإسلامية وأخذا يتعاونان في إنشاء حضارة واحدة هي الحضارة الإسلامية... وامتزجت الأمم بعضها ببعض وتبادلت ما كان عندها من العلم ومن التراث الثقافي ومن الفن أيضًا، ونشأ عن هذا كله أن توحدت الحضارة بعد أن كانت منقسمة مختلفة، وأصبحت حضارة جديدة لها طابع جديد هو هذا الطابع الإسلامي العربي وتغيرت لغة هذه الحضارة فبعد أن كانت يونانية في الشرق الأدنى وفارسية في الشرق المتوسط أصبحت هي اللغة الوحيدة ـ اللغة العربية ـ لغة هذه الحضارة... وقد عرف اليونان حضارة راقية ممتازة ولكنها كانت مقصورة عليهم وعرف الرومان حضارة راقية ممتازة أيضًا ولكنها كانت مقصورة عليهم لا تكاد تتجاوزهم إلى غيرهم من الخاضعين لهم، ولكن العرب عرفوا هذه الحضارة ولم يستأثروا بها دون الأمم المغلوبة بل لعلهم تركوا أكثرها للأمم المغلوبة واستأثروا ببعض فنون الحكم وتدبير الملك][2].

فالدكتور يرى أن الحضارة الإسلامية امتازت بثلاثة أشياء:

---

(١) أنور الجندي: محاكمة فكر طه حسين، ص٣٣٨.

(٢) طه حسين: التجديد والتقليد: المجموعة الكاملة ١٦/٤٣٠ ـ ٤٣٢ بتصرف كبير.

الماجنين ولكنهم شهدوا مع هذا كله نسك النساك وزهد الزهاد وورع أصحاب الورع والصلاح.

وقد ورثنا آثار أولئك وهؤلاء مكتوبة، ورثنا شعر بشار وأبي نواس وأضرابهما كما ورثنا فقه الأئمة وكلام المتكلمين وزهد الزهاد، والغريب أننا ننتفع بكل ما ورثنا من أسلافنا ولا يخطر لأحد من أشد الناس محافظة أن يحظر درس بشار[1]، وأبي نواس[2]، ولا أن يطلب إلى السلطان تحريق ما ورثنا من آثار الفلاسفة والزنادقة والمجان الذين لا يرضى عنهم الدين ولا تقر الفضيلة سيرهم وآراءهم، ولو قد دعا داع إلى استصدار قانون بتحريق شعر أبي نواس وبشار وأضرابهم لكان رجال الدين أنفسهم أسرع الناس إلى إنكار هذه الدعوة البشعة وأشد الناس سخطًا على من يدعو بها أو يجيب إليها.

والأمر في حياة الأوروبيين كالأمر في حياة المسلمين أيام بني أمية وبني العباس. لهم حضارة خصبة مزدهرة تنتج ما تنتجه الحضارة الإنسانية دائمًا من الخير أو الشر ففيهم أصحاب الجد وفيهم أصحاب الهزل وفيهم أصحاب التقوى وفيهم أصحاب الفجور، ولن توجد في الأرض حضارة إلا وهي تنبت الخير وتثمر التقى والإثم][3].

وهذا الكلام لا يُسلَّم به للدكتور؛ ومتى كان المجون والدعوة إليه مظهرًا من مظاهر الحضارة وأظهر معاني الحضارة البناء والرقي، وهذان لا يظهران في جو الخلاعة والمجون وإنما الهدم والسقوط الأخلاقي لصيق بهذا الجو ومصاحب له.

---

(١) سبق التعريف به، ص٤٢٣.

(٢) سبق التعريف به، ص٤٢٣.

(٣) طه حسين: مستقبل الثقافة، المجموعة الكاملة ٩/٦٦، ٦٧.

فحين كتب الأستاذ توفيق الحكيم[1] مقالاً في مجلة الرسالة[2] هاجم فيه العرب وحاول أن يضع من شأنهم في مقابل مجد الفراعنة الذي كان يدعو إليه فكان من مقاله عن العرب أن قال: (كل شيء يحسونه ـ يعني العرب ـ إلا عاطفة الاستقرار وكيف يعرفون الاستقرار وليس لهم أرض ولا ماض ولا عمران؟ دولة أنشأتها الظروف ولم تنشئها الأرض، وحيث لا أرض فلا استقرار وحيث لا استقرار فلا تأمل، وحيث لا تأمل فلا ميثولوجيا ولا خيال، ولا تفكير عميق ولا إحساس بالبناء، لهذا لم يعرف العرب البناء سواء في العمارة أو في الأدب أو في النقد والأسلوب العربي في العمارة من أوهى أساليب العمارة التي عرفها تاريخ الفن، وإذا عاش اليوم فإنما يعيش بالزخرف).

لما كتب الحكيم هذا ردَّ عليه طه حسين في الرسالة أيضًا[3] بمقال تحت عنوان: إلى الأستاذ توفيق الحكيم جاء فيه:

«... ولكن رأيك في العرب وآثارهم في حاجة شديدة جدًّا إلى التقويم وقد ذهب إلى مثل ما ذهبت إليه جماعة من المستشرقين منهم: دوزي[4] ورينان، وأحسبكم جميعًا تظلمون العرب ظلمًا شديدًا وتقضون في أمرهم بغير الحق فلو أنكم ذهبتم تقارنون بين العرب وبين

(١) توفيق الحكيم أديب مصري ولد بالإسكندرية سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م تخرج من مدرسة الحقوق، له نشاط في مختلف الأنواع الأدبية في الرواية والقصة والمسرحيات توفي سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢) الرسالة. العدد العاشر ١٩٣٣/٦/١م.

(٣) الرسالة في ١٩٣٣/٦/١٥م.

(٤) دوزي: مستشرق هولاندي من أصل فرنسي (١٨٢٠ ـ ١٨٨٣) كان يجيد لغات عديدة، لقي شهرة واسعة وحظي بعضوية كثير من المجامع العلمية وعده المستشرقون أول فاتح للدراسات الأندلسية. المستشرقون ٣٠٨/٢، ٣٠٩.

والمعري وغيرهم لما وجد عند الفرنسين رينان ولا كازانوفا ولا ماسينيون ولا غيرهم»[1].

فخلاصة رأي الدكتور في الحضارة الإسلامية والعربية لم يجاوز بأية حال الثقافة واللغة وحسب، لأنه كان يرى أن الإسلام أخفق في وجوده كدولة ونظام سياسي، ومع ذلك فقد كان طه يؤكد أن (الحضارة العربية والإسلامية لا غنى عنها للمفكر الشرقي بدون الافتقاد إلى الثقافة الغربية)[2].

## بعض المستشرقين أكثر إنصافًا:

قد يعجب الإنسان من آراء بعض المسلمين في حضارة الإسلام لمجافاتها للحقائق ولقيامها على أسس باطلة، ولأنهم وقعوا تحت تأثير الانبهار بالحضارة الغربية، ولكن الإنسان لا يعجب حين يرى نفرًا من أهل الغرب أكثر إنصافًا للإسلام وتاريخه وحضارته من بعض العرب والمسلمين.

فرجل مثل جورج سارتون[3] يشترك مع الدكتور طه حسين في إقراره مميزات الحضارة العربية والإسلامية، فيذكر اللغة العربية وأثرها في وحدة المسلمين قائلاً: (ولم يكن النبي محمد يعرف من اللغات غير العربية ومع ذلك فقد قال بسمو هذه اللغة وتفوقها على ما عداها

---

(١) طه حسين: من حديث الشعر والنثر، المجموعة الكاملة ٥/٥٧١ ـ ٥٧٢.

(٢) مصطفى عبد الغني: طه حسين والسلطة في مصر، ص٤٦١.

(٣) جورج سارتون: (١٨٨٤ ـ ١٩٥٦) مستشرق أمريكي من أصل بلجيكي، درس في جامعة واشنطن وهارفارد في تاريخ العلم. عرف بإنصافه للعرب والمسلمين، خلف أكثر من خمسمائة بحث أفضلها المدخل إلى تاريخ العلم وهو ثلاثة أجزاء في خمسة مجلدات. المستشرقون ٣/١٤٧.

للحضارة فيذكر أن محمدًا جاء بدين (فيه من السماحة وفيه من البساطة والاعتدال ما يسر لأي إنسان في أي موطن أن يتقبله وينفذ إلى روحه وجوهره منذ اللحظة الأولى... وأنه ـ أي: محمد ﷺ ـ بشَّر بدين جمع قلوب الناس على عقيدة التوحيد وقد سبق بهذا الاعتبار الفرقة المسيحية التي تقول بالطبيعة الواحدة بقرون تسعة)[١].

فكان جورج سارتون المستشرق الأمريكي أكثر وضوحًا في بيان أثر الإسلام في البعث الحضاري للعرب والمسلمين بما امتاز به من عقيدة سليمة وعبادة صحيحة وأخلاق سامية عجزت النظم والفلسفات الأرضية أن تهتدي لمثلها أو قريب منها.

هذا الجانب الذي لم يكن واضحًا في كلام الدكتور عن الحضارة الإسلامية فقد انتبه لبعض آثار تلك الحضارة كوحدة اللغة الجامعة للمسلمين الممثلة في العربية، ونقل المسلمين للحضارة وعدم استئثارهم بها... ولكن طه أغفل مقومات الحضارة الإسلامية أو أخص مقوماتها وهو مقوم العقيدة والذي تقوم عليه الحضارات بأسرها (فإذا أمكن إقناع إنسان بعقيدة ما، فإنه سينزل عند متطلباتها دون معارضة قوية، من هنا يعتبر عامل العقيدة مهمًا وفاعلاً في التحضر، لأن الإنسان يتأثر تأثيرًا كبيرًا بدينه ومعتقده.. العقيدة أو الدين هو ما يميز الإنسان عن الحيوان، وكافة الحضارات والإمبراطوريات كان لها دين تعتز به، وتستمد التشريع منه.. يقول الفيلسوف البريطاني برنارد شو[٢] «كنت

---

(١) جورج سارتون: العلم الإسلامي، بحث ضمن كتاب الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته من ص١٢٠ ـ ١٤٠.

(٢) جورج برنارد شو (١٨٥٦ ـ ١٩٥٠م)، مسرحي إنجليزي شهير، اشتراكي المذهب، له أعمال مسرحية كثيرة. راجع: علي عبد الفتاح: أعلام في الأدب العالمي، ص١٩٤.

# الفصل الحادي عشر

## مناهج البحث بين المستشرقين وطه حسين

**ويشتمل على تمهيد وستة مباحث:**

**التمهيد**

**المبحث الأول:** تحكيم الهوى والوهم.

**المبحث الثاني:** التهوين والتهويل.

**المبحث الثالث:** الاعتماد على المصادر الضعيفة.

**المبحث الرابع:** تعميم الخاص ـ وتخصيص العام.

**المبحث الخامس:** النقل عن الآخرين بغير وعي.

**المبحث السادس:** توسيع دائرة البحث وسرعته.









# مناهج البحث بين المستشرقين وطه حسين

## تمهيد

قبل الخوض في الموضوع يحسن بنا الوقوف على مصطلح «مناهج البحث» لمعرفة معناه وما يدل عليه.

**المنهج**: يدل معناه اللغوي: على الطريق الواضح والمنهاج كالمنهج[1] في المعنى، وفي التنزيل: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[2].

### والمنهج في اصطلاح الباحثين من المناطقة:

«يدل على طائفة من القواعد العامة المصوغة من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلم. أو هو طرق كسب المعرفة، أو هو طريق كسب المعرفة، أو هو علم التفكير»[3].

---

(١) الأزهري: تهذيب اللغة، القاهرة ١٩٦٤، ٦٢/٩، والمعجم الوجيز ٦٣٦، مختار الصحاح: ٦٨١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٣) د. عبد المجيد دياب، تحقيق: التراث العربي منهجه وتطوره، منشورات سمير أبو داود القاهرة ١٩٨٣، ص٢٢٧.

وجمع البيانات)[1].

(ويمتاز هذا التعريف بما يلي:

١ ـ دل على المعنى اللغوي للكلمة من حيث الاستعلام والاستقصاء في الطلب، والتفتيش، والكشف والتنقيب.

٢ ـ أشار إلى غاية هذا الجهد الذي يقوم به الباحث سواء لاكتشاف معلومات لم يسبق للباحث معرفتها أصلاً، أو تصحيح وتطوير المعلومات الموجودة فعلاً.

٣ ـ أكد على ضرورة اتباع قواعد معينة، واتخاذ أدوات خاصة لبلوغ هذا الغرض)[2].

وهدف هذا المبحث مقارنة منهج البحث عند طه حسين بمناهج البحث عند المستشرقين لا سيما وقد أعلن الدكتور في أكثر من مرة أنه شديد التأثر بالمستشرقين.

فحين سئل عن مقدار تأثره بالمستشرقين (قال: تأثري بالمستشرقين شديد جدًّا، ولكن لا بآرائهم بل بمناهجهم في البحث، وهذا يوصلني أحيانًا إلى أن أستكشف كثيرًا من الخطأ في آرائهم، لأن علمهم بالعربية وأسرارها ودقائقها أقل من علم المتخصصين العرب)[3].



(١) د. أحمد بدر: أصول البحث العلمي ومناهجه، وكالة المطبوعات، الكويت، ط٥، سنة ١٩٧٩، ص١٨.

(٢) د. عبدالله سمك: البحث العلمي بين الأصالة والمعاصرة، ب. ن، ط١، سنة ١٩٩٤، ص٦.

(٣) فؤاد دوارة: عشر أدباء يتحدثون، دار الفكر، مصر، ب. ت، ص٢٠.

وقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[1]. فقد حصر الأمر في شيئين: الوحي وهو الشريعة، والهوى فلا ثالث لهما، وإذا كانا كذلك فهما متضادان وحين تعين الحق في الوحي توجه للهوى ضده فاتباع الهوى مضاد للحق... وتأمل فكل موضع ذكر الله تعالى فيه الهوى فإنما جاء به في معرض الذم له ولمتبعيه وقد روي هذا المعنى عن ابن عباس أنه قال: ما ذكر الله الهوى في كتابه إلا ذمه)[2].

واتباع الهوى عامل من عوامل دفعت بعض الباحثين أن يحكم على نتاج معظم المستشرقين بأنها لا توصف بأنها علمية إذ نادرًا ما يتجرد المستشرق في بحثه من ميراثه الديني أو العقيدي حين يعالج أمرًا متعلقًا بالدين.

(فالاستشراق من فرع رأسه إلى أخمص قدميه، غارق في الأهواء، والثقافة الأوروبية والحضارة الأوروبية تستقبل «الأهواء» بلا نكير ولا أنفة بل هي تسوِّغ استعمال رذيلة «الأهواء» في الدنيا وفي الناس بلا حرج، لأنها حضارة قائمة على المنفعة والسلب ونهب الأمم وإخضاعها بكل وسيلة لسلطانها المتحضر)[3].

ولعل هذا الكلام ينسجم مع كلام غوستاف لوبون حين أراد أن يكشف عن سر تعصب المستشرقين ضد الحضارة الإسلامية فقال:

(قد يسأل القارىء: لماذا ينكر تأثير العرب ـ يعني في الحضارة

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣، ٤.

(٢) الإمام الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، شرح وتحقيق الشيخ عبدالله دراز، دار المعرفة بيروت، ط٢، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ٢/٤٧٠، ٤٧١ بتصرف.

(٣) أ. محمود محمد شاكر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص١١٧.

«الدكتور طه في نقده للمؤلفات العصرية والأدباء والشعراء المعاصرين يميل كثيرًا مع هواه، لأنه يعتبر النقد عملاً أدبيًا محضًا فيعمل على إظهار تذوقه وتتجلى شخصيته بأغراضها وأهوائها في نقداته ومن السهل أن تستكشف عواطف الدكتور وميوله بل وأهوائه وأغراضه. تستكشف أنه متأثر بالحب في هذا الفصل وبالصداقة في ذلك الفصل والبغض والحسد في ذياك الفصل»[1].

ولعل تحكيم الدكتور للهوى ظهر في كثير من نواحي حياته فهو يتخذ من الهوى أداة للحكم على الأحداث وتفسيرها، ويتخذه أداة لقبول الأحاديث النبوية وردها والحكم بصحتها أو عدمه، ولعل من كلماته المشهورة في هذا السياق هي قوله في إثبات بعض الحوادث: «وأكبر الظن أن ذلك قد كان» وحين يريد نفي شيء يقول: «وأشك أعظم الشك» وكأن إثبات الأمور ونفيها قائم على الشكوك والظنون!

ولعل من القضايا الظاهرة في هذا الجانب إصراره على رمي العرب بتحريق مكتبة الإسكندرية متابعًا في ذلك لنفر من المستشرقين المتعصبين مخالفًا لأساتذته الذين برأوا العرب من تلك الفرية من أمثال كازانوفا وجريفني وغيرهم.

وكذلك يظهر إيثاره للهوى في تفسيره للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بمنظار المفكرين الغربيين الذين يفسرون به التاريخ الغربي والحضارة الغربية مع تباين الواقعين عقيدة ونظامًا وشريعة وبيئة ودوافع تباينًا كليًا... وكذلك قياسه المؤمن السليم الذي يخشى الله

---

(١) أنور الجندي: طه حسين حياته وفكره في ضوء الإسلام، ص١٥٠.

التزوج بالأجنبيات أو بالكتابيات إلى حكم التحريم القاطع مع أن الحكم محل اختلاف بين العلماء.

(إن الازدواجية ظاهرة بشرية، وجدت مع وجود الظاهرة الحياتية الإنسانية. ولكنها يجب أن لا تتعدى السلوك إلى الفكر، لأن الفكر يتعلق بالإرادة لا بالمنفعة. . لقد عالج طه مواضيعه بازدواجية عجيبة، فتارة يظهر الإيمان كشيخ ملتزم وتارة يربط قصص القرآن بالأساطير، ومرة يعتبر العرب غزاة دخلوا مصر مع دخول الإسلام ومرة أخرى يعتبر لغة العرب هي لغة مصر وأن اللغة العربية، والأدب والدين تمصرت جميعًا منذ قرون ويدعو إلى المصرية المغلقة طورًا ويدعو إلى حضارة البحر الأبيض المتوسط طورًا آخر)[1].



(١) عبد الغني الملاح: مقالات في طه حسين، ص١٢٦، ١٣٢ بتصرف.

الخطايا التي تشوه الإسلام)[1].

ولقد برزت تلك السمات في بحوث المستشرقين من خلال محاور متعددة مثل:

(١ ـ تضخيم الأخطاء الصغرى وجعلها تطغى على ساحة صورة تاريخ المسلمين، وطمس الصورة الرائعة المشرقة في هذا التاريخ.

٢ ـ تجميع الهفوات التي لا تخلو منها أمة مهما عظمت كمالاتها ووضعها في صورة واحدة، وتقديمها على أنها هي كل صورة تاريخ المسلمين.

٣ ـ تفسير النصوص والحوادث والوقائع والنيات والغايات تفسيرات لا تتفق مع دلالاتها وأماراتها الحقيقية ولا مع النتائج التي أثبتها تاريخ الأمة الإسلامية)[2].

ولقد برز هذا المنهج لدى المستشرقين في كل ما يتعلق بالإسلام جملة وتفصيلاً فحاولوا أن يضعفوا من شأن الإسلام فادعوا أنه مقتبس من مصادر يهودية ونصرانية وأنه لم يأت بجديد عمن سبق من الشرائع وادعوا أنه رسالة تهذيبية تهدف إلى تربية الشعور وتقويم الأخلاق ولا شأن له في وقائع الحياة، وادعى كثير منهم أن تاريخ المسلمين لا يتميز عن تاريخ غيرهم فهم ـ يعني المسلمين الأوائل ـ أرباب دنيا تنافسوها كما تنافسها من قبلهم ومن جاء بعدهم!

ليس هذا فحسب بل عمدوا إلى الحركات الهدامة في التاريخ

---

(١) ناصر محمد إسماعيل، دوافع الاستشراق وموازين البحث عن المستشرقين (رسالة ماجستير)، ص١٩٩.

(٢) عبد الرحمن حبنكة الميداني: أجنحة المكر الثلاثة، ص١٤٧.

ومن تهويله إفراطه في تعظيم النموذج الغربي كشخصيات ونظم حياة فيشيد بالديمقراطية الغربية متناسيًا أو متجاهلاً الشورى الإسلامية ويرفع شأن النظم الغربية في الحكم، ويضع من كل ما سواها، ويدعو للذوبان في الحضارة الغربية بحلوها ومرها ما يحمد منها وما يعاب!

ومن أبرز خلال الدكتور اعتداده بنفسه إلى درجة تصل به حد الفتون، تلمح ذلك في أسلوبه الذي لا يخلو عن مبالغة وتهويل، ومن أمثلة ذلك قوله:

(كنت أريد أن أضع كتابًا في «ديكارت» واضطرني ذلك إلى كثير من البحث والتحقيق، ولكني لا آسف على ما لقيت من عناء فقد وصلت إلى نتائج غريبة لو أعلنتها في فرنسا لاندك لها السربون ولاضطربت لها الكوليج دي فرانس، ولأعلن لها المجمع العلمي الفرنسي إفلاسه، ولا تضحك ولا تعجب فلست أحدثك إلا بالحق الذي لا شك فيه ولا غبار عليه)[1].

ومما يؤكد على تعمق هذا المعنى في نفس الدكتور قوله في مقدمة كتابه «المعذبون في الأرض»:

(لا أضع قصة تخضع لأصول الفن، ولو كنت أضع قصة لما التزمت إخضاعها لهذه الأصول، لأنني لا أؤمن بها ولا أذعن لها ولا أعترف بأن للنقاد مهما يكونوا أن يرسموا لي القواعد والقوانين مهما تكن ولا أقبل من القارئ مهما ترتفع منزلته أن يدخل بيني وبين ما أحب أن أسوق من الحديث، وإنما هو الخاطر يخطر لي فأمليه ثم

---

(١) طه حسين: من بعيد، المجموعة الكاملة ٢١٢/١٢، ٢١٣.



# المبحث الثالث

## الاعتماد على المصادر الضعيفة

يعتمد المستشرقون في أبحاثهم التي يقومون بها عن الإسلام على مصادر لا تعبر عن الإسلام في سمو تعاليمه وصفاء أفكاره إذ يرجعون فيما يكتبون إلى آراء غلاة الشيعة وآراء أئمة المعتزلة أو آراء المستشرقين الكبار الذين سبقوهم على طريقهم والذين يثقون بعلمهم وقدرتهم مع أن هذه المصادر كلها ليست أصيلة في بابها ولا يعتبر بها مرجعًا للحديث عن الإسلام[1].

(ويتحكم المستشرقون في المصادر التي ينقلون عنها فهم ينقلون من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث النبوي، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه، ويصحون ما ينقله الدميري[2]

---

(١) راجع: د. مصطفى السباعي: السُّنَّة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص٤ وما بعدها.

(٢) الدميري هو محمد بن موسى بن عيسى كمال الدين من مواليد القاهرة عام ٧٥٠هـ الموافق ١٣٤٩م، وينسب إلى دميرة البحرية وهي بلدة بالقرب من سمنود أشهر مؤلفاته حياة الحيوان، توفي بالقاهرة عام ٨٠٨هـ (١٤٠٥م)، دائرة المعارف الإسلامية ٩/٢٩٠.

كثير من المفتريات التي أذاعها الدكتور طه حسين في العصر الحديث عن تاريخ المسلمين في العصور الأولى.

(لقد أطلق طه حسين لسانه في أصحاب رسول الله ﷺ شتمًا وتجريحًا لا يكاد يستثني من ذلك أحدًا منهم... ولقد اعتمد في كل ما ذكره عن الصحابة على روايات لا أصل لها، وهو الذي رد روايات صحيحة وبعضها بلغ حد التواتر... وما اكتفى بالروايات التي لا أصل لها، وإنما كان يكثر من القول: وما أستبعد، وأظن، وأضمر في نفسه [يقصد الصحابي] وبعد هذه الكلمات يترك المجال لخياله الخصب ثم يسجل خواطره الشريرة ويزعم أن هذا من التاريخ)[١].

وحين أراد أن يخرج للناس بعض الكتب التاريخية ركز على بعض الكتب التي تشوش الذهن وتبلبل الفكر (فكان أن ركز على كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني تركيزًا شديدًا مع أن هذا الكتاب بإجماع المؤرخين لا يصلح للغرض الذي قصد إليه، لأنه إنما ألف للتسلية واللهو ولكتابة فصول عن أهل الأغاني وهم شطيرة قليلة من المجتمع لا تمثله ولا تؤثر فيه تأثيرًا صحيحًا)[٢]، والدكتور يتعاون مع الأستاذ إبراهيم الإبياري[٣] في إخراج كتاب تجريد الأغاني[٤] الذي ألفه ابن

(١) د. جمال عبد الهادي وآخرون: الزور والبهتان فيما كتبه طه حسين في الشيخان، ص٩٣، ٩٨ بتصرف.

(٢) أنور الجندي: محاكمة فكر طه حسين، ص٣٥١، ٣٥٢.

(٣) إبراهيم الإبياري: مؤرخ ومؤلف ومحقق مصري، شارك مع الدكتور طه حسين في تحقيق بعض المؤلفات مثل: تجريد الأغاني لابن واصل الحموي، من آثاره: معاوية، طه حسين مؤرخًا وغيرها، وله بحث بعنوان: طه حسين المؤرخ الإسلامي. راجع: تجريد الأغاني، معاوية للإبياري.

(٤) هو مختصر لكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني.

نشره الدكتور باسم «نقد النثر» وجعل اسم مؤلفه إلى أبي الفرج قدامة[1] بن جعفر الكاتب البغدادي وقد كشف أحد الباحثين أن الكتاب ليس كتاب قدامة، وإنما نسبه الدكتور إلى قدامة، لأن قدامة تلميذ اليونان فأراد الدكتور أن يرسخ ما يفيد أن اليونان كان لهم أثرهم في البيان العربي)[2].

لم يصب الدكتور طه حسين حينما اعتمد المذهب الغربي الذي يرتكز على النظر العقلي وحده وفصل الدراسات الشرعية عن التاريخ وأعطى لنفسه حق النقد للجيل الفريد من خلال روايات لا يوثق في صحتها.

ولم يعن الدكتور باختيار مصادر البحث فأخذ من كتب الروافض ومن كتب التاريخ التي لم تعن بتحقيق الأخبار ما جعله أساسًا لكتابته مما جعله ينتهي إلى نتائج غير طيبة فيها كثير من الجرأة والتحكم ولو اعتنى الدكتور باختيار مصادره لما دخل هذا المدخل فالمصادر بالنسبة للمؤرخ تشكل أهمية كبرى، لأنه بدون توافر المصادر الموثقة لا نستطيع أن نكتب بحث تاريخي صحيح. (والتاريخ معرفة نقلية تعتمد على الأخذ من المصادر، ولأن التاريخ خبر عن حدث وقع وانتهى فلا يغني فيه الخيال والرجم بالغيب كما يفعل الأديب والقاص والشاعر)[3].



---

(١) أبو الفرج قدامة بن جعفر (. . . . ـ ٣١٩هـ/ . . . ـ ٩٣١م) جعفر بن قدامة بن زياد (أبو القاسم) من الكتاب، له مصنفات في صنعة الكتابة وغيرها. معجم المؤلفين ١/٤٩٣.

(٢) أنور الجندي: محاكمة فكر طه حسين ٣٥٠، ٣٥١.

(٣) د. جمال عبد الهادي وآخرون: الزور والبهتان، ص١١٦.

ألفاظ مطلقة)[1].

فهذه الألفاظ العامة يستخدمها كثير من المفسدين حسب أهوائهم إذ أن هذه الألفاظ حمَّالة أوجه تفيد معاني طيبة تثمر الخير، وتفيد معاني أخر تحمل في طياتها الشر المستطير، فمثلاً لفظة الحرية يفهمها هؤلاء على أنها (الحرية المطلقة والتي تعني أن يريد الإنسان ويعمل ما يريد من غير أن يكون لأي شيء آخر سلطان على إرادته وعمله)[2] بينما يفهمها الناس (أن للإنسان الحرية فيما يقول أو يفعل أو يميل إليه إذا كان ذلك ضمن المبادئ الأخلاقية والاجتماعية، فهي حرية مقيدة بضوابط الدين والأخلاق وصالح الجماعة التي يعيش فيها الإنسان)[3].

نعم رددت هذه الكلمات وحملت على محمل الهدم والتدمير لا البناء والتشييد، فإذا الواقع كما يقول سفهاء صهيون في بروتوكولاتهم: (لقد كنا أول من صاح في الشعب فيما مضى بالحرية والمساواة والإخاء، تلك الكلمات التي راح الجهلة في أنحاء العالم يرددونها بعد ذلك دون تفكير أو وعي... وأنهم لفرط ترديد هذه الكلمات حرموا العالم من الإخاء كما حرموا الأفراد من حريتهم الشخصية)[4].

لقد نادى كثير من مثقفي العالم العربي والإسلامي بالحرية المطلقة والمساواة المطلقة وغير ذلك من الدعاوى المغلوطة التي إن

---

(١) أ. ناصر محمد إسماعيل: دوافع الاستشراق وموازين البحث عند المستشرقين، ص٢٤٤.

(٢) أحمد أمين: الأخلاق، مطبعة دار الكتب سنة ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م، ص٧٨.

(٣) د. مصطفى السباعي: اشتراكية الإسلام، دار الشعب، ب. ت، ص٨٧.

(٤) شريب سبيريدو فيتش: حكومة العالم الخفية، ترجمة: مأمون سعيد دار النفائس، بيروت، ط٧، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص٢٨.

ولعل من باب ذلك إعطاء المستشرقين للغرب صورة مشوهة عن الإسلام بأنه ليس إلا القرامطة والحشاشون وغيرهما من الفرق الضالة التي لا تمت إلى الإسلام بصلة وذلك في نفس الوقت الذي يدافعون فيه عن هذه الفرق المنحرفة ويصفونهم بأنهم أصحاب حق وطلاب عدل)[١].

ولقد سار الدكتور على هذا النحو ودخل مدخل المستشرقين فوصف حركتي الزنج والقرامطة بأنهما من حركات التحرر الاجتماعي وكان قيامها للمطالبة بالحقوق الاجتماعية وجهادًا في تحقيق العدل وشيء من المساواة![٢].

ومن هذا الباب أيضًا زعمه أن القرن الثاني للهجرة قد كان عصر لهو ولعب وعصر شك ومجون[٣] متخذًا من أبي نواس ومن في طبقته أو على شاكلته من الشعراء مثالاً صادقًا للعصر الذي عاشوا فيه متناسيًا أن رسول الله ﷺ شهد لهذا القرن بالخير وأنه إن وجد فيه أمثال أبي نواس وبشار وغيرهم فقد وجد فيه أئمة الفقه والتقى من أمثال: الحسن البصري والشافعي ومالك بن أنس وأبو حنيفة النعمان ومالك بن دينار وعبدالله بن المبارك ورابعة العدوية وابن سيرين والشعبي وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين[٤].



---

(١) ناصر محمد إسماعيل: دوافع الاستشراق وموازين البحث عند المستشرقين، ص٢٤٧.

(٢) طه حسين: مرآة الإسلام، ط، المعارف، ص٢٩٤.

(٣) أنور الجندي: محاكمة فكر طه حسين، ص٦٥.

(٤) أنور الجندي: محاكمة فكر طه حسين، ص٦٥.

لقائهما: «إننا ـ نحن المستشرقين ـ نقع في أخطاء كثيرة في بحوثنا عن الإسلام، ومن الواجب أن لا نخوض في هذا الميدان لأنكم ـ أنتم المسلمين العرب ـ أقدر منا على الخوض في هذه الأبحاث» ثم يتابع السباعي قائلاً:

وفي مانشستر (إنكلترا) اجتمعت بالبروفسور «روبسون»[1] وكان يقابل سنن أبي داود على نسخة مخطوطة، وله كتابات في التاريخ الحديث، يتفق فيها غالبًا مع آراء المستشرقين المتحاملين، وقد حرصت على أن أبين له أن الدراسات الاستشراقية السابقة فيها تحامل وبعد عن الحقيقة وتعرضت لآراء جولدزيهر وأثبت له أخطاءه التاريخية والعلمية فكان مما أجاب به عنه: «لا شك أن المستشرقين في هذا العصر أكثر اطلاعًا على المصادر الإسلامية من جولدزيهر نظرًا لما طبع ونشر وعرف من مؤلفات إسلامية كانت غير معلومة في عصر جولدزيهر فقلت له: أرجو أن تكون أبحاثكم ـ المستشرقين ـ في هذا العصر أقرب إلى الحق والإنصاف من جولدزهير ومرجليوث وأمثالهما فقال أرجو ذلك»)[2].

ولقد كان من أساليب المستشرقين الماكرة أن اختطوا لأنفسهم طريقة دأبوا عليها في نقد الديانات الأخرى وخاصة الإسلام (يشير أحدهم إلى فكرة ما من طرف خفي، ويليه آخر فيقرر أن هذه الفكرة جائزة ويأتي ثالث فيرفع هذا الحوار إلى مرحلة النظرية، أما الرابع

---

(١) روبسون جيمس المولود سنة ١٨٩٠ مستشرق إنجليزي تخرج من جامعة جلاسجو وحصل على الماجستير والدكتوراه في الأدب، عين أستاذًا للعربية في جامعة مانشستر ١٩٤٩. المستشرقون ٢/١٢٤.

(٢) الدكتور مصطفى السباعي: السُّنَّة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص١٤ ـ ١٥.

كلام الدكتور تصريح بضياع بعض القرآن)[1].

ولقد وقع الدكتور طه حسين في خطأ النقل عن المستشرقين دون تمحيص آرائهم وأقوالهم الأمر الذي حمله كثير من أوزارهم وتبعاتهم.

ولعل موضوع الشعر الجاهلي من أشهر الموضوعات في هذا الباب إذ أخذ الدكتور طه حسين موضوع كتابة الشعر الجاهلي عن مقالة للمستشرقين ديفيد صمويل مرجليوث تحت عنوان: أصول الشعر العربي[2].

ولقد أصدر الدكتور كتابه في الشعر الجاهلي عام ١٩٢٦م بعد نحو عام من ظهور مقالة مرجليوث[3].

يقول الأستاذ أنور الجندي: (ويكاد طه حسين في كل أعماله الكبرى أن يكون خاضعًا للاستشراق متأثرًا به تابعًا له معليًا من قدره متحدثًا عن فضله على الأدب العربي والفكر الإسلامي.

فكتابه في الشعر الجاهلي = أخذ نظريته من مرجليوث.

ورأيه في المتنبي = أخذه من بلاشير.

وبحثه عن ابن خلدون = أخذه من دوركايم.

---

(١) راجع: د. طه حسين: الفتنة الكبرى (١) ـ عثمان ـ، المجموعة الكاملة ٣٧٩/٤.

(٢) د. محمد مصطفى هدارة: موقف مرجليوث من الشعر العربي، بحث ضمن كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، الصادر عن مكتب التربية العربي لدول الخليج ٣٩٧/١.

(٣) صدر مقال مرجليوث في عدد يوليو سنة ١٩٢٥ من مجلة الجمعية الآسيوية الملكية التي تصدر بلندن.

الأسماء العربية بفرنسيتها دون أن يتنبه لها، وقد نشرت له جريدة السياسة محاضرة كان ألقاها جاء فيها:

«ولكن شجرت بين الفريقين اليمانيين والقيسيين معركة مرجرات» ومعركة مرجرات لا يعرفها العرب بهذا الاسم وإنما يعرفونها مرج راهط وعذر الدكتور أنه كان يذهب إلى حديقة المستشرقين في الليل ينتهب تفاحة أو تفاحتين. حسب أن مرجرات كلمة فارسية فراح يلوكها في محاضراته)[1].

والأستاذ محمود محمد شاكر يرمي الدكتور طه حسين بنفس العيب الذي رماه به الدكتور زكي مبارك وغيره، إذ كان الأستاذ شاكر أول من كشف أن ما قاله الدكتور طه حسين في الجامعة المصرية وما ضمنه بعد ذلك كتابه «في الشعر الجاهلي» عن موضوع الشعر الجاهلي ما هو إلا سطو مجرد على مقالة مرجليوث بعد حذف الحجج السخيفة والأمثلة الدالة على الجهل بالعربية التي كانت تتخلل كلام ذلك الأعجمي وأن ما يقوله الدكتور طه حسين لا يزيد على أن يكون حاشية وتعليقًا على هذه المقالة.

ثم يخرج الأستاذ شاكر بكشف أخطر من سابقة فيرمي الدكتور طه حسين بسطوه على كتابه عن المتنبي فيقرر الأستاذ شاكر ذلك قائلًا:

[كتاب «مع المتنبي» ـ للدكتور طه حسين ـ هو في الحقيقة حاشية كبرى على ثلاثة كتب أولها كتابي، ثم كتاب الأستاذ عبد الوهاب عزام، ثم كتاب بلاشير عن المتنبي... ونحن هنا لا نفخر بأننا أول

(١) أنور الجندي: طه حسين حياته وفكره في ضوء الإسلام، ص١٥٣.



## المبحث السادس

## توسيع دائرة البحث وسرعته!

إذا كان من مآثر الباحثين القدامى أنهم كانوا أصحاب علم موسوعي، يحمل الواحد منهم في جعبته علوم الدين وعلوم الدنيا، ويكتب ويصنف في المجالين جميعًا بدرجة واحدة من الإحكام والإتقان حتى يتخيل لمن يقرأ لهم في مجال من المجالين أنهم لم يتخصصوا إلا في هذا.

أقول: إذا كان ذلك من مآثر القدامى فإنه من عيوب الباحثين المحدثين! إذ وصل القدامى في موسوعيتهم إلى درجة الإجادة والإحسان فإذا كتبوا في علم ما كانت كتابتهم تضاهي كتابات المتخصصين فيه أو ربما تفوق. أما كثرة المحدثين فكما نقول حازوا من كل علم بطرف ولم يصلوا إلى درجة الإجادة والإحكام في مجال من المجالات.

ومما يعيب كثير من الباحثين المحدثين سرعة البحث مع تشعب المجالات واتساعها، ومن هنا تأتي الأبحاث مشوهة معيبة لما يلم بها من نقص، ولأن الباحث لم يسبر غور موضوعه ولم يدرسه الدرس المتأني ولم يحطه من جميع جوانبه.

لكن الدكتور كان من خصائص أسلوبه أنه يستطيع التعبير عن الموضوع الخطير والجليل بكلمات قليلة، ويستطيع كذلك أن يعبر عن المعنى الصغير بصفحات تطول.

لكنه يعاب عليه ما عيب على كثير من المستشرقين من أن إحاطته لم تكن وافية بكل العلوم التي خاض فيها ومن هناك كانت آراؤه مثار جدل وذلك لكثرة عثراته وشططه في بعض آرائه وتصوراته وعيب عليه كذلك سرعته في البحث ومجازفته في إلقاء الأحكام ولقد واجهه بعض المثقفين ممن عاصروه بهذا العيب كالأستاذ إبراهيم المازني[١].

[(كان الدكتور قد نشر حديث الأربعاء تباعًا في «السياسة» وفي غيرها حتى إذا أراد جمعه في أجزاء متتالية ذكر في مقدمة الجزء الأول أنه يقدم مباحث متفرقة... وما هي بسفر أو كتاب، ولن يجد القارئ فيها هذه الفكرة القوية المتحدة الواضحة... التي يعبر عنها المؤلفون حين يؤلفون كتبهم وأنه لم يعن بهذه المباحث العناية التي تليق بكتاب يعده صاحبه ليكون كتابًا حقًا، وأنه يعلم أنه شديد النقص محتاج إلى استئناف العناية والنظر فأنكر المازني على صاحبه ـ الدكتور طه حسين ـ أن يعترف بنقص كتابه ثم يخرجه هكذا محتاجًا إلى إكمال، وأن يستخف بقرائه فلا يجدهم أهلًا، لأن يتكلف من أجلهم البحث العلمي الدقيق إذ كانت الصحف السيارة لا تصلح لمثل هذا، ويقول المازني في صراحة للدكتور: «لو وسعك هذا الذي تقول: إنك تتجنبه (وهو

---

(١) إبراهيم المازني أحد أعلام النهضة الأدبية الحديثة وصاحب القلم الساخر ولد بالقاهرة سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م عمل بالتدريس بعد تخرجه من مدرسة المعلمين، له مؤلفات عديدة في الأدب والنقد توفي سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م. (طه حسين يتحدث عن أعلام عصره، ص٩).

فتثبت له حتى تقتله بحثًا ودرسًا وتنضجه فهمًا وتفكيرًا. . وإذا كانت الأناة شرطًا أساسيًا للإجادة والإتقان في كل شيء مهما يكن نوعه، فهي الشرط الأساسي الوحيد للحياة العقلية المنتجة، وربما لم تكن المناهج العلمية شيئًا إلى جانب الأناة العلمية، ذلك لأن المناهج العلمية المنتجة على قيمتها ولزومها ليست في حقيقة الأمور إلا نتيجة طبيعية للأناة العلمية، وإن هذه النتائج الباهرة لست إلا آثارًا لجهود طويلة بطيئة شاقة ذهبت فيها القرون وأنفقت فيها لا أقول: الأشهر، ولا أقول: الأعوام، ولا أخطىء إذا قلت: القرون)[1].

هذا بعض ما قاله الدكتور آخذًا به زميلاً كبير القدر، بارز المكانة! فإذا كان المازني دعاه إلى أن يترك التسرع حتى يكمل الناقص ويتم الخديج[2] فقد دعاه إلى ألا يأمر الناس بالبر وينسى نفسه][3].



(١) طه حسين: حديث الأربعاء، المجموعة الكاملة ٦٥٣/٢، ٦٥٤.

(٢) جاء في المعجم الوجيز، ص١٨٦: خدج - خداجًا نقص و - الحامل: ألقت ولدها قبل تمام أيامه، وإن كان تمام الخلق فهي خادج. . . والخديج في علم الأحياء: العضو من النبات أو الحيوان لم يكتمل خلقه، أو اكتمل خلقه ولا يؤدي ما خلق له. اهـ. بتصرف.

(٣) د. محمد رجب البيومي: قطرات المداد، ص١٩٨، ٢٠٠ بتصرف.

المصرية القديمة وكذلك التلمذة في فرنسا في السوربون وغيره من المعاهد العلمية، ثم الزمالة في التدريس في الجامعة المصرية، والمشاركة في اللقاءات الفكرية والمؤتمرات العلمية، وكذلك الزيارات المنزلية والمراسلات والمكاتبات.

٥ ـ آزر المستشرقون طه حسين في كثير من معاركه الأدبية والثقافية وواسوه في محنه التي تعرض لها وقدموا له الكثير من الدعم الأدبي والنفسي الأمر الذي أثر في نفسه كبير الأثر فما كان يذكرهم إلا بالخير.

٦ ـ اعترف طه حسين بتاثره بالمستشرقين ومناهجهم دون أرائهم، وكان يسعد نفسه أن يصل في أبحاثه إلى النتائج التي تواصلوا لها.

٧ ـ أكسب فقد البصر طه حسين القدرة على حسن الاستماع والقدرة على التحمل وحب الاستطلاع، وتولدت لديه رغبة في لفت الأنظار إليه ـ نظرًا لما كان يشعر به من الإهمال بعد فقد بصره ـ الأمر الذي أورثه حدة في الطبع ورغبة في التحدي وتأكيد الذات.

٨ ـ تأثر طه حسين بمجتمع القرية وما يموج به من أفكار وآراء وتأثر بعلماء إقليمه على اختلاف مشاربهم الأمر الذي جعل ثقافته فيما بعد لا تخلو من تناقض واضطراب.

٩ ـ فسدت العلاقة بين طه حسين والأزهر الشريف بسبب إهماله لعلوم الدين وانشغاله بدروس الأدب وحدها ثم تطاوله على أساتذته من الأزهريين ونيله من علمهم وفضلهم.

١٨ ـ ردد طه حسين ما قاله المستشرقون حول قضية جمع القرآن وشكك في تمام القرآن الذي بأيدي المسلمين عما كان عليه على عهد رسول الله ﷺ وعهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

١٩ ـ تابع طه حسين المستشرقين في قولهم ببشرية القراءات القرآنية موافقًا في ذلك رأي جولدزيهر وبلاشير، مخالفًا إجماع المسلمين وما أيدته النصوص من أن القراءات القرآنية إلهية المصدر.

٢٠ ـ كتب طه حسين سيرة النبي ﷺ على نسق كتاب على «هامش الكتب القديمة» «لجيل لوميتر» وجعل كتابه واحة زاخرة بالأوهام والأساطير.

٢١ ـ أخطأ طه حسين في تعامله مع السُنَّة المطهرة إذ ردَّ بعض الأحاديث بالعقل المجرد أو بالهوى المحض، وكذلك صحح بعض الأحاديث بالظن دون الاستناد إلى قاعدة حديثية.

٢٢ ـ لم يلتزم طه حسين في تأريخه لفترة الخلافة الراشدة (الشيخان ـ الفتنة الكبرى) تحقيق الروايات التاريخية، وتأكد حدوثها ممن نسبت إليهم.

٢٣ ـ فسَّر طه حسين التاريخ الإسلامي تفسيرًا ماديًا أغفل فيه باعث الدين وأشواق الروح وقصره على الضرورات المادية والمصالح البشرية.

٢٤ ـ حكم طه حسين على الإسلام بأنه رسالة روحية لا شأن لها بواقع الحياة متابعًا في ذلك صديقه الشيخ «علي عبدالرازق» في كتابه «الإسلام وأصول الحكم».

في آخر حياته إلى دعوة توفيقية تحافظ على ثوابت الأمة وتأخذ ما لدى غيرها من الجديد النافع وهو ما اصطلح عليه بالجمع بين الأصالة والمعاصرة.

٣٢ ـ يعد طه حسين أحد الذين تولوا كبر الدعوة إلى إحياء القوميات القديمة وخاصة الفرعونية المصرية تلك الدعوة التي جاءت موافقه لأغراض التبشير والمؤسسات التي تهدف إلى تغريب المجتمع الإسلامي.

٣٣ ـ اضطرب طه حسين في حكمه على الحضارة الإسلامية فتارة يقصر دور العرب في الحضارة على نقل حضارة اليونان وأنهم لم يكن لهم فيها إسهام أو عطاء، وتارة يشيد بدورهم وأنهم أساس حضارة أوروبا وأنه لولا حضارة العرب ما كانت حضارة أوروبا.

٣٤ ـ شارك الدكتور طه حسين كثيرًا من المستشرقين في بعض الأمور التي تنال من نزاهة أبحاثهم مثل تحكيم الهوى والوهم، والتهوين والتهويل، والاعتماد على المصادر الضعيفة، النقل عن الآخرين من غير وعي، تعميم الأمور الخاصة وتخصيص الأمور العامة، توسيع دائرة البحث دون مراعاة للتخصص وامتلاك أدوات البحث.



٦ ـ أن يقوم الأزهر الشريف ومجمع البحوث الإسلامية ووزارة الأوقاف بطبع الرسائل العلمية التي تتناول الإسلام بالعرض والتحليل أو تدافع عن الإسلام ضد كيد أعدائه، حتى تعم الفائدة في الناس ولا تكون مقصورة على الباحث وحتى لا تظل تلك الرسائل حبيسة الأدراج لا تراها العيون ولا يتعامل معها إلا النفر القليل.

٧ ـ ضبط الأشخاص والهيئات والأفكار وتقويمها بميزان الشرع خاصة تلك الأفكار القديمة الجديدة التي تملأ الآفاق الثقافية مثل تجديد الخطاب الديني، حرية الإبداع، المحافظة والتجديد، التنوير والتثوير، والتي يعمد مروجوها لبلبلة الأفكار وإلباس الباطل ثوب الحق فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء.



١٢ ـ ابن هشام: مختصر سيرة ابن هشام، تحقيق: لجنة السيرة النبوية بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ط٣ سنة ١٤٢٠هـ ـ سنة ١٩٩٩م.

١٣ ـ ابن واصل الحموي: تجريد الأغاني، تحقيق: د. طه حسين، وإبراهيم الإبياري، مطبعة مصر سنة ١٣٧٤هـ ـ سنة ١٩٩٥م.

١٤ ـ أبو الحسن الندوي: الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، مؤسسة الرسالة، بيروت ط٣ سنة ١٤٠٥هـ ـ سنة ١٩٨٥م.

١٥ ـ أبو الحسن الندوي: الدعوة والدعاء مسؤولية وتاريخ، سلسلة دعوة الحق الصادرة عن رابطة العالم الإسلامي، العدد ٨٠ سنة ١٤٠٨هـ ـ سنة ١٩٨٨م.

١٦ ـ أبو العباس أحمد الزبيدي: مختصر صحيح البخاري المسمى التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، تحقيق: كمال بسيوني، السعودية، مكتبة المؤيد ط١ سنة ١٤١٢هـ ـ سنة ١٩٩٢م.

١٧ ـ أبو بكر ابن العربي: العواصم من القواصم، تحقيق: محب الدين الخطيب، المكتبة العلمية بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٨ ـ الشيخ أبو بكر الجزائري: عقيدة المؤمن، مكتبة الدعوة الإسلامية بالأزهر. ب. ت.

١٩ ـ أبو بكر عبد الرازق: وثائق قضايا طه حسين، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

٢٠ ـ أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، دار الفكر، بيروت ط٢، ب. ت.

٢١ ـ أبو عبدالله الذهبي: المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال (مختصر منهاج السُنَّة لابن تيمية) طبعة الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء السعودية ١٤١٣هـ.

٢٢ ـ إحسان إلهي ظهير: الشيعة وأهل البيت، إدارة ترجمان السُنَّة، باكستان، ط٦ سنة ١٤٠٤هـ.

٢٣ ـ أحمد أمين: فجر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ١٩٩٦م.

٢٤ ـ أحمد أمين: الأخلاق: مطبعة دار الكتب ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م.

٢٥ ـ أحمد الشنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد: دائرة المعارف الإسلامية، ب. ن، ب، ت.

٢٦ ـ د. أحمد بدر: أصول البحث العلمي ومناهجه، الكويت، وكالة المطبوعات ط٥ سنة ١٩٧٩م.

٤٥ - الإمام الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: الشيخ عبدالله دراز، دار المعرفة، بيروت ط٢ ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
٤٦ - الكتاب المقدس: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ب. ت.
٤٧ - المختار من ديوان عمر بن أبي ربيعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة سنة ١٩٩٩.
٤٨ - المنذري: الترغيب والترهيب، طبعة دار التراث، القاهرة ب. ت.
٤٩ - إنجيل متى: دار الكتاب المقدس. مصر. ب. ت.
٥٠ - الإمام النووي: رياض الصالحين، تحقيق: علي عبد الحميد أبو الخير، السعودية، مكتبة الكوثر، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٨٦م.
٥١ - الإمام النووي: صحيح مسلم بشرح النووي: مكتبة الغزالي دمشق، مؤسسة مناهل العرفان بيروت ب. ت.
٥٢ - أليكس جورافسكي: الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم ترجمة د.خلف محمد الجراد، دار الفكر، دمشق سنة ٢٠٠٠م.
٥٣ - أنور الجندي: طه حسين حياته وفكره في ضوء الإسلام، دار الاعتصام، مصر، ط٢ سنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
٥٤ - أنور الجندي: صفحات مجهولة من حياة طه حسين، بحث ضمن كتاب طه حسين كما يعرفه كتاب عصره، دار الهلال. ب. ت.
٥٥ - أنور الجندي: التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة، موسوعة مقدمات العلوم والمناهج، ج٥ دار الأنصار، القاهرة. ب. ت.
٥٦ - أنور الجندي: أكذوبتان في تاريخ الأدب الحديث، دار الأنصار، سلسلة على طريق الأصالة الإسلامية عدد رقم ٩. ب. ت.
٥٧ - أنور الجندي: محاكمة فكر طه حسين، دار الاعتصام. ب. ت.
٥٨ - أنور الجندي: حركة تحرير المرأة في ميزان الإسلام، دار الأنصار سلسلة على طريق الأصالة الإسلامية عدد رقم ١٥ ب. ت.
٥٩ - بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان ١٩٧٧م.
٦٠ - بطرس عبدالملك، وآخرون: قاموس الكتاب المقدس، دار الثقافة، مصر ط١٢. ب. ت.
٦١ - بهاء الدين عبدالله بن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار الفكر، بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
٦٢ - توماس كارليل: الأبطال: سلسلة كتاب الهلال، العدد ٣١٦ سنة ١٩٧٨م.

٧٨ ـ جوستان لوبون: حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ٢٠٠٠م.

٧٩ ـ حبيب أمين كوراني: تفاعل الفكر الإسلامي بالفكر العربي في البلاد الإسلامية، بحث ضمن كتاب «الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ٢٠٠٢م.

٨٠ ـ د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والديني والاجتماعي. ب. ن، ب. ت.

٨١ ـ حسن البنا: مجموعة الرسائل، دار التوزيع والنشر الإسلامية، طبعة ١٤١٢هـ.

٨٢ ـ د. حسن الترابي: الإيمان وأثره في حياة الإنسان، دار القلم، الكويت ط٤، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٨٣ ـ د. حسن حنفي: جمال الدين الأفغاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ١٩٩٩م.

٨٤ ـ د. حسن عبد اللطيف الشافعي: تجديد الفكر الإسلامي، مجلة الرسالة الصادرة عن مركز الإعلام العربي بالقاهرة، العدد الأول رمضان ١٤٢٢هـ، ديسمبر ٢٠٠١م.

٨٥ ـ د. حسن عزوزي: قصة المعراج في الفكر الغربي، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، العدد ٣٩٥ رجب ١٤١٩هـ/نوفمبر ١٩٩٨م.

٨٦ ـ حسين أحمد أمين: موقف المسلمين من الحضارة الغربية، مجلة العربي الكويتية، العدد ٤٠٢ مايو ١٩٩٢م.

٨٧ ـ د. حسين حامد حسان: المدخل لدراسة الفقه الإسلامي، ب. ن طبعة ١٩٨١م.

٨٨ ـ د. حلمي عبدالمنعم صابر، نظرات في تاريخ الخلفاء الراشدين، مطبعة الحسين الإسلامية مصر، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٨٩ ـ حمدي السكوت، مارسون جونز: طه حسين، سلسلة أعلام الأدب المعاصر، الجامعة الأمريكية ١٩٨١م.

٩٠ ـ خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط٧، ١٩٨٦م.

٩١ ـ ديكارت: مقال عن المنهج، تقديم د. عثمان أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ٢٠٠٠م.

٩٢ ـ رابح لطفي جمعة: القرآن والمستشرقون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ١٣٩٣هـ/١٩٨٣م.

١٠٩ ـ شاه عبد العزيز الدهلوي: مختصر التحفة الاثني عشرية، نقله عن الفارسية غلام محمد الأسلمي، اختصره وهذبه السيد محمود شكري الألوسي، وعلق عليه محب الدين الخطيب. ب. ن، ب. ت.

١١٠ ـ شريب سبيريدوفيتش: حكومة العالم الخفية، ترجمة: مأمون سعيد، دار النفائس، بيروت، ط٧، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

١١١ ـ الأمير: شكيب أرسلان: لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم. تقديم رشيد رضا دار البشير، القاهرة. ب. ت.

١١٢ ـ صالح بن فوزان آل فوزان: الملخص الفقهي، السعودية، دار ابن الجوزي ط٥، ١٤١٧هـ.

١١٣ ـ صفوان عدنان داودي: زيد بن ثابت كاتب الوحي وجامع القرآن، دار القلم دمشق، سلسلة أعلام المسلمين عدد ٣١ ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

١١٤ ـ صلاح عبدالصبور: ماذا يبقى منهم للتاريخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م.

١١٥ ـ صلاح عيسى: الكارثة التي تهددنا، مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٨٧م.

١١٦ ـ صوفي عبدالله: المرأة في أدب طه حسين، بحث ضمن كتاب «طه حسين كما يعرفه كتاب عصره» دار الهلال ب. ت.

١١٧ ـ طه حسين: أديب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ١٩٩٨م.

١١٨ ـ طه حسين: الأيام (٣/١) دار المعارف، مصر طبعه ٥٩ ب. ت.

١١٩ ـ طه حسين: الشيخان، دار المعارف، مصر ط٧ ب. ت.

١٢٠ ـ طه حسين: الفتنة الكبرى ـ عثمان ـ المجموعة الكاملة، الشركة العالمية للكتاب بيروت ط٢ ١٩٨٣م، ج٤.

١٢١ ـ طه حسين: الفتنة الكبرى ـ علي ـ المجموعة الكاملة، الشركة العالمية للكتاب بيروت، ط٢ ١٩٨٣م ج٤.

١٢٢ ـ طه حسين: التجديد والتقليد، المجموعة الكاملة، الشركة العالمية للكتاب بيروت، ط٢ ١٩٨٣م، ج١٦.

١٢٣ ـ طه حسين: القدر، المجموعة الكاملة، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط٢، ١٩٨٣، ج١٥.

١٢٤ ـ طه حسين: أوديب وتيسيوس، المجموعة الكاملة، الشركة العالمية للكتاب بيروت ط٢، ١٩٨٣، ج١٥.

١٢٥ ـ طه حسين: المعذبون في الأرض، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ١٩٩٦.

١٤٢ ـ طه حسين: قيود وأغلال. (مقال) مجلة المجلة الجديدة، المركز العربي للدراسات والنشر ط١ ١٩٩٧، ج١.

١٤٣ ـ طه حسين: صوت باريس، المجموعة الكاملة، الشركة العالمية للكتاب، بيروت ط٢، ١٩٨٣م ج١٣.

١٤٤ ـ طه حسين: كلام. (مقال) المجلة الجديدة، المركز العربي للدراسات والنشر، ط١، ١٩٩٧ ج١.

١٤٥ ـ طه حسين: لحظات، المجموعة الكاملة، الشركة العالمية للكتاب، بيروت ط٢، ١٩٨٣م ج١١.

١٤٦ ـ طه حسين: مرآة الإسلام، دار المعارف، مصر. ب. ت.

١٤٧ ـ طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، المجموعة الكاملة، الشركة العالمية للكتاب، بيروت ط٢، ١٩٨٣م ج١٢.

١٤٨ ـ طه حسين: من بعيد، المجموعة الكاملة، الشركة العالمية للكتاب، بيروت ط٢، ١٩٨٣، ج٩.

١٤٩ ـ طه حسين: من حديث الشعر والنثر، المجموعة الكاملة، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م ج٥.

١٥٠ ـ طه حسين: مع أبي العلاء في سجنه، المجموعة الكاملة، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط٢، ١٩٨٣، ج١٠.

١٥١ ـ طه حسين: من الأدب التمثيلي عند اليونان، المجموعة الكاملة، الشركة العالمية للكتاب، بيروت ط٢ ١٩٨٣م، ج١٠.

١٥٢ ـ طه حسين: من لغو الصيف إلى جد الشتاء، المجموعة الكاملة، الشركة العالمية للكتاب، بيروت ط٢، ١٩٨٣م، ج١٤.

١٥٣ ـ طه حسين: نظام الأثينيين، المجموعة الكاملة، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م، ج٨.

١٥٤ ـ طه حسين: وجه الصواب في إصلاح الأزهر (مقال) بجريدة السياسة ١٩٣٢/٦/٢٨م.

١٥٥ ـ عباس محمود العقاد: الإسلام دعوة عالمية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ١٩٩٥م.

١٥٦ ـ عباس محمود العقاد: عبقرية عمر، طبعة وزارة التربية والتعليم ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٧١ ـ د. عبد العظيم المطعني: حقائق القرآن وأباطيل خصومه (شبهات وردود) المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، سلسلة دراسات إسلامية العدد ٧٩ سنة ١٤٢هـ/٢٠٠٢م.

١٧٢ ـ عبد العليم القباني: طه حسين في الضحى من شبابه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة المكتبة الثقافية عدد ٣٣٧ سنة ١٩٧٦م.

١٧٣ ـ د. عبد الغفار عزيز: الإسلام السياسي بين الرافضين له والمغالين فيه، دار الحقيقة للإعلام الدولي، مصر، ١٩٠٤هـ/١٩٨٩م.

١٧٤ ـ عبد الغني الملاح: مقالات في طه حسين، بيروت، الدار العالمية للطباعة، ط١، ١٤٠٤هـ.

١٧٥ ـ د. عبد الفتاح بركة: دور الاستشراق في تغريب المرأة المسلمة، هدية مجلة الأزهر شهر المحرم سنة ١٤٠٦هـ.

١٧٦ ـ عبد الفتاح القاضي: الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع ـ طبعة الأزهر الشريف ١٤٠٥هـ.

١٧٧ ـ عبد الفتاح القاضي: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ـ طبعة الأزهر الشريف، ١٤١٥هـ.

١٧٨ ـ عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة دار التراث. ب. ت.

١٧٩ ـ د. عبد الكريم زيدان: المفصل في أحكام المرأة، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

١٨٠ ـ د. عبدالله الرحيلي: مدخل إلى مناقشة شبهات المستشرقين حول تدوين السُّنَّة النبوية، مجلة المنهل العدد ٤٧١ سنة ١٤٠٩هـ.

١٨١ ـ د. عبدالله علي سمك: البحث العلمي بين الأصالة والمعاصرة، ب. ن، ط١، سنة ١٩٩٤.

١٨٢ ـ د. عبدالله علي سمك: الاستشراق بين الجحود والإنصاف، طبعة ١٤١٢هـ ب. ن.

١٨٣ ـ عبدالله علي الأنس، صالح سالم باقارشي: مشاهير الفكر التربوي، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة سنة ١٩٩٩م.

١٨٤ ـ عبدالله محمد الغريب: وجاء دور المجوس. ب. ن طبعة ١٩٨٣م.

١٨٥ ـ د. عبد المتعال الجبري: الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، مطبعة المدني، القاهرة، ط١ سنة ١٤١٦هـ.

٢٠١ ـ فؤاد دوارة: عشرة أدباء يتحدثون، دار الفكر، مصر ط٢، ب. ت.

٢٠٢ ـ فتحي يكن: الإسلام فكرة وحركة وانقلاب، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢٠٣ ـ د. فرج علي فودة: قبل السقوط. ب.ن ب. ت.

٢٠٤ ـ د. فرج الله عبدالباري: اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء، المنصورة ط٢، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٢٠٥ ـ فرح أنطون: الدين والعلم والمال، سلسلة الكتاب للجميع هدية جريدة القاهرة العدد ١٤٠ الصادر في ١٧ ديسمبر سنة ٢٠٠٢م.

٢٠٦ ـ قاسم أمين: تحرير المرأة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة التنوير سنة ١٩٩٣.

٢٠٧ ـ قاسم أمين: المرأة الجديدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة التنوير سنة ١٩٩٧م.

٢٠٨ ـ كازانوفا: العرب وتحريق مكتبة الإسكندرية، ترجمة: د. طه حسين، جريدة السياسة اليومية ٢ رمضان سنة ١٣٤١هـ/١٨ إبريل سنة ١٩٢٣م.

٢٠٩ ـ كامل زهيري: المنهج الفكري عند طه حسين، بحث ضمن كتاب «طه حسين كما يعرفه كتاب عصره» دار الهلال ب. ت.

٢١٠ ـ د. كمال حامد مغيث: طه حسين، مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان، ط١، ١٩٩٧م.

٢١١ ـ ل. ديلايورت: بلاد ما بين النهرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ترجمة محرم كمال، سلسلة الألف كتاب الثاني عدد ٢٨٣ طبعة ١٩٩٧.

٢١٢ ـ د. مانع الجهني: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي: السعودية ط٣، سنة ١٤١٨هـ.

٢١٣ ـ المجلس القومي للثقافة العربية بالرباط: الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي، ط١ سنة ١٩٩١.

٢١٤ ـ مجلة الرسالة بتاريخ ١٩٣٣/٦/١، ١٩٣٣/٦/١٥.

٢١٥ ـ مجلة القاهرة الصادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ١٣٢ نوفمبر سنة ١٩٩٣.

٢١٦ ـ مجلة الكاتب المصري، المجموعة الكاملة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م.

٢٣٤ ـ د. محمد حسن حسن جبل، وثاقة نقل النص القرآني من رسول الله ﷺ إلى أمته، دار الصحابة، طنطا. ب. ت.

٢٣٥ ـ د. محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة القاهرة ط٤، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٢٣٦ ـ د. محمد حسين الذهبي: الإسرائيليات في الحديث والتفسير، مجمع البحوث الإسلامية ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢٣٧ ـ د. محمد حسين هيكل: حياة محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٠م.

٢٣٨ ـ د. محمد رجب البيومي: الأزهر بين السياسة وحرية الفكر، مؤسسة دار الهلال، سلسلة كتاب الهلال العدد ٣٨٧ مارس سنة ١٩٨٣م.

٢٣٩ ـ د. محمد رجب البيومي، من أعلام الأزهر الشريف العلامة إبراهيم الجبالي، مجلة الأزهر، عدد ذي القعدة سنة ١٤١٤هـ، أبريل سنة ١٩٩٤م.

٢٤٠ ـ د. محمد رجب البيومي: إعادة قراءة القرآن، كتاب الهلال العدد ٥٨٨ ديسمبر سنة ١٩٩٩.

٢٤١ ـ د. محمد رجب البيومي: قطرات المداد، السعودية، سلسلة كتاب النادي الأدبي الثقافي، العدد ٧٥، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٢٤٢ ـ الشيخ محمد سويد: الإسلام وغزو الفضاء، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، العدد ٧٢ ربيع الأول ١٤٠٨هـ أكتوبر سنة ١٩٨٧م.

٢٤٣ ـ محمد نور سويد: هل يجوز إنكار حديث نبوي لمخالفته العقل، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٤١٠ شوال ١٤٢٠هـ.

٢٤٤ ـ محمد شلبي: مع رواد الفكر والفن، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢م.

٢٤٥ ـ محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة ١٩٦٥م.

٢٤٦ ـ د. محمد شوقي الفنجري: جدلية الإسلام، وزارة الأوقاف، سلسلة قضايا إسلامية، العدد ٥٦ سنة ١٤٢٠هـ.

٢٤٧ ـ د. محمد ضياء الدين الريس: النظريات السياسية الإسلامية دار التراث ـ مصر، ط٧، ١٩٧٩م.

٢٤٨ ـ محمد عبدالرؤوف المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف تحقيق: د. محمد رضوان الداية. دار الفكر المعاصر، بيروت دمشق ط١، ١٤١٠هـ.

٢٦٤ ـ د. محمد الدسوقي: أيام مع طه حسين، دار القلم دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٢٦٥ ـ الشيخ محمد الغزالي: «مع الله» دراسات في الدعوة والدعاة دار الثقافة ـ قطر ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٢٦٦ ـ الشيخ محمد الغزالي: دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢٦٧ ـ الشيخ محمد الغزالي: عقيدة المسلم، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢٦٨ ـ الشيخ محمد الغزالي: مائة سؤال عن الإسلام، دار ثابت ط٥، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٢٦٩ ـ الشيخ محمد الغزالي: حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، دار الدعوة، الإسكندرية ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٢٧٠ ـ الشيخ محمد الغزالي: قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة ١٩٩٩م.

٢٧١ ـ د. محمد الكتاني: الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث، دار الثقافة، المغرب ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

٢٧٢ ـ محمود أمين العالم: طه حسين مفكرًا، بحث ضمن كتاب «طه حسين كما يعرفه كتاب عصره» دار الهلال ب. ت.

٢٧٣ ـ د. محمود الطحان: تيسير مصطلح الحديث، مكتبة المعارف، السعودية ط٨، ١٤٠٧هـ.

٢٧٤ ـ د. محمود حمدي زقزوق: الإسلام في مواجهة حملات التشكيك وزارة الأوقاف، سلسلة قضايا إسلامية، العدد ٤٥، ط٢، ١٤١٩هـ.

٢٧٥ ـ د. محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، سلسلة كتاب الأمة عدد صفر ١٤٠٤هـ.

٢٧٦ ـ محمود محمد الجوهري: الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية دار الوفاء، ط٢، ١٤٠٩هـ.

٢٧٧ ـ محمود محمد شاكر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، كتاب الهلال، عدد أكتوبر ١٩٨٧م.

٢٧٨ ـ محمود محمد عمارة: من فقه عمر في المساءلة والعزل والتعيين وزارة الأوقاف، سلسلة دراسات إسلامية العدد ٧٢ سنة ١٤٢٢هـ.

٢٩٥ ـ موفق الدين وشمس الدين ابني قدامة: المغني والشرح الكبير، دار الفكر بيروت؛ المكتبة التجارية مكة المكرمة ١٤١٤هـ.
٢٩٦ ـ منير البعلبكي: قاموس المورد، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٥.
٢٩٧ ـ منير البعلبكي: موسوعة المورد، دار العلم للملايين، بيروت ط١، ١٩٨١م.
٢٩٨ ـ مونتجمري وات: القضاء والقدر في فجر الإسلام وضحاه، ترجمة: د. عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة الألف كتاب الثاني ١٩٩٨م.
٢٩٩ ـ مونتجمري وات: الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، ترجمة د. عبد الرحمن الشيخ الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة الألف كتاب الثاني العدد ٢٩٨ الصادر ١٩٩٨م.
٣٠٠ ـ موريس بوكاي: ما أصل الإنسان إجابات العلم والكتب المقدسة، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط١٢، ١٩٨٥م.
٣٠١ ـ ناصر محمد السيد إسماعيل: دوافع الاستشراق وموازين البحث عند المستشرقين بين الماضي والحاضر (رسالة ماجستير نوقشت بقسم الأديان بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة).
٣٠٢ ـ نايف بن ثنيان آل سعود: المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية في العالم العربي، دار أمية للنشر والتوزيع ـ السعودية ط١، ١٤١٤هـ.
٣٠٣ ـ نبيل فرج: طه حسين وأوراقه المجهولة. (ملف أُعِدَّ لمجلة العربي الكويتية)، العدد ٤٤١ السنة الثامنة والثلاثون أغسطس ١٩٩٥م.
٣٠٤ ـ نجيب العقيقي: المستشرقون، دار المعارف، مصر، ط٤، ب. ت.
٣٠٥ ـ د. نعمان عبد الرازق السامرائي: نحن والحضارة والشهود سلسلة كتاب الأمة قطر العدد ٨٠ ذو القعدة ١٤٢١هـ.
٣٠٦ ـ واشنطن أرفنج: حياة محمد ـ ترجمة وتعليق د. علي حسن الخربوطلي، دار المعارف، مصر، ط٢، ب. ت.
٣٠٧ ـ و. ج. دي بورج: تراث العالم القديم، ترجمة: زكي سوس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ١٩٩٩م.
٣٠٨ ـ د. يوسف القرضاوي: الإيمان والحياة، مكتبة وهبة، مصر، ط٩، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
٣٠٩ ـ د. يوسف القرضاوي: المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسُّنَّة، مؤسسة الرسالة، بيروت ط٢، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.



# فهرس الموضوعات

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| ـ تقييم موقف طه حسين في القول بالجبر | ١٧٤ |
| ـ المبحث الرابع: رأي الدكتور طه حسين في نجاة اليهود والنصارى في الآخرة من النار | ١٨١ |
| رأي المستشرقين من هذه القضية | ١٨٥ |
| * **الفصل الرابع: طه حسين والقرآن الكريم وعلومه** | ١٨٧ |
| المبحث الأول: طه حسين ومصدرية القرآن | ١٨٩ |
| بشرية القرآن | ١٩١ |
| نقد القرآن | ١٩٥ |
| رأي المستشرقين في مصدرية القرآن | ١٩٩ |
| ـ المبحث الثاني: طه حسين وتعريضه بتكذيب القرآن | ٢٠٤ |
| ـ المبحث الثالث: موقف طه حسين من قضية جمع القرآن الكريم | ٢٠٩ |
| ـ المبحث الرابع: موقف طه حسين من القراءات القرآنية | ٢٢٢ |
| ـ المبحث الخامس: موقف طه حسين من المكي والمدني | ٢٣٣ |
| ـ المبحث السادس: موقف طه حسين من ترتيب السور والآيات | ٢٣٨ |
| ـ المبحث السابع: موقفه من الحروف المقطعة في أوائل السور | ٢٤٠ |
| ـ المبحث الثامن: طه حسين وقضية أُميَّة الرسول ﷺ | ٢٤٤ |
| ـ المبحث التاسع: رأي الدكتور طه في التوراة وتأييد القرآن لها | ٢٥٠ |
| ـ المبحث العاشر: رأي طه حسين في خيانة امرأة نبي الله نوح عليه السلام | ٢٥٥ |
| ـ المبحث الحادي عشر: رأي طه حسين في أصحاب الأخدود | ٢٦٠ |
| * **الفصل الخامس: طه حسين والسُّنَّة النبوية** | ٢٦٥ |
| ـ المبحث الأول: طه حسين والسيرة النبوية | ٢٦٧ |
| النقد الموجه لكتاب على هامش السيرة | ٢٧٢ |
| إنكار طه حسين معراج النبي ﷺ | ٢٧٧ |
| ـ المبحث الثاني: مذهب طه حسين في الأخذ بالسنة | ٢٨٢ |
| موقف الدكتور من رد الحديث بالعقل | ٢٨٦ |
| ـ المبحث الثالث: التشكيك في السُّنَّة ورواتها | ٢٩٠ |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

## نبذة تعريفية
## الإدارة العامة للأوقاف

الوقف علامة فارقة في مسيرة الحضارة الإسلامية وقد أثبت دوره ومكانته في مجالات التعليم والصحة والعمل الثقافي والاجتماعي بمختلف أشكاله ومازالت المساجد والمدارس والمعاهد والمستشفيات تقف شاهدة على عظمة وأهمية الوقف عبر تاريخنا المجيد.

وفي هذا السياق من العطاء والتواصل الإنساني تهدف **الإدارة العامة للأوقاف** إلى إدارة الأموال الوقفية واستثمارها على أسس اقتصادية، وفق ضوابط شرعية بما يكفل نماءها وتحقيق شروط الواقفين، وتعد الأوقاف إحدى أهم مؤسسات المجتمع المدني سواء من ناحية النشأة والقدم أو الاختصاصات المناطة بها.

وانطلاقًا من النهضة الوقفية المعاصرة تم توسيع نطاق الوقف وتنويع مصارفه من خلال إنشاء المصارف الوقفية الستة المشتملة على مختلف نواحي الحياة الثقافية والتربوية والصحية والاجتماعية...الخ، وذلك تشجيعاً لأهل الخير وإرشادًا لهم لوقف أموالهم على المشاريع الخيرية التنموية وتنظيمًا لقنوات الصرف والإنفاق المساهمة في بناء المجتمع الإسلامي الحضاري.

وأما المصارف الستة فهي :

١ ـ المصرف الوقفي لخدمة القرآن والسنة.

٢ ـ المصرف الوقفي لرعاية المساجد.

٣ ـ المصرف الوقفي لرعاية الأسرة والطفولة.